

أَحْسَنُ تَفْسِيرٍ لِلْمُرْآءِ بِفَيْضٍ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ

مَجْلَدُ الْمَلِكِ يَزِيدَ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ

الجزء الثاني والسُّتُونَ بَعْدَ الْمائَتَيْنِ الآية ١٩٤ سورة آل عمران

المرجع الديني للمسلمين
الشيخ صالح آل ضيائي
أساذ الفقه والأصول والتفسير والأخلاق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله نور السموات والأرض الذي خلقهن وما بينهن ، وتعهدهن حفظهن في كل ثانية ودقيقة من أوقات الحياة الدنيا والتي لا يحصي كثرة الكواكب والأفلاك وسعتها وحجمها ولا يعلم كثرة ما تقدم من مدتها وعمرها وما سوف يأتي إلا هو سبحانه .

الحمد لله الذي كتب علينا عبادته بالصلاة والصيام والزكاة والحج ، قال تعالى ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا﴾^(١).

الحمد والشكر لله عدد ذرات عالم الإمكان والأكوان والأفلاك ، فما أحلى التغني بالحمد لله ، قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا * وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾^(٢).

الحمد لله على وفرة المال وسعة الرزق لأكثر أهل الأرض ، ونسأل الله تعالى الإستدامة والزيادة والنماء والعموم فيه بمصاديق من لطفه بالذين جعلهم ﴿خُلَفَاءَ الْأَرْضِ﴾^(٣)، وأن يتفضل علينا ويجعل الرزق الكريم والنعم المتتالية مادة للهداية وإقامة شعائر الله ، وإشاعة مفاهيم السلام ، ونشر الأمن في ربوع الأرض .

وهذا الجزء هو الثاني والستون بعد المائتين من كتابي الموسوم (معالم الإيمان في تفسير القرآن) في فيض وفضل من عند الله عز وجل لم

(١) سورة النساء ١٠٣.

(٢) سورة الأحزاب ٤١-٤٢.

(٣) سورة النمل ٦٢.

يظن العلماء في الأجيال السابقة بلوغ أجزاء التفسير هذا العدد المبارك في مادته وتأويله وقوانينه المستقرأة من مضامين ذات الآية الكريمة. أسأل الله عز وجل عوائد إحسانه وخفايا وذخائر لطفه باتمام هذا الجزء وتوالي صدور أجزاء أخرى من هذا التفسير ، وكتبي الفقهية والأصولية ، وجميل توفيقه باستمرار قيامي بالقاء البحث الخارجي على فضلاء الحوزة العلمية.

ويختص هذا الجزء بتفسير الآية الكريمة من سورة آل عمران ﴿رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾^(١). وهل هذه العلوم مما وعدنا ربنا على السنة رسله ، الجواب نعم ، وفي التنزيل ﴿عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾^(٢).

ويتضمن هذا الجزء أكثر من مائتين وسبعين قانوناً والحمد لله ، وكل قانون أو أكثر يصلح أن يكون رسالة دكتوراه ، وهذه القوانين مناسبة للتدبر والتفكر في بديع صنع الله ، لذا ورد قبل ثلاث آيات ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ قِنَّا عَذَابَ النَّارِ﴾^{(٣)(٤)}.

الحمد لله الذي بفضله وإحسانه تتم الصالحات ، ويتوالى صدور هذه الأجزاء من التفسير في آية علمية لم يشهد لها التاريخ مثيلاً . الحمد لله حمداً نجياً ، والحمد لله حمداً خفياً رجاء أن يكون الحمد لله مصاحباً لنا في الدنيا ، وزاجراً عن المعاصي ، وشفيعاً لنا في الآخرة .

(١) سورة آل عمران ١٩٤.

(٢) سورة العلق ٥.

(٣) سورة آل عمران ١٩١.

(٤) أنظر الجزء السابع والثلاثين بعد المائتين الذي اختص بتفسير هذه الآية الكريمة ، ويتضمن (٢٢٦) قانوناً .

الحمد لله المعافي ، وقد أنعم عليّ بعملية جراحية في النجف الأشرف
بازالة الأمعاء الغليظة بعد توسعها لأكثر من الضعف من أيام السجن
البعيض قبل ثلاثين سنة ، لتكون مصاديق قوله تعالى ﴿وَإِذَا مَرَضْتُ فَبُهِتَ
يَسْفِينُ﴾^(١) حاضرة في حياة كل إنسان ، لذا يتلو المسلم والمسلمة هذه الآية
بصيغة المتكلم مع أنها حكاية عن إبراهيم عليه السلام.

وهل انبساط نعمة الشفاء هذه على كل إنسان من مصاديق قوله تعالى
﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾^(٢) ، إذ تترشح عن منصب الخلافة نعم كثيرة
لا يحصيها إلا الله عز وجل وحده .

والحمد لله رب العرش العظيم صاحب القوة والكبرياء من المنعة .
الحمد لله بعدد تسييح الملائكة الحافين حول العرش ، ونسأله تعالى
هدايتا للإنقطاع إليه تعالى مثل إنقطاع الملائكة ، وهل هو من مصاديق قوله
تعالى ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾^(٣) ، الجواب نعم.

الحمد لله الذي لم يجعل لنفسه شريكاً سواء في الربوبية أو القدرة أو
الحياة السرمدية أو العلم أو الإحصاء أو المشيئة ، فليس من شئ في الوجود
إلا وهو خاضع لله عز وجل محتاج في كل آن إلى رحمته وفضله في وجوده
وهيئته واستدامته.

الحمد لله على كل نعمة من الله تعالى ظاهرة أو باطنة إذ جاءت بلطف
ومن من الله من غير استحقاق منا .

اللهم ثبت قلوبنا في منازل الإيمان ، واجعل ألسنتنا بذكرك لهجة وانت
القائل ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ
الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾^(١).

(١) سورة الشعراء ٨٠.

(٢) سورة البقرة ٣٠.

(٣) سورة الفاتحة ٦.

اللهم لك الحمد والشكر كما ينبغي لعظيم سلطانك وسعة قدرتك ،
وعلمك بما تخفيه الصدور .

اللهم لك الحمد على إلهامنا الشكر لك ، وأضئت لنا سبله برسالة النبي
محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأداء الصلاة التي هي شكر قولي وفعلي
يتجدد كل يوم ، والتوجه إليك بالشكر نعمة عظمى تستحق الشكر
التوليدي المتجدد .

سبحانك اللهم تعطي من غير سؤال ، وترزق من دون أسباب أو حاجة
فانت الكريم المنان ، الذي لك ملك السموات والأرض ، لا تنفذ خزائنك .
الحمد لله على انزاله القرآن ﴿ كِتَابًا مُّشَابِهًا مَّثَانِي تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ
يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَىٰ اللَّهِ يَهْدِي بِهِ
مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴾^(١) ، وتفضله بفتح علوم التفسير
ولم يجعل لها منتهى ، لأن كل آية كنز لا ينقص مع اغتراف ونهل العلماء
منه والإجتهاد في الغوص فيه لاستخراج درره .

ومن فضل الله عز وجل أنني أقوم بمفردتي بتأليف ومراجعة وتصحيح
أجزاء هذا السفر المبارك المتتالية إلى جانب كتبي الفقهية والأصولية
والكلامية ، قال تعالى ﴿ وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ﴾^(٢) .

حرر في الثلاثين من محرم الحرام ١٤٤٦هـ

٢٠٢٤/٨/٥

(١) سورة إبراهيم ٢٧.

(٢) سورة الزمر ٢٣.

(٣) سورة النحل ٥٣.

قوله تعالى ﴿رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ الآية ١٩٤

الإعراب واللغة

رَبَّنَا : رب: منادى مضاف محذوف منه حرف النداء منصوب بالفتحة ، ونا : ضمير مضاف إليه .

وَآتِنَا : الواو: حرف عطف ، واستثناف .

فهو حرف عطف لاتحاد موضوع الآية ، وحرف استثناف لاستقلال نداء الإستغاثة في أول الآية ، وسيأتي التفصيل في قانون شهادة آية ﴿رَبَّنَا وَآتِنَا﴾ على الإيمان .

آتِنَا : مثل (توفنا) في الآية السابقة، وهو : فعل دعاء مبني على حذف حرف العلة، و"نا": مفعول به والفاعل ضمير مستتر فيه وجوباً تقديره: أنت .
مَا : اسم موصول مبني في محل نصب مفعول به .

وَعَدْتَنَا : وعد: فعل ماضٍ مبني على السكون، والتاء: فاعل، و"نا": ضمير مبني في محل نصب مفعول به .

عَلَىٰ رُسُلِكَ : على رسل: جارٍ ومجرور متعلقان بـ"وعدتنا"، و"الكاف": مضاف إليه يعود لله عز وجل .

ليبان قانون شهادة المسلمين لأنفسهم بأنهم يصدقون بجميع الأنبياء والمرسلين ، وقانون من الإرادة التكوينية وهو أن الله عز وجل لم يترك الناس وشأنهم ، بل أرسل إليهم الكثير من الأنبياء والمرسلين وعلى نحو التعاقب ، قال تعالى ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَىٰ كُلًّا جَاءَ أُمَّةً رَسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَاتَّبَعْنَا بَعْضُهُمْ بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعْدًا لِّقَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾^(١).

وَلَا : الواو: حرف عطف.

لَا: حرف رجاء وتضرع وجزم.

تُخْزِنَا : تخز: فعل مضارع مجزوم ، وعلامة جزمه حذف حرف العلة.

والفاعل ضمير مستتر فيه وجوباً تقديره : أنت.

و(نا) : ضمير مبني في محل نصب مفعول به.

يَوْمَ : ظرف زمان منصوب بالفتحة متعلق بـ(تخزنا).

الْقِيَامَةِ : مضاف إليه مجرور ، وعلامة جره الكسرة الظاهرة تحت آخره.

إِنَّكَ : إن: حرف توكيد مشبّه بالفعل، والكاف : ضمير مبني في محلّ

نصب اسم (إن) ويعود إلى الله عز وجل .

لَا : حرف نفي.

تُخْلَفُ : فعل مضارع مرفوع بالضمة الظاهرة على آخره ، والفاعل

ضمير مستتر فيه وجوباً تقديره: أنت.

الْمِيعَادَ : مفعول به منصوب ، وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة على آخره.

والقيامة مصدر من الفعل الثلاثي : قام يقوم ، وأدخلت عليه تاء

التأنيث للمبالغة .

وسمي به اليوم الآخر القيامة ، لقيام الناس ووقوفهم في مواطن الآخرة

لله حساب ، وقيام الدعاوى والمظالم بين الناس .

وفي الدنيا يتنعم الناس ويلهون وينامون ويمرحون ، أما في الآخرة فهم

قيام وجلون ، وورد لفظ (يوم القيامة) في القرآن سبعين مرة .

والخزي صيرورة الإنسان خجلاً مهموماً أسفاً ، ويأتي الخزي في الدنيا

أثراً لفعل أو عقوبة أو ظلماً من مستبد وغيره ، أما في الآخرة فلا يكون إلا

عدلاً وعقوبة عن كبائر الذنوب والفواحش ، وينجو المؤمنون منه لقانون

التضاد بين الإيمان والخزي يوم القيامة ، ولدلالة آية البحث ونحوها ، قال

تعالى ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾^(١).

وتلاوة المسلم لآية البحث في الصلاة وخارجها من الشواهد على تسليم وجهه لله عز وجل .

في سياق الآيات

الوجه الأول : صلة آية البحث بالآية السابقة ﴿رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا

يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ﴾^(٢).

وفيه مسائل :

المسألة الأولى : ابتدأت كل من الآيتين بالنداء العام ﴿رَبَّنَا﴾ بصيغة

الجمع وفيه أمور :

الأول : بيان قانون انقطاع المسلمين إلى الله تعالى في حوائجهم .

الثاني : تكرر النداء ﴿رَبَّنَا﴾ مرتين في آية السياق ، وورد مرة واحدة في

آية البحث ، لإظهار المسلمين صدق عبوديتهم لله عز وجل .

الثالث : من معاني صيغة الجمع في الآيتين تلاوة المسلم الآية نيابة عن

المسلمين الآخرين ودعاؤه لهم جميعاً .

المسألة الثانية : يختص مضمون آية البحث بالمسلمين بدليل الآية السابقة

﴿رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ﴾ والمنادي هو النبي محمد صلى الله

عليه وآله وسلم فإن قيل يمكن أن يكون المقصود كل نبي واستجابة المؤمنين

له ، الجواب نعم ، وفيه شاهد على وحدة الإيمان في كل الأزمنة .

(١) سورة البقرة ١١٢.

(٢) سورة آل عمران ١٩٣.

وهذا من إعجاز القرآن لإرادة المسلمين ، وشمول المؤمنين من الأمم السابقة بمضامين آية البحث .

ولم يرد لفظ (منادياً) في القرآن إلا في آية السياق ، لبيان معجزة حسية للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم من وجوه :

الأول : قانون بلوغ نداء النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم للإيمان أهل المشرق والمغرب ، وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ﴾^(١).

الثاني : من أسماء النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم (المنادي) وفيه حجة على الناس وشهادة ببلوغ دعوته لهم ، وثناء عليه في الأولين والآخرين.

الثالث : قانون ترغيب المسلمين بالإجماع في الدعاء ، والتأمين عليه .
(وعن محمد بن فضالة الأنصاري ، وكان ممن صحب النبي صلى الله عليه وآله وسلم : أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أتاهم في بني ظفر ومعه ابن مسعود ، ومعاذ بن جبل ، وناس من أصحابه ، فأمر قارئاً فقرأ ، فأتى على هذه الآية ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيداً﴾^(٢) فبكى حتى اضطرب لحياه وجنباه ، وقال : يا رب هذا شهدت على من أنا بين ظهريه فكيف بمن لم أراه)^(٣).

المسألة الثالثة : لقد تضمنت الآية السابقة التضرع إلى الله عز وجل من وجوه :

الأول : سؤال مغفرة الذنوب .

الثاني : ستر المعاصي ، وقبول الطاعات بفضل من الله عز وجل .

(١) سورة سبأ ٢٨.

(٢) سورة النساء ٤١.

(٣) الدر المنثور ٣/ ١٢٦ .

الثالث : سؤال الوفاة والحشر في جماعة الأبرار ، جمع بار ، وهو المطيع لله ، والذي رضي الله عنه لتقواه وصلاحه.

و(عن رفاعه بن رافع الزرقي قال : لما كان يوم أحد وانكفأ المشركون قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : استووا حتى أثني على ربي ، فصاروا خلفه صفوفاً.

فقال : اللهم لك الحمد كله ، اللهم لا قابض لما بسطت ، ولا باسط لما قبضت ، ولا هادي لما أضللت ، ولا مضل لما هديت ، ولا معطي لما منعت ، ولا مانع لما أعطيت ، ولا مقرب لما بعدت ، ولا مباعد لما قربت.

اللهم ابسط علينا من بركاتك ورحمتك وفضلك ، اللهم إني أسألك النعيم المقيم الذي لا يحول ولا يزول.

اللهم إني أسألك النعيم يوم العيلة والأمن يوم الخوف.

اللهم إني عائد بك من شر ما أعطيتنا وشر ما منعتنا.

اللهم حبب إلينا الإيمان وزينه في قلوبنا ، وكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان ، واجعلنا من الراشدين ، اللهم توفنا مسلمين وأحينا مسلمين وألحقنا بالصالحين ، غير خزايا ولا مفتونين.

اللهم قاتل الكفرة الذين يكذبون رسلك ويصدون عن سبيلك ، واجعل عليهم رجزك وعذابك ، اللهم قاتل الكفرة الذين أوتوا الكتاب يا إله الحق^(١).

ورفاعه بن رافع الزرقي من بني زريق من الخزرج شهد بيعة العقبة الثانية ، والمشاهد كلها مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم وشهد معركة الجمل وصفين مع الإمام علي عليه السلام .

أما آية البحث فتضمنت الدعاء من وجهين :

الأول : سؤال تنجز وعد الله للمؤمنين الذي جاء على لسان الرسل .

الثاني : النجاة من الخزي يوم القيامة ، والذي يلحق الكفار والمنافقين ، قال تعالى ﴿إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾^(١). وأختتمت الآية بالشأن على الله عز وجل وأنه ينجز ما وعده للعباد في الدنيا والآخرة .

لتكون النسبة بين الدعاء في الآيتين هي العموم والخصوص المطلق فالدعاء في آية البحث أعم ، ومنه التعدد الإستغراقي في وعد الله عز وجل للمسلمين على السنة الرسل من الأمن والسلامة من الخزي يوم القيامة ، والذي يدل بالدلالة التضمنية على تفضل الله عز وجل بمغفرة الذنوب.

المسألة الرابعة : تضمنت آية السياق ثناء المسلمين على أنفسهم من وجوه:

الأول : الإستماع إلى النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وهو يدعو إلى الإيمان .

الثاني : إعلان الإيمان بالله ورسله .

الثالث : المبادرة إلى الإيمان بدلالة الفاء في (فأمنا) فليس ثمة فترة بين دعوة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم للإيمان وبين دخول المسلمين الإسلام.

وهل منه ولادة المسلم من أبوين أو أب مسلم ، في الأجيال المتعاقبة ، الجواب نعم ، وهو من فضل الله عز وجل ، ومناسبة قراءة كل مسلم ومسلمة لآية السياق ، فلا يختص موضوع الآية بأيام النبوة وزمان الصحابة ، بل هو شامل لأجيال المسلمين إلى يوم القيامة.

فلا تصل النبوة إلى القول بأن القرآن هو المنادي في قوله تعالى ﴿إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ﴾^(٢) ، ففي كل زمان تحضر تلاوة النبي صلى الله

(١) سورة النحل ٢٧.

(٢) سورة آل عمران ١٩٣.

عليه وآله وسلم لآيات وسور القرآن التي نزل بها جبرئيل عليه ، قال تعالى ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ﴾^(١).

لتدل آية السياق والبحث على تلقي كل جيل من أجيال المسلمين بشارات وانذارات القرآن وتلاوة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم لها بالقبول والاستجابة والإمثال .

و(لقي عبد الله بن مسعود رجلاً محرماً وعليه ثيابه ، فقال : انزع عنك . فقال الرجل : اتقرأ عليّ بهذا آية من كتاب الله .

قال : نعم ﴿مَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾^(٢) ^(٣).

ليبان العمل بسنة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم واتخاذها مصدراً للتشريع بعد القرآن بأمر من عند الله عز وجل .

وهل تدخل الوعود التي وعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المسلمين عامة والمؤمنين خاصة بها في مضامين الآية أعلاه .

الجواب نعم ، لأنها مما أتى به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهي شعبة من الوحي .

المسألة الخامسة : لقد أراد المسلمون الولوج إلى عالم القبر وليس عليهم ذنوب أو سيئات ، وهو من أسرار ترتيب هذه الآيات ، والتوالي بين آية السياق وآية البحث فلم يأت سؤال تنجز الوعد على ألسنة الرسل إلا بعد أن أخبروا عن إيمانهم القاطع بالله عز وجل ، وسؤال مغفرة الذنوب كجزاء عاجل على الإيمان بفضل من الله عز وجل قال تعالى ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ * إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ﴾^(٤).

(١) سورة الشعراء ١٩٣-١٩٤ .

(٢) سورة الحشر ٧ .

(٣) الثعلبي / الكشف والبيان ١٣/١٩٧ .

(٤) سورة المدثر ٣٨-٣٩ .

إذ يحاسب الناس على أعمالهم ، ويؤاخذون بذنوبهم وتفضل الله واستثنى أصحاب اليمين فان الله غفر لهم ومحى عنهم سيئاتهم ، لذا تضرع المسلمون إلى الله بأن يجعلهم من أصحاب اليمين بالدعاء ﴿رَبَّنَا فَاعْفُ رَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا﴾^(١).

ولتأتي آية البحث بسؤال النجاة من خزي يوم القيامة الذي يلحق الذين كفروا وأصحاب الشمال.

المسألة السادسة : هل يدل الجمع بين الآيتين على حقوق الخزي بأهل الذنوب والمعاصي ممن يصرون على المعصية ولم يتوبوا عنها ، الجواب نعم . ومن التوبة سؤال العفو والمغفرة من عند الله لبيان قانون تسليم المسلمين بأن الله وحده هو الذي يغفر الذنوب والخطايا ، وفي التنزيل ﴿وَمَنْ يُغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾^(٢).

ومن خصائص آية البحث والسياق تنزه المسلمين والمسلمات عن الإصرار على الذنوب ، ومنها قانون الإستغفار ضد للإصرار على الذنب ، وثد ثبت في الفلسفة قانون عدم اجتماع الضدين في محل واحد . وهل إجتناب الإصرار على الذنوب حسنة ، الجواب نعم . ومن معاني الجمع بين آية البحث والسياق تنمية ملكة الإستغفار عند المسلمين ، وجعلها مصاحبة لهم مجتمعين ومتفرقين ، قال تعالى ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^(٣).

المسألة السابعة : من معاني الجمع بين الآيتين قانون إقرار المسلمين باليوم الآخر وعالم الحساب ، وهل هو من مصاديق اعلان الإيمان الذي ورد في

(١) سورة آل عمران ١٩٣.

(٢) سورة آل عمران ١٣٥.

(٣) سورة المائدة ٧٤.

آية السياق ﴿فَأَمَّا﴾ الجواب نعم ، لبيان قانون الإيمان بالله إيمان بالرسول ، وإيمان باليوم الآخر وهما اللذين تدل عليه آية البحث .

والإيمان بيوم القيامة ركن من أركان عقيدة التوحيد في سنن الأنبياء ومنهاج المسلمين وقد ورد ذكر لفظ (يوم القيامة) سبعين مرة في القرآن لبيان موضوعيته في الشريعة الإسلامية كما ورد بألفاظ أخرى مع وجوب الإيمان به فورد ستاً وعشرين مرة بلفظ اليوم الآخر ، وقيل أركان الإيمان ستة ، وردت خمسة منها في قوله تعالى ﴿وَمَنْ يُكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾^(١).

ويضاف لها الإيمان بالقدر خيره وشره.

وقد ورد (عن عمر بن الخطاب قال : بينا نحن جلوس عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم في أناس إذ جاء رجل ليس عليه سحناء سفر ، وليس من أهل البلد ، يتخطى حتى ورك بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كما يجلس أحدنا في الصلاة ، ثم وضع يده على ركبتني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال : يا محمد ما الإسلام؟ قال : الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وأن تقيم الصلاة ، وتؤتي الزكاة ، وتحج وتعتمر ، وتغتسل من الجنابة ، وتتم الوضوء ، وتصوم رمضان ، قال : فإن فعلت هذا فأنا مسلم؟ قال نعم .

قال : صدقت)^(٢).

وإذا كانت أركان الإيمان وعالم الاعتقاد ، وعزائم القلوب ، فإن أركان الإسلام من عالم الفعل وهي النطق بالشهادتين ، وإقامة الصلاة ، وإيتاء

(١) سورة النساء ١٣٦.

(٢) الدر المنثور ٤/ ١٩٣ .

الزكاة ، والصوم ، وحج بيت الله بقيد الإستطاعة ﴿مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾^(١).

المسألة الثامنة : تدل كل من آيتي البحث والسياق على تفقه المسلمين في الدين ، وحاجة الإنسان مطلقاً ، سواء كان مؤمناً أو غير مؤمن إلى الإستغفار والدعاء ، وإن كان دعاء الكافرين مردود لوجوب الإيمان في قبوله والإستجابة له ، قال تعالى ﴿فَادْعُوا مَدْعَاءَ الْكَافِرِينَ﴾^(٢) ضلالاً.

وقال الواحدي ﴿وَوَقَفْنَا مَعَ الْأَبْرَارِ﴾^(٣) يعني : الأنبياء ، أي : في جملتهم حتى نصير معهم^(٤).

ولكن النسبة بين الأبرار والأنبياء هي العموم والخصوص المطلق ، فالأبرار أعم ويشمل هذا العنوان المؤمنين الأخيار الذين اطاعوا الله ورسوله .

وهل في قوله تعالى ﴿وَوَقَفْنَا مَعَ الْأَبْرَارِ﴾ إشارة إلى عالم البرزخ ، أم أنه القدر المتيقن منها مغادرة الحياة الدنيا على ذات نهج الأنبياء والصالحين . المختار هو الأول ، بقرينة (مع) في ﴿مَعَ الْأَبْرَارِ﴾ التي تفيد المعية والصحبة في عالم البرزخ والآخرة .

ومن خصائص الأبرار بلحاظ آية البحث أمور :

الأول : الإقرار بربوبية الله المطلقة ، وأن الناس عبيد له .

الثاني : قانون توجه الأبرار بالدعاء (ربنا) لما فيه من معاني التوحيد.

الثالث : طاعة الله ، وإتيان الأفعال بقصد القرية إلى الله .

(١) سورة آل عمران ٩٧.

(٢) سورة غافر ٥٠.

(٣) سورة آل عمران ١٩٣.

(٤) الواحدي / الوجيز ١/ ١١٤.

الرابع : قانون تنزه الأبرار عن إيذاء الآخرين .

الخامس : الحب في الله .

السادس : قانون إعراض الأبرار عمن يؤذيهم ، والصفح عنهم .

السابع : قانون ملازمة الأبرار لمنازل رضوان الله .

وتفيد (مع) في قوله تعالى ﴿مَعَ الْأَبْرَارِ﴾ على الظاهر الغيرية ، ولكنها تتضمن معنى اجعلنا من الأبرار ، ومن معاني ﴿مَعَ الْأَبْرَارِ﴾ في الآية مغادرة أجيال من الأبرار الحياة الدنيا ، وبيان قانون وجود أمة من الأبرار في كل زمان.

المسألة التاسعة : كل من الآيتين دعاء صادر عن المسلمين ، ومن أسرار تلاوة كل مسلم ومسلمة القرآن في الصلاة اليومية تجدد هذا الدعاء والتلاوة كل يوم في الأرض لتسمعه الملائكة فتؤمن على دعاء المسلمين وهو من مصاديق رد الله عز وجل على الملائكة ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾^(١) ، احتجوا على جعل الإنسان ﴿فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾^(٢) ، بأن شطراً من الناس يفسدون في الأرض ، ويشعلون الحروب ، وما فيها من القتل وقطع المعاشات والظلم.

فأخبرت آية البحث والسياق بأن أمة من الناس تعمر الأرض بالدعاء والذكر وهم المسلمون بدليل صيغة المضارع في خاتمة آية السياق ﴿وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ﴾^(٣) ، وقوله تعالى ﴿وَأَتَيْنَا مَا وَعَدْنَاهُ﴾^(٤).

(١) سورة البقرة ٣٠.

(٢) سورة البقرة ٣٠.

(٣) سورة آل عمران ١٩٣.

(٤) سورة آل عمران ١٩٤.

المسألة العاشرة : ابتدأت آية السياق بقوله تعالى ﴿رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا

يُنَادِي لِلْإِيمَانِ﴾^(١) ، بصيغة المفرد للمنادي والمراد النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، ثم ذكرت آية البحث الوعد الإلهي على ألسنة الرسل ، وتحتمل النسبة بينهما وجوهاً :

الأول : المراد إخبار النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم والقرآن عما جاء به الرسل بالبشارة بالجنة للذين آمنوا وعملوا الصالحات .

الثاني : ما ورد في القرآن والكتب السماوية السابقة كالطورا والإنجيل .

الثالث : إخبار آية البحث عن سماع المسلمين الوعد الإلهي من المؤمنين من الأولين والآخرين .

والمختار هو الأول ، لبيان تضمن موضوع نداء النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم للإيمان جهاد الأنبياء والرسل ، وتوثيق بشاراتهم بالنعيم الدائم للذين جمعوا بين الإيمان والصلاح ، لتكون من دلالاته أن النبي محمداً جاء بالنداء بالإصلاح ، والأخلاق الحميدة ، ويدل عليه قوله تعالى ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾^(٢) .

الصلة بين أول الآية السابقة والدعاء في آية البحث

تري ما هي الصلة بين قوله تعالى ﴿رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ

أَنۡ آمَنُوا بِرَبِّكُمۡ فَآمَنَّا﴾^(٣) ، وبين الدعاء المتعدد للدنيا والآخرة في آية البحث .

الجواب من وجوه :

الأول : قانون الدعاء شعبة من الإيمان .

(١) سورة آل عمران ١٩٣ .

(٢) سورة القلم ٤ .

(٣) سورة آل عمران ١٩٣ .

الثاني : مناداة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بالإيمان بالله واليوم الآخر ، وفي التنزيل ﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾^(١).

الثالث : بيان قانون بعثة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم رحمة عامة للمسلمين وغيرهم ، وهداية لسلاح الدعاء الذي هو ذخيرة في الدنيا والآخرة قال تعالى ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾^(٢).

الرابع : برسالة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ونزول القرآن أنقذ الله عز وجل الناس من الضلالة .

الخامس : قانون وجود أمة مستجيبة لنداء النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بالإيمان من حين نزول آيات القرآن .

السادس : قانون الإيمان أبهى وأعذب ما في الحياة الدنيا .

السابع : قانون ثناء وشكر المسلمين والمسلمات لله عز وجل على نعمة المنادي للإيمان ، والنسبة بين الدعاء والثناء على الله عموم وخصوص مطلق ، فهذا الثناء شعبة من الدعاء .

الثامن : قانون استجابة المسلمين لنداء الإيمان حجة على الذين كفروا .

التاسع : نعمة النداء للإيمان باعث للمسلمين للدعاء لأُمور الدنيا والآخرة .

العاشر : قانون تلقي المسلمين النداء للإيمان بالإجتهاد بالدعاء .

الحادي عشر : من وجوه نداء النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم للإيمان أن الله عز وجل لا يخلف الميعاد ، مما يدل على قانون نداءات النبي

(١) سورة البقرة ١٧٧.

(٢) سورة غافر ٦٠.

محمد صلى الله عليه وآله وسلم وحى ، قال تعالى ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ
* إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾^(١).

من مصاديق النداء للإيمان

من معاني آية السياق بلحاظ آية البحث وجوه :

الأول : ربنا إننا سمعنا منادياً ينادي للإيمان بالله رباً وإلهاً ومالكاً.

الثاني : منادياً ينادي للإيمان باليوم الآخر .

الثالث : منادياً ينادي بالوعد بالجنة للمؤمنين .

الرابع : منادياً يمثل ما نادى به الرسل السابقون من وجوب عبادة الله وحده ، والثواب العظيم على هذه العبادة .

الخامس : منادياً ينادي بلزوم اجتناب الأفعال التي تؤدي بصاحبها إلى النار من الكفر وإرتكاب المعاصي .

السادس : منادياً وهو خاتم النبيين محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

السابع : منادياً بالقرآن وآياته ، ووجوب العمل بأحكامه وسنته .

الثامن : منادياً ينادي للإيمان بالملائكة رسلاً لله عز وجل .

التاسع : منادياً ينادي بالأسماء الحسنى لله ، وفي التنزيل ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾^(٢).

العاشر : منادياً ينادي بأن الله لا يخلف الميعاد .

الحادي عشر : منادياً ينادي للإيمان واقية من الخزي يوم القيامة .

الثاني عشر : منادياً بالوعود التي وعد الله عز وجل بها عباده المؤمنين ، ويدل قوله تعالى ﴿إِنِ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(٣) ، على

(١) سورة النجم ٣-٤.

(٢) سورة الحشر ٢٣.

الحاجة لبيان صدق وعد الله للبشارة والإنذار ، بشارة الذين آمنوا وإنذاراً الذين يجحدون بالوعد الإلهي .

الثالث عشر : منادياً ينادي بالإستعداد ليوم القيامة ، وما فيه من النداء .
(وعن رجل من الصحابة : أن قائلاً من المسلمين قال : يا رسول الله ما النجاة غداً قال : لا تخادع الله قال وكيف نخادع الله؟
قال أن تعمل بما أمرك به تريد به غيره ، فاتقوا الرياء فإنه الشرك بالله ، فإن المرائي ينادي به يوم القيامة على رؤوس الخلائق بأربعة أسماء : يا كافر ، يا فاجر ، يا خاسر ، يا غادر .

ضل عملك ، وبطل أجرك ، فلا خلاق لك اليوم عند الله ، فالتمس أجرك ممن كنت تعمل له يا مخادع ، وقرأ آيات من القرآن ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا﴾^(٢) ، و﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ﴾^(٣) ^(٤) .

الوجه الثاني : صلة آية البحث بالآية قبل السابقة ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تَدْخُلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾^(٥) .
وفيه مسائل :

المسألة الأولى : ابتدأت كل من الآيتين بنداء الربوبية ﴿رَبَّنَا﴾ ومن مقامات العبودية التي هي عز وفخر للناس .

وتوالت ثلاث آيات كل واحدة تبدأ بدعاء ونداء الإستجارة والإستغاثة (ربنا) مع تكرار هذا النداء في الآية السابقة لتتضمن الآية التالية الإخبار من عند الله عز وجل على استجابته لدعائهم بقوله تعالى ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ

(١) سورة يونس ٥٥.

(٢) سورة الكهف ١١٠.

(٣) سورة النساء ١٤٢.

(٤) الدر المنثور ١/ ٣٢ .

(٥) سورة آل عمران ١٩٢.

أَنْبِيَا أَوْ أَصْبَحَ عَمَلٌ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْشَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُودُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأَكْفِرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ^(١).

وهل تكون تلاوة المسلم لهذه الآية دعاء متجدداً ، الجواب نعم ، لبيان قانون المسلمون أكثر الأمم وأهل الملل دعاء ، لوجوب تلاوة كل واحد منهم ذكراً أو أنشى القرآن سبع عشرة مرة في اليوم وجوباً عينياً ، فمن واجبات الصلاة قراءة القرآن في كل ركعة من الصلاة .

المسألة الثانية : من هم الذين يقولون (ربنا) في الآيتين .

الجواب هم الذين يذكرون الله عز وجل في حال القيام والقعود وعلى جنوبهم ، وهم الذين يتفكرون في خلق السموات والأرض ، ويقولون بأن الله عز وجل هو الذي خلقها ، ويسألون الله عز وجل النجاة من النار ، يدل هذا السؤال بالدلالة التضمنية على الإقرار بعالم الآخرة والخلود فيها ، وأن الناس فيها على قسمين :

الأول : أهل الجنة والنعيم الدائم ، وهم المؤمنون الذين عملوا الصالحات .

الثاني : أصحاب النار من الكفار والمجرمين والعصاة الفاسقين ، قال تعالى ﴿ وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذْنُ مُؤَذِّنٌ يَبْئُتُهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ * الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ^(٢) .

(١) سورة آل عمران ١٩٥ .

(٢) سورة الأعراف ٤٤-٤٥ .

و(عن أنس بن مالك : أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ترك قتلى بدر ثلاثاً ثم قام عليهم فناداهم فقال : يا أبا جهل بن هشام ، يا أمية بن خلف يا عتبة بن ربيعة يا شيبة بن ربيعة أليس قد وجدتم ما وعد ربكم حقاً فإني قد وجدت ما وعدني ربي حقاً فسمع عمر قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال : يا رسول الله كيف يسمعون وأنى يجيبون وقد جيفوا . قال : والذي نفسي بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم ولكنهم لا يقدر أن يجيبوا ثم أمر بهم فسحبوا فألقوا في القليب قليب بدر^(١) .

وفيه دلالة بأن الأموات مطلقاً عندما يغادرون الدنيا يسمعون الأصوات من حولهم ، لقانون ليس الموت عدماً محضاً .

و(عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : إن العبد إذا وضع في قبر وتولى عنه أصحابه : إنه ليسمع قرع نعالهم ، يأتيه ملكان فيقعدانه فيقولان له : ما كنت تقول في هذا الرجل .

زاد ابن مردويه : الذي كان بين أظهركم الذي يقال له محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

قال : فأما المؤمن فيقول : أشهد أنه عبد الله ورسوله .

فيقال له : انظر إلى مقعدك من النار ، قد أبدلك الله به مقعداً من الجنة ، قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : فيراهما جميعاً^(٢) .

إنما هو زهوق الروح ، ومغادرتها للبدن ، وانتقال العبد من دار الدنيا إلى عالم البرزخ ، قال تعالى ﴿ خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيُبْلُوَكُمْ أَنِ كُمُ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴾^(٣) ، فذكرت الآية أن الموت مخلوق كما يدل عليه قوله تعالى ﴿ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ

(١) تفسير القرطبي ٣٢٦/٧ .

(٢) الدر المنثور ٥٧/٦ .

(٣) سورة الملك ٢ .

وَاللهَ آتَاكَ إِبرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلهًا وَاحِدًا وَتَحَنَّنَ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿١﴾ ، فيحصر الموت عند حلول الأجل .

المسألة الثالثة : لقد تضمنت آية السياق وجوهاً :

الأول : نداء الإستجارة والإستغاثة بالله .

الثاني : التسليم بدخول شطر من بني آدم النار بما كسبت أيديهم من السيئات والمعاصي .

الثالث : قانون مصاحبة الخزي لدخول النار ، وقانون استدامة خزي الكافرين بين الخلائق .

الرابع : الإستعاذة بالله من الظالمين ، وشرهم ومكرهم .

الخامس : بنزول القرآن استبانت العلوم عن الآخرة وأهوال يوم الجزاء .

السادس : قانون الملازمة بين الظلم ودخول النار ، والظلم في المقام هو الكفر والجحود ومعاداة النبوة والتنزيل ، والإفتراء على الله ، والتعدي الفاحش .

السابع : الله وحده هو الذي يأمر بدخول الظالمين النار ، وهو لا يمنع من قيام الملائكة بسوقهم إلى النار بعد تلقي الأمر من عند الله ، إذ يسوقونهم بالزجر والتهديد والسحب على الوجوه ، ونسب الله عز وجل سوقهم إلى جهنم لنفسه إذ قال ﴿يَوْمَ نَخْشِرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا * وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وَرِثًا﴾ (٢) .

وعن الإمام الصادق عليه السلام (قال: إن رسول الله صلى الله عليه وآله أتى شاباً من الانصار، فقال: إني أريد أن أقرأ عليكم فمن بكى فله الجنة فقرأ آخر الزمر "وسيق الذين كفروا إلى جهنم زمراً" إلى آخر السورة فبكى القوم جميعاً إلا شاباً فقال: يا رسول الله قد تباكيت فما قطرت عيني

(١) سورة البقرة ١٣٣.

(٢) سورة مريم ٨٦.

قال: إني معيد عليكم فمن تباكى فله الجنة قال: فأعاد عليهم فبكى القوم وتباكى الفتى فدخلوا الجنة جميعاً^(١).

الثامن : بعث السكينة في نفوس المسلمين بانعدام الناصر للظالمين يوم القيامة .

وفيه دعوة للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه للصبر على الأذى الذي لاقوه من المشركين في بدايات الدعوة ، وفي معركة بدر ، وأحد ، والخندق ، وحنين ، قال تعالى ﴿وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾^(٢) وهل تدل آية السياق في مفهومها على أن المؤمنين لهم أنصار يوم القيامة ، الجواب نعم.

للتباين والتضاد بينهما ، والله عز وجل هو الولي وهو النصير ، وفي التنزيل ﴿وَكُنْى بِاللّهِ وَلِيًّا وَكُنْى بِاللّهِ نَصِيرًا﴾^(٣).

وقد ورد لفظ ﴿نَصِيرًا﴾ أربعاً وعشرين مرة في القرآن ، لبيان أن النصرة بيد الله وحده ، وأنه تعالى حجبها عن الظالمين ، سواء نصرته أو الإعانة بجنوده والأسباب ، قال تعالى ﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ﴾^(٤).

المسألة الرابعة : وردت كل من الآيتين بخصوص الآخرة وعالم الجزاء ، وقد ذكرت آية البحث يوم القيامة بالاسم ﴿وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾^(٥) أما آية السياق فذكرت دخول النار والإستجارة منه ، ومن الخزي الذي يصاحبه ، إذ ذكرت آية السياق الخزي بصيغة الغائب ، وإرادة أهل النار .

(١) البحار ٣٢٨/٩ .

(٢) سورة البقرة ٢٥٤ .

(٣) سورة النساء ٤٥ .

(٤) سورة الحج ٧١ .

(٥) سورة آل عمران ١٩٤ .

وأما آية البحث فذكرت الخزي بصيغة النجاة والعصمة الذاتية منه بقوله تعالى ﴿وَلَا تُخْزَنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾^(١).

ليبان قانون الترغيب بالإطلاق في الدعاء والمسألة ، فلم يكتف المسلمون بالدعاء للنجاة من النار ، بل وردت آية البحث بالتصريح بالدعاء بالنجاة والسلامة من الخزي في مواطن يوم القيامة جميعها.

و(عن قتادة في قوله ﴿فَنَنْتَقِلُ مَوَازِينَهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾^(٢) قال : للنبي صلى الله عليه وآله وسلم بعض أهله : يا رسول الله هل يذكر الناس أهلكم يوم القيامة ، قال : أما في ثلاث مواطن فلا : عند الميزان ، وعند تطاير الصحف في الأيدي ، وعند الصراط)^(٣).

قانون الإستجابة لطف وفضل حاضر

لقد ورد قوله تعالى ﴿فَاسْتَجَابَ﴾ ثلاث مرات في القرآن وهي :

الأولى : الآية أعلاه ، وهي الآية التالية لآية البحث.

الثانية : قوله تعالى ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِالْفِئْتَانِ مِنْ أَلْمَلَأَكَةِ مُرْدِفِينَ﴾^(٤).

الثالثة : قوله تعالى ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾^(٥).

ولم يرد لفظ (واستجاب) في القرآن لدلالة الفاء على سرعة استجابة الله عز وجل للأنبياء والأولياء والمسلمين مجتمعين ومتفرقين .

(١) سورة آل عمران ١٩٤ .

(٢) سورة الأعراف ٨ .

(٣) الدر المنثور ٤/ ١٩٣ .

(٤) سورة الأنفال ٩ .

(٥) سورة يوسف ٣٤ .

نعم ورد الحرف الواو ، ولكن بخصوص استجابة المسلمين بقوله تعالى ﴿وَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَبُزِدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَالْكَافِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾^(١)، لبيان انفراد الله عز وجل بسرعة الإستجابة للدعاء ولا يقدر على هذه الإستجابة إلا هو سبحانه ، ليتجلى قانون الدنيا دار الإستجابة. وتدل آيات الإستجابة الثلاثة أعلاه على استجابة الله عز وجل لدعاء الأمة والطائفة في ساعة الشدة ، والإستجابة على نحو القضية الشخصية ليوسف عليه السلام ومنه قانون دعوة للمسلمين والمسلمات للإقتداء بيوسف عليه السلام في التوجه إلى الله بالدعاء والمسألة ، والتنزه عن المعاصي.

ويلاحظ في آيات البحث المتجاورة تعدد مسائل الدعاء وشمولها لأمر الدنيا والآخرة ، فاجاب الله عز وجل عنها بكلمة واحدة ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ﴾ لبيان سعة خزائن الله.

قانون الوثاقة في الحديث بين الصحابة

من الإعجاز في الجمع بين آية السياق والبحث تقدم موضوع آية السياق بالإخبار عن قانون دخول الكافر النار بأمر الله عز وجل وحده ، فلا تقدر الملائكة ولا الأنبياء على إدخال أحد النار لقوله تعالى ﴿مَنْ تَدْخُلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْرَجْتَهُ﴾^(٢).

وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿لَمَنْ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾^(٣)، وعن جابر بن عبد الله الأنصاري (قال : بلغني حديث عن رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم في القصاص ، فأتيته بعيراً فشددت عليه

(١) سورة الشورى ٢٦.

(٢) سورة آل عمران ١٩٢.

(٣) سورة غافر ١٦.

رحلي ، ثم سرت إليه شهراً حتى قدمت مصر فأتيت عبد الله بن أنيس فقلت له حديث بلغني عنك في القصاص .

فقال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : يحشر الله العباد حفاة عراة غرلاً .

قلنا ما هما .

قال : ليس معهم شيء .

ثم يناديهم بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب .
أنا الملك ، أنا الديان ، لا ينبغي لأحد من أهل الجنة أن يدخل الجنة ، ولا لأحد من أهل النار أن يدخل النار وعنده مظلمة حتى أقصه منها حتى اللطمة .

قلنا كيف وان نأتي الله غرلاً بهما ، قال : بالحسنات والسيئات ، وتلا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ﴿الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ﴾^(١) (٢) .

والمراد من غرلاً أي جمع أغرل وهو من بقيت غرلته^(٣) ، وهي الجلدة التي يقطعها الخائن من الذكر لإرادة بعث الناس بجميع أعضائهم حين الولادة ، ويسمى هذا الحديث القصاص ، وقد ورد الحديث بصيغة أخرى أقرب ليس فيه (قلنا ماهما) إذ ذكر الطبراني بإسناده (عن جابر بن عبد الله قال : ركبت إلى عبد الله بن أنيس ، إلى مصر ، أسأله عن حديث القصاص

(١) سورة غافر ١٧.

(٢) الدر المنثور ٤٩٧/٨.

(٣) الغرلة : وهي الجلدة التي يقطعها الخائن عند الختان ، والجمع غرل ، ويقال لهما الغلفة ، والجمع غلف ، وعن ابن عباس (قال: خطب رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقال: يا أيها الناس إنكم محشورون إلى الله عراة حفاة غرلاً ثم تلا " كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا إنا كنا فاعلين " ثم قال: ألا وإن أول الخلق يكسى يوم القيامة إبراهيم) البحار ٢٨/٢٥.

، فقال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : يجمع الناس يوم القيامة في صعيد واحد ، حفاة عراة غرلا ، يسمع الصوت أقصاهم كما يسمع أدناهم ، يقول : أنا الملك لا ينبغي لأحد من أهل الجنة أن يدخل الجنة ، ولأحد من أهل النار عنده مظلمة يطلبه بلطمة فما سواها ، فقالوا : يا رسول الله ، وكيف ونحن حفاة عراة غرلا ؟
قال : من أعمالكم^(١).

ويبين سعي الصحابي الجليل جابر بن عبد الله في طلب حديث واحد مسيرة شهر بين المدينة ومصر لسماع حديث نبوي يتعلق بالحساب والقصاص في الآخرة على حرص طائفة من الصحابة على أمور :

الأول : جمع الحديث النبوي .

الثاني : إحصاء الحديث النبوي .

الثالث : لحاظ تقسيم الحديث النبوي حسب الموضوع.

الرابع : وثاقة الصحابة فيما بينهم ، فلم يشك جابر بصحة سماع عبد الله بن أنيس لهذا الحديث النبوي و(قال ابن الكلبي: كان عبد الله بن أنيس مهاجرياً أنصاريّاً عقيباً، وشهد أحداً وما بعدها يكنى أبا يحيى

روى عنه أبو أمامة، وجابر بن عبد الله، وروى عنه من التابعين بسر بن سعيد، وبنوه: عطية، وعمرو، وضمرة، وعبد الله، بنو عبد الله بن أنيس، وهو الذي سأل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن ليلة القدر، وقال له: يا رسول الله: إني شاسع الدار، فمرني بليلة أنزل لها. فقال: " أنزل ليلة ثلاث وعشرين " .

وتعرف تلك الليلة بليلة الجهني بالمدينة، وهو أحد الذين كسروا آلهة بني سلمة، توفي سنة أربع وخمسين رضي الله عنه^(٢).

(١) المعجم الأوسط / للطبراني ٤١١/١٨ .

(٢) الإستيعاب في معرفة الأصحاب ٢٦١/١ .

ليان قانون اجتماع العذاب والخزي في نار جهنم ، ثم جاءت آية البحث بسؤال تنجز ما وعد الله عز وجل المؤمنين على السنة الأنبياء والرسل بدخولهم الجنة .

لقد تلقى رؤساء قريش وحلفاؤهم رسالة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وآيات القرآن بالكذب ، وإنكار التنزيل . وصحيح أن القرآن مؤلف من جنس الألفاظ العربية التي يتحدثون ويتخاطبون بها إلا أنه معجز بذاته وبلاغته ودلالاتها ، ووعد ووعيده ، وبشاراته وإنذاراته ، وأحكامه وما فيه من التكليف .

ولقد أقسم الله عز وجل بالقرآن في ثلاث آيات وهي :

الأولى : قوله تعالى ﴿يس * وَالْقُرْآنَ الْحَكِيمَ﴾^(١).

الثانية : قوله تعالى ﴿ص * وَالْقُرْآنَ ذِي الذِّكْرِ﴾^(٢).

الثالثة : قوله تعالى ﴿ق * وَالْقُرْآنَ الْمَجِيدَ﴾^(٣).

وكل قسم منها تأكيد لموضوع سماوي ، وشهادة بصدق النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في رسالته ، ونزول القرآن من عند الله .

قانون الدعاء جنة وجنة

من معاني آية البحث قانون عالم الآخرة والجزاء بيد الله عز وجل وحده يأذن بالشفاعة لمن يشاء .

وعن جابر بن عبد الله الأنصاري (أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تلا قول الله ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾^(٤) فقال : إن شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي)^(٥).

(١) سورة يس ١-٢.

(٢) سورة ص ١.

(٣) سورة ق ١.

(٤) سورة الأنبياء ٢٨.

(٥) الدر المنثور ٥٦/٧ .

ومن معاني ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾^(١)، أي من يتكلم عند الله يوم القيامة ، سواء من الملائكة أو الأنبياء أو غيرهم ، وهو من الدلائل على ملكية الله المطلقة ليوم القيامة ، وحاجة كل إنسان يومئذ إلى رحمة الله عز وجل ، لذا يتفضل الله عز وجل بنشر واسع رحمته في الآخرة .

وهل تتضمن آية البحث سؤال شفاعة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم لنا ، الجواب نعم لقانون الشفاعة واقية من الخزي يوم القيامة .
(و) عن سعد بن أبي وقاص قال : سئل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن المقام المحمود فقال : هو الشفاعة .

وأخرج أحمد وابن جرير وابن أبي حاتم وابن حبان والحاكم وصححه وابن مردويه ، عن كعب بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : يبعث الناس يوم القيامة فأكون أنا وأمتي على تل ، ويكسوني ربي حلة خضراء ثم يؤذن لي أن أقول ما شاء الله أن أقول ، فذلك المقام المحمود^(٢) .

لقد جعل الله عز وجل الحياة الدنيا مزرعة واختباراً وطريق انتقال إلى عالم الآخرة الذي يكون فيه الحساب والجزاء ، قال تعالى ﴿يُحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى﴾^(٣) .

(وقال قتادة : ذكر لنا أن النبي عليه السلام لما نزلت هذه الآية اخذ بمجامع ثوب أبي جهل بالبطحاء وقال له ﴿أَوَلَيْ لَكَ فَأُولَى﴾ * ثُمَّ أَوَلَى لَكَ فَأُولَى﴾^(٤) .

(١) سورة البقرة ٢٥٥ .

(٢) الدر المنثور ٣٠٧/٦ .

(٣) سورة القيامة ٣٦ .

(٤) سورة القيامة ٣٤-٣٥ .

فقال أبو جهل : اتوعدني يا محمد والله ما تستطيع أنت ولا ربك أن تفعلوا بي شيئاً وأني لأعزّ من مشى بين جبليها، فلما كان يوم بدر أشرف عليهم وقال : لا نعبد الله بعد اليوم، فصرعه الله شراً مصرع، وقتله أسوأ قتلة، أقعصه ابنا عفراء وأجهز عليه ابن مسعود^(١).

لقد تفضل الله عز وجل وهدى المسلمين لجنة الدعاء الرحبة الواسعة التي هي طريق ومقدمة لدخول الجنة ، إذ تتضمن آية السياق الإستجارة بالله عز وجل من النار ، وما يقترن بدخولها من الخزي أمام الملائكة والخلائق من الجن والإنس .

وتتضمن آية البحث سؤال الفوز بالجنة الذي جاء به الأنبياء والرسل كوعد من عند الله عز وجل .

النسبة المنطقية بين العذاب والخزي

ذكرت آيات القرآن خزي الكافرين يوم القيامة ، لبيان أن الدنيا دار إمهال ، أما في الآخرة فيكون الخزي عقوبة ، ويفيد الهوان والذل والنكال ويلحق بالكافرين .

ترى ما هي الصلة بين الخزي والعذاب في الآخرة ، الجواب ذات العذاب خزي ، ويصاحبه خزي عرضي ، وهل يدل قوله تعالى ﴿وَكَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾^(٢) على سؤال النجاة من النار ، الجواب إنه أعم ، فالنسبة بين الخزي في الآخرة ودخول النار عموم وخصوص مطلق ، لتعدد مواطن الآخرة ، منها :

الأول : البعث من القبور .

الثاني : تطاير الصحف .

(١) الثعلبي / الكشف والبيان ٤٤٨/١٣ .

(٢) سورة آل عمران ١٩٤ .

الثالث : نصب الموازين ، قال تعالى ﴿فَمَنْ ثَقَلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾* وَمَنْ خَفَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ^(١).

الرابع : عند الصراط ، الذي هو من الكلبي المشكك ، وكذا كيفية العبور عليه ، فمنهم من يكون له الصراط جسراً عريضاً ، ويمر عليه كالبرق ، ومنهم من يكون له الصراط كحد السيف ليهوى به إلى النار . ومنهم من يهتز به الجسر ، وقيل أن المشركين الذين يعبدون غير الله لا يمشون على الصراط ، إنما يقعون في النار ، قبل نصب الصراط ، وأستدل عليه بحديث أبي سعيد الخدري يرفعه ، ومنه قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (إذا كان يوم القيامة نادى مناد: ألا لتلحق كل أمة بما كانت تعبد، فلا يبقى أحد كان يعبد صنما ولا وثناً ولا صورة إلا ذهبوا حتى يتساقطوا في النار، ويبقى من كان يعبد الله وحده من بر وفاجر... الحديث)^(٢).

وليس في الحديث دلالة على عدم مرور الكفار على الصراط ، ولا ينهض لمعارضة الأدلة بالأمر للناس بالعبور على الصراط . وعن الإمام الباقر عليه السلام (قال : لما نزلت هذه الآية ﴿وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ﴾^(٣) سئل عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله ، فقال: أخبرني الروح الامين أن الله - لا إله غيره - إذا جمع الاولين والآخرين اتى بجهنم تقاد بألف زمام، أخذ بكل زمام مائة ألف ملك من الغلاظ الشداد ، لها هدة وتغيظ وزفير، وإنها لتزفر الزفرة .

(١) سورة المؤمنون ١٠٢-١٠٣ .

(٢) تفسير الطبري ٥٥٨/٢٣ .

(٣) سورة الفجر ٢٣ .

فلولا أن الله عز وجل أخرهم إلى الحساب لاهلكت الجمع، ثم يخرج منها عنق يحيط بالخلائق: البر منهم والفاجر، فما خلق الله عز وجل عبدا من عباده ملكا ولا نبيا إلا نادى: رب، نفسي نفسي، وأنت يا نبي الله تنادي أمتي أمتي.

ثم يوضع عليها صراط أدق من حد السيف عليه ثلاث قناطر، أما واحدة فعليها الأمانة والرحم. وأما الأخرى فعليها الصلاة.

وأما الأخرى فعليها عدل رب العالمين لا إله غيره، فيكلفون الممر عليه فتحبسهم الرحم والامانة فإن نجوا منها حبستهم الصلاة، فإن نجوا منها كان المنتهى إلى رب العالمين جل وعز، وهو قوله تبارك وتعالى ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾^(١).

والناس على الصراط فمتعلق، وقدم تزل، وقدم تستمسك، والملائكة حولهم ينادون: يا حليم اغفر، واصفح، وعد بفضلك وسلم سلم، والناس يتهافتون فيها كالفراش، وإذا نجا ناج برحمة الله عز وجل نظر إليها فقال: الحمد لله الذي نجاني منك بعد أياس بمنه وفضله، إن ربنا لغفور شكور^(٢). وهل تحضر آية البحث عند الصراط، الجواب نعم، ومن ميعاد الله عز وجل للمؤمنين عبور الصراط بسهولة ويسر، وأمن، وهو من مصاديق وعد الله للمتقين ﴿يَا عِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنتُمْ تَحْزَنُونَ﴾^(٣).

الخامس: أختتمت آية السياق بقانون إنعدام الناصر للظالمين مجتمعين ومتفرقين، وتقدير الآية على وجوه:

الأول: وما للظالمين من أنصار.

الثاني: وما للظالم من أنصار.

(١) سورة الفجر ١٤.

(٢) البحار ٥٥٨/٢٣.

(٣) سورة الزخرف ٦٨.

الثالث : وما للظالمين من نصير ، فليس من ملك أو رسول ينصر الظالمين أو يشفع لهم .

وهل يمكن قيام بعض الصالحين بالإستئذان للشفاعة للظالمين ، الجواب لا يؤذن لهم لمنطوق آية السياق ، ولقوله تعالى ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾^(١) وأختتمت آية البحث بقوله ﴿إِنَّكَ لَا تَخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾^(٢) لبيان بلوغ المسلمين مرتبة الإيمان السامية بالقطع بأن الله عز وجل ينجز ما وعد به المؤمنين من الثواب العظيم في الآخرة .

وهل خاتمة آية السياق من الميعاد الذي تذكره آية البحث أم أن القدر المتيقن منه هو الوعد بالثواب الجميل للمؤمنين ، المختار هو الأول ، قال تعالى ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾^(٣) .

لتكون خاتمة آية البحث بشارة وإنذار ، بشارة للمؤمنين المنقطعين إلى الدعاء ، وإنذاراً للذين كفروا الذين أعرضوا واستكبروا عن الدعاء . فلا بد من وقوع يوم القيامة ليجازي الله الناس حسب أعمالهم ، المؤمن والكافر ، والمحسن والمسيئ ، وهو لا يتعارض مع سعة رحمة الله عز وجل ، ونشر الله عز وجل رحمته يوم القيامة ، بدفع العذاب عمن يشاء الله بفضل منه تعالى ، ومضاعفة الصالحات وثقل الميزان وقبول الشفاعة ، والعبور على الصراط .

وعن (أبي عثمان ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : إن لله عز وجل ، مائة رحمة ، فمنها رحمة يتراحم بها الخلق ، وبها تعطف الوحوش على أولادها ، وآخر تسعاً وتسعين إلى يوم القيامة)^(٤) .

(١) سورة الأنبياء ٢٨ .

(٢) سورة آل عمران ١٩٤ .

(٣) سورة آل عمران ٩ .

(٤) تفسير ابن كثير ٤٨٢/٣ .

كما ورد الحديث (عن أبي عثمان - واسمه عبد الرحمن بن مل - عن سلمان، هو الفارسي، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم) (١).

الوجه الثالث : صلة آية البحث بقوله تعالى ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ

قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ (٢) (٣) وفيه مسائل :

المسألة الأولى : مع التباعد بين الآيات يتحد موضوع الآيتين ، فأولوا العقول الراجحة الذين سخروها في طاعة الله ، ويذكرون الله عن قيام وجلوس ، وفي كل أحوالهم ، الذين يقولون ﴿رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ (٤).

ومن سبل هداية الله للمسلمين تلاوتهم لآية البحث وهم في حال القيام والقعود في حال اضطجاعهم للإستراحة أو إرادة النوم ، أو عند الإنتباه بعد الرقود ، أو بأداء الصلاة حال العجز عن أدائها عن قيام أو جلوس لوجوب الصلاة على المكلف خمس مرات في اليوم ، ولأنها واجب مطلق غير مقيد ، مثل تقييد الصيام بالحضر والسلامة من المرض ، لقوله تعالى ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ (٥) أو تقييد حج بيت الله عز وجل بالإستطاعة .

(١) تفسير ابن كثير ٤٨٢/٣.

(٢) سورة آل عمران ١٩١.

(٣) لقد اختص الجزء السابع والثلاثون بعد المائتين من هذا السفر بتفسير هذه الآية الكريمة .

(٤) سورة آل عمران ١٩٤.

(٥) سورة البقرة ١٨٤.

قال تعالى ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا﴾^(١) لبيان حسن سمت المسلمين بدعائهم الله في كل أحوالهم ، وفي حال السعادة والإبتلاء ، والصحة والمرض ، والسراء والضراء ، ومنه وجوب الصلاة على كل مسلم ومسلمة خمس مرات في اليوم ، ولزوم تلاوة القرآن فيها ، ومن لطف الله في المقام وجوب قراءة سورة الفاتحة في كل ركعة من ركعات اليوم السبع عشرة ، وهي سورة الدعاء والثناء على الله عز وجل . وقال الإمام علي عليه السلام (فاتحة الكتاب أعطاه الله محمدا صلى الله عليه وآله وأمه ، بدأ فيها بالحمد والثناء عليه ، ثم ثنى بالدعاء لله عز وجل : ولقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : قال الله عز وجل : قسمت الحمد بيني وبين عبدي : فنصفها لي ، ونصفها لعبدي ، ولعبدي ما سأل .

إذا قال العبد : (بسم الله الرحمن الرحيم) قال الله عز وجل : بدأ عبدي باسمي حق علي أن اتم له اموره ، وبارك له في أحواله . فإذا قال : (الحمد لله رب العالمين) قال الله عز وجل : حمد لي عبدي ، و علم أن النعم التي له من عندي ، والبلايا التي اندفعت عنه بتطولي ، اشهدكم أنني أضعف له نعم الدنيا إلى نعيم الآخرة ، وأدفع عنه بلايا الآخرة ، كما دفعت عنه بلايا الدنيا .

فإذا قال : (الرحمن الرحيم)^(٢) قال الله عز وجل : شهد لي بأني الرحمن الرحيم اشهدكم لاوفرن من رحمتي حظه ، ولاجزلن من عطائي نصيبه .

فإذا قال : (مالك يوم الدين) قال الله عز وجل : اشهدكم كما اعترف بأني أنا المالك ليوم الدين ، لاسهلن يوم الحساب حسابه ، ولا تقبلن حسناته ،

(١) سورة يونس ١٢.

(٢) سورة الفاتحة ٣.

ولا تجاوزن عن سيئاته. فإذا قال العبد: (إياك نعبد) قال الله عز وجل: صدق عبدي إياي يعبد، لاثينته عن عبادته ثوابا يغبطه كل من خالفه في عبادته لي. فإذا قال: (وإياك نستعين) قال الله عز وجل بي استعان وإلى التجاء، أشهدكم لاعينته على أمره ولاغيثه في شدايده، ولاخذن بيده يوم القيامة عند نوائبه.

وإذا قال: (اهدنا الصراط المستقيم)^(١) إلى آخرها، قال الله عز وجل: هذا لعبدي ولعبدي ما سأل، قد استجبت لعبدي، وأعطيته ما أمل، وآمته مما منه وجل)^(٢).

المسألة الثانية: ابتدأت آية السياق بالاسم الموصول (الذين) مما يدل على اتصالها بالآية التي سبقتها ، والتي اختتمت بقوله تعالى ﴿لَا يَأْتِيَنَّكَ الْيَأْسُ﴾^(٣) أي الذين يتخذون عقولهم وسيلة للتفكير والتدبر في خلق السموات والأرض ، والإقرار بوجود صانع لها لا يقدر على خلقها واستدامتها غيره ، وفي التنزيل ﴿إِنَّ اللَّهَ يُسَكِّنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَتَنْزِلَ إِلَيْكُم مِّنْ أَمْسِكُهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾^(٤).

ولا يختص التفكير في بدائع الخلق بأصحاب المعارف والكسب العلمي ، إنما هو أمر فطري عند الناس جميعاً ، وفيه حجة عليهم (سئل بعض الأعراب ما الدليل على وجود الصانع؟ فقال : إن البعرة تدل على البعير ، وآثار القدم تدل على الميسر فهيكلك علوي بهذه اللطافة ومركز سفلي بهذه الكثافة أما يدلان على وجود الصانع الخبير)^(٥).

(١) سورة الفاتحة ٦.

(٢) البحر ٨٢/٦٠.

(٣) سورة آل عمران ١٩٠.

(٤) سورة فاطر ٤١.

(٥) تفسير الخازن ٣٥١/١.

لذا نسب الله عز وجل التفكير في الخلائق إلى أولي الألباب في قوله تعالى
 ﴿قَبْلَ أَرْبَعِ آيَاتٍ ﴿١﴾ إِنْ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ
 لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ (١).

وهل يدل قوله تعالى ﴿لأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ على تكليف المشركين بالفروع
 كتكليفهم بالأصول ، المختار نعم .

المسألة الثالثة : من معاني ﴿وَأَتَيْنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ﴾ (٢) بلحاظ آية
 السياق أي ما وعد الله الذاكرين له على كل حال ، وهيئة هم فيها ، إذ جاء
 الأنبياء بالبشارة للدائنين على ذكر الله باللبث الدائم في الجنة ، وفي الجمع
 بين الآيتين بعث للمسلمين على تعاهد الصلاة ، وذكر الله خارج الصلاة ،
 وإدراك قانون ذكر الله كنز وذخيرة ، وقانون ذكر الله واقية من الخزي يوم
 القيامة .

لقد سأل المسلمون الله عز وجل الوقاية والنجاة من خزي يوم القيامة ،
 ونزلت آية السياق لبيان السبيل لهذه النجاة بأنه ذكر لله في كل حال ، قال
 تعالى ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى * وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى﴾ (٣) لبيان قانون التضاد
 بين الفلاح والخزي في الآخرة ، ولقانون ذكر الله حصن ، قال تعالى
 ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ (٤).

وروي عن الإمام الصادق عليه السلام (قال : من حزبه أمر فقال
 خمس مرات : ربنا ، أنجاه الله مما يخاف وأعطاه ما أراد. قيل له : وكيف
 ذلك.

(١) سورة آل عمران ١٩٠.

(٢) سورة آل عمران ١٩٤.

(٣) سورة الأعلى ١٤-١٥.

(٤) سورة آل عمران ١٠٣.

قال : اقرؤا إن شئتم الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً إلى قوله تعالى الميعاد^(١).

لقد تكرر نداء الإستغاثـة ﴿رَبَّنَا﴾ في هذه الآيات خمس مرات ، وفي هذا التعدد مصداق لذكرهم الله عز وجل ، لتجلى الإستجابة والثواب في العاجل في الآية التالية ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ﴾.

المسألة الرابعة : لقد أختتمت آية السياق بقوله تعالى ﴿فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾^(٢) ، وتضمنت آية البحث سؤال النجاة والسلامة من الخزي يوم القيامة ، والنسبة بينهما عموم وخصوص مطلق ، فدخول النار خزي ، وليس كل خزي هو دخول للنار .

ليبان فضل الله عز وجل في هداية المسلمين والمسلمات للدعاء الأعم والشامل ، وفيه دلالة على تسليمهم بيوم القيامة وخلق الله عز وجل النار ، لتكون محلاً لإقامة المجرمين والذين اسرفوا وعلى أنفسهم وأنكروا عالم الجزاء .

ودخول طائفة من الناس النار أمر معروف من أيام آدم وهو متوارث في الأجيال ، إذ قال هابيل لما عزم أخوه قابيل على قتله ﴿إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ﴾^(٣).

وجاءت آيات بصيغة المضارع تتضمن دخول الكافرين النار ، قال تعالى ﴿وَمَنْ يُرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾^(٤).

(١) الكشف والبيان للثعلبي ٣١٩/٣.

(٢) سورة آل عمران ١٩١.

(٣) سورة المائدة ٢٩.

(٤) سورة البقرة ٢١٧.

ليبان عدم إحصار الدخول في النار بالكافرين من الأمم السالفة ، إنما يشمل الذين يموتون على الكفر والجحود إلى يوم القيامة ، وفي البعث على السعي للنجاة من النار ، والترغيب في دخول الجنة ، قال تعالى ﴿لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾^(١).

المسألة الخامسة : لقد جعل الله عز وجل الإنسان ﴿فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾^(٢) وتفضل عليه بالنعم ظاهرة وباطنة ، ولا يحصي كثرتها كما وكيفاً ونوعاً إلا الله عز وجل ، وفي التنزيل ﴿وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾^(٣).

وهل دعاء الناس وسؤالهم الحاجات من الله عز وجل من هذه النعم ، الجواب نعم .

ولا يعلم منافع الدعاء إلا الله عز وجل ، ومنها تقريب وتوالي النعم ، والنجاة من الخزي في الدنيا والآخرة ، وهل تأتي نعم مستحدثة بالدعاء والسؤال من الله على نحو القضية الشخصية أو العامة ، الجواب نعم ، وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾^(٤).

ومن أعظم النعم على الإنسان في الدنيا (نعمة الدعاء) وهو باب عام ، ثم خص الله عز وجل المؤمنين وهداهم إليه ، وتفضل الله على المسلمين وأنزل آيات قرآنية كثيرة تتضمن الدعاء ليجتمع فيها الثواب من جهات :
الأولى : ثواب تلاوة القرآن كونه كتاباً نازلاً من عند الله عز وجل .

الثانية : ثواب قراءة آيات الدعاء بقصد القرآنية .

الثالثة : ثواب التدبر في الآية القرآنية موضوعاً وحكماً وإعجازاً .

الرابعة : قانون تلاوة القرآن عبادة لله عز وجل .

(١) سورة الحشر ٢٠.

(٢) سورة البقرة ٣٠.

(٣) سورة النحل ١٨.

(٤) سورة الرحمن ٢٩.

المسألة السادسة: ، وفي قوله تعالى ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾^(١) حذف ، وتقديره (ويتفكرون في خلق الله للسموات والأرض) ، إذ يصاحب هذا التفكير التسليم بأن الله عز وجل هو خالق السموات والأرض ، بدليل آخر الآية ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا﴾ .

ومع بعد السموات عن الناس بملايين الكيلو مترات جاء اسم الإشارة للقريب المتحد (هذا) في ﴿مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا﴾ .

ولم تقل الآية (ماخلقت ذلك) لبيان نتيجة ومنافع التفكير في الخلائق بقربها من الوجود الذهني ، وأن المسلم يراها بالبصيرة وهو من فضل الله عز وجل في هداية المسلمين إلى التفكير في الخلائق وإتخاذ هذا التفكير على وجوه :

الأول : إنه مناسبة للفقاهة والخشية من الله عز وجل .

الثاني: التقيد بأحكام الشريعة .

الثالث : التسليم بأن الله عز وجل رب الكائنات كلها .

لذا يتلو كل مسلم ومسلمة سبع عشرة مرة في اليوم ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ

الْعَالَمِينَ﴾^(٢) ، ولتبدأ آية البحث بنداء الإستجارة (ربنا) .

وتدل آية البحث على معنى من معاني ﴿مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا﴾^(٣) ، في آية

السياق وهو قانون الدنيا زائلة ، وهي مزرعة للأخرة ، وتكرر الشواهد عليه في كل ساعة بمغادرة الأحبة والأعداء في آجالهم وكذا الصالحين والمفسدين .

فذكرت آية البحث يوم القيامة وتضمنت السؤال والدعاء بالسلامة من الخزي يومئذ .

(١) سورة آل عمران ١٩١ .

(٢) سورة الفاتحة ٢ .

(٣) سورة آل عمران ١٩١ .

ومن معاني الجمع بين الآيتين بيان سبل الوقاية من الخزي يوم القيامة ، ومنها بلحاظ آية السياق أمور :

الأول : قانون إتخاذ العقل مادة ووسيلة للإيمان ، (عن أبي أمامة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : لما خلق الله العقل قال له : أقبل ، فأقبل ، ثم قال له : أدبر ، فأدبر ، فقال : وعزتي ما خلقت خلقا أعجب إلي منك ، بك آخذ ، وبك أعطي ، وبك الثواب ، وعليك العقاب)^(١) .

الثاني : قانون المداومة على ذكر الله حرز من الخزي يوم القيامة .

الثالث : قانون التفكير في خلق الله للسموات والأرض عبادة .

الرابع : مواظبة المسلمين اليومية على قول ﴿ربنا﴾ واقية من الخزي يوم القيامة ، وتحقق مصاديق هذه المداومة بأدائهم للصلاة اليومية جماعة وفرادا .

الخامس : قانون تنزيه مقام الربوبية وقول ﴿سُبْحَانَكَ﴾ أدب في العبودية ، وبرزخ دون الخزي يوم القيامة بشهادة اللسان والجوارح والأركان للمسلم .
السادس : قانون شهادة القرآن للمسلم بتلاوته لآياته نجاة من الخزي يوم القيامة .

(و) عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : سورة في القرآن خاصمت عن صاحبها حتى أدخلته الجنة { تبارك الذي بيده الملك }^(٢) ^(٣) .

السابع : بيان قانون وهو بعد الثناء على الله عز وجل يأتي السؤال والحاجة ، وذكرت خاتمة آية البحث حاجات الآخرة ﴿فَقَتَا عَذَابَ النَّارِ﴾^(٤) .

المسألة السابعة : من إعجاز القرآن مجئ الدعاء بالمعنى الأعم ومنه :

(١) الطبراني / المعجم الأوسط ٢٥/١٦ .

(٢) سورة الملك ١ .

(٣) الدر المنثور ٦٣/١٠ .

(٤) سورة آل عمران ١٩١ .

الأول : يأتي الدعاء للدنيا ويشمل في مفهومه ونفعه عالم الآخرة ، كما في سؤال الهداية والصلاح ، ومنه قوله تعالى ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾^(١) .

الثاني : يأتي الدعاء لحاجات الآخرة ويتضمن في معناه ودلالته أمور الدنيا ، فتدل خاتمة آية السياق ﴿ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾^(٢) على سؤال إصلاح النفوس وعالم الأفعال لولوج القبر بالإيمان ، ومغادرة الدنيا بالتقوى وأداء الفرائض العبادية ، قال تعالى ﴿ وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ ﴾^(٣) .

الثالث : تفضل الله سبحانه بترغيب الناس بالدعاء ومجئ الآيات بصيغة الأمر ﴿ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾^(٤) ، ومن علم الإحصاء قانون إحصاء عدد آيات الدعاء في القرآن .

المسألة الثامنة : هل التفكير في خلق الله للسموات والأرض برزخ دون الحزني يوم القيامة الذي تذكره آية البحث ، الجواب نعم من وجوه :

الأول : قانون التفكير والتدبر بأن الله عز وجل هو خالق السموات والأرض أمان وحرز .

الثاني : التسليم بأن الله عز وجل هو حافظ السموات والأرض والذي يمنع من زوالها ، ومن وقوع السموات بعضها على بعض أو سقوطها على الأرض ، ونزلت آيات بهذا الخصوص منها ﴿ إِنْ أَلَّهَ يُنْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا... ﴾^(٥) أي لا تنزاح عن أماكنها وتضطرب وتزول .

(١) سورة الفاتحة ٦ .

(٢) سورة آل عمران ١٩١ .

(٣) سورة آل عمران ١٤٥ .

(٤) سورة غافر ٦٠ .

(٥) سورة فاطر ٤١ .

﴿وَيُؤَسِّدُ السَّمَاءَ أَنفَ تَقَعَّ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُءُوفٌ رَحِيمٌ﴾^(١) لبيان حلم الله عز وجل على الناس فيرى الله عز وجل الناس يعصون ويكفرون ، ويتقاتلون ، فيمهلهم الله ، وتدوم عليهم النعم ، ويستمر عليهم ، ويقربهم إلى منازل الذين يتفكرون في خلق الله للسموات والأرض ، وإمساكها في أماكنها .

وقد ثبت علمياً أن الأرض كروية ، وتدور حول نفسها كل أربع وعشرين ساعة ، ليكون الليل والنهار ، وشروق الشمس وغروبها كل يوم ومنذ أكثر من أربعة مليارات سنة شاهداً على عجز أجيال الخلائق والملائكة عن إمساك الأرض في مكانها ، وعن جعلها تدور حول نفسها .

وكان القدماء يظنون أن الشمس والقمر والكواكب تتحرك وتدور حول الأرض ، وأن الأرض ثابتة ، وهي مركز الكون ، ليكون من بديع صنع الله عز وجل قانون دوران الأرض من غير أن يشعر به الناس ، ودلت عليه المركبات الفضائية وعلوم الفلك وصوره ، كما يدل عليه المد والجزر في البحار والمحيطات .

الثالث : قانون الأجر والثواب على التفكير بخلق الله للسموات والأرض.

الرابع : قانون التفكير في خلق السموات والأرض زاجر عن فعل المعاصي ، لإمتلاء الوجود الذهني بالخشية من الله عز وجل في السر والعلانية.

الخامس : قانون عدم إنحصار ذكر الله بأوقات أداء الصلاة الخمس ، والتي يكون مجموع وقتها ومقدماتها نحو واحد من خمسين تقريباً من يوم وليلة الإنسان إنما هناك التفكير في خلق السموات والأرض ، والذكر

والتسبيح ، قال تعالى ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾^(١).

وكان النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم يدعو إلى الله عز وجل سراً وعلانية في مكة ثلاث عشرة سنة ، ويتلو آيات القرآن على قريش ، وعُمار المسجد الحرام ، ويتحمل الأذى الشديد من الذين كفروا ، وبعث طائفة من أصحابه إلى الحبشة للأمن على نفوسهم ودينهم ، وليكونوا أول سفراء في الإسلام ، ويصبح ثباتهم على الإسلام بين قوم نصارى أهل الكتاب حجة في صدق رسالة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم مع حسن جوار النجاشي لهم (وعددهم ثلاثة وثمانون رجلاً وتسع عشرة امرأة)^(٢). وثبتوا على دينهم إلا واحداً هو عبيد الله بن جحش الذي تنصر هناك فتزوج النبي صلى الله عليه وآله وسلم زوجته أم حبيبة .

وبعد هجرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه إلى المدينة علم رؤساء قريش بصيرورة أنصار للنبي من الأوس والخزرج وانتشرت معالم الأخوة بينهم وبين المهاجرين .

وبنى النبي صلى الله عليه وآله وسلم المسجد النبوي وانتشار المساجد في المدينة (يثرب) .

فجهزوا الجيوش لقتل النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، ولنع نزول آيات القرآن ، وجعل أصحاب النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بين قتيل وأسير ، خاصة المهاجرين ليشتت بهم أهل مكة ، ولوقف دخول أهلها المتسارع الإسلام وكانت جيوشهم كثيرة في عدد رجالها وعدتها وخيلها وسلاحها ، فكانت معركة بدر في شهر رمضان من السنة الثانية للهجرة ، ثم معركة الخندق في شهر شوال من السنة الخامسة للهجرة التي زحف فيها عشرة آلاف رجل من المشركين نحو مدينة رسول الله صلى الله

(١) سورة السجدة ١٥.

(٢) أنظر زاد المعاد ٢٠/٣.

عليه وآله وسلم ليضطر وأصحابه لحفر خندق حولها بمشورة سلمان الفارسي ، وقال تعالى ﴿ إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَنَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا ﴾^(١).

وكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه طيلة هذه السنوات يقظين حذرين ، حاملين للسلاح صباحاً ومساءً ، ويحرس الصحابة في الليل النبي محمداً ومداخل وأطراف المدينة .

(فقال رجل : ما يأتي علينا يوم نأمن فيه ونضع عنا السلاح فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : لا تغبرون إلا يسيراً حتى يجلس الرجل منكم في الملأ العظيم محتبياً ليس فيه حديده)^(٢).

وأنزل الله سبحانه ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾^(٣).

المسألة التاسعة : تقدير الجمع بين آية السياق وأول آية البحث على وجوه :

الأول : ربنا وآتنا ما وعدت الذين يذكرونك قياماً ما وعدتهم على السنة رسلك .

الثاني : ربنا وآتنا ما وعدت الذين يذكرونك قعوداً ما وعدتهم على السنة رسلك .

الثالث : ربنا وآتنا ما وعدت الذين يذكرونك على جنوبهم ما وعدتهم على السنة رسلك .

(١) سورة الأحزاب ١٠ .

(٢) الثعلبي / الكشف والبيان ٣٤٦/٩ .

(٣) سورة النور ٥٥ .

الرابع : ربنا إننا نذكرك قياماً وقعوداً وعلى جنوبنا فأنتا ما وعدتنا على رسلك إنك لا تخلف الميعاد .

ومن معاني هذا التقدير ثناء المسلمين على أنفسهم لخصال الإيمان التي يتصفون بها ، وتعاهدهم للفرائض العبادية ، وسنن التقوى .

المسألة العاشرة : وردت كلمة (سبحانك) تسع مرات في القرآن ، وكذا ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ﴾ .

ووردت هذه الكلمة المباركة بصيغ أخرى منها ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا...﴾^(١) و﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّيَ...﴾^(٢) و﴿يَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا...﴾^(٣) و﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾^(٤) و﴿سُبْحَانَ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾^(٥) و﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ﴾^(٦) .

و﴿دَعَاؤُهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ﴾^(٧) وورد هذا الدعاء مرة واحدة في القرآن بخصوص أهل الجنة .

ليبيان تنزيه المسلمين من الأولين والآخرين لمقام الربوبية وعشقهم لهذا التنزيه ، وطمعهم في رحمة الله وهباته وعطاياه وإمهاله للناس ، ومنها دلالة آية السياق .

وقد وثق القرآن قول الملائكة (سبحانك) يوم خلق الله عز وجل آدم ، فهل اقتبسها آدم منهم ، الجواب لا ، لتقدم تعليم الله عز وجل آدم الأسماء

(١) سورة الإسراء ١ .

(٢) سورة الإسراء ٩٣٢ .

(٣) سورة الإسراء ١٠٨ .

(٤) سورة الصافات ١٨٠ .

(٥) سورة الزخرف ٨٢ .

(٦) سورة البقرة ١١٦ .

(٧) سورة يونس ١٠ .

كلها ومنها (سبحانك) قال تعالى ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ * قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿١﴾.

ليان اشتراك الملائكة والناس في مناجاة الله عز وجل والثناء عليه بالقول ﴿سُبْحَانَكَ﴾ وهو من مصاديق احتجاج الله عز وجل على الملائكة ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾^(٢)، حينما تساءلوا عن جعل الإنسان ﴿فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾^(٣).

المسألة الحادية عشرة : من الآيات أن دعاء أهل الجنة ﴿سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ﴾^(٤) لما يرون من عظيم النعم ودوامها ، والملائكة من حولهم ، ليكون تنزيه مقام الربوبية مصاحباً للناس في الدنيا والآخرة. وهل يقول أهل النار ﴿سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ﴾ ، الجواب نعم ، لمخاطبة الملائكة خزان النار لهم كما ورد في التنزيل ﴿قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾^(٥).

ولأن دعاءهم لا ينفعهم ، لأن الآخرة دار حساب وجزاء ، وليس دار عمل ، لتدل آية البحث والسياق على فوز المؤمنين في الآخرة لإتحادهم الدنيا دار الدعاء والتضرع إلى الله عز وجل . وعن الإمام علي عليه السلام قال (قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا تعجزوا عن الدعاء فإن الله أنزل عليّ { ادعوني أستجب لكم } {

(١) سورة البقرة ٣١-٣٢.

(٢) سورة البقرة ٣٠.

(٣) سورة البقرة ٣٠.

(٤) سورة يونس ١٠.

(٥) سورة غافر ٥٠.

فقال رجل : يا رسول الله ربنا يسمع الدعاء أم كيف ذلك؟ فأنزل الله { وإذا سألك عبادي عني فإني قريب . . . } ^(١) (الآية) ^(٢).

لقد جعل الله عز وجل صلة الملائكة مع الناس في الحياة الدنيا تبليغ الأنبياء الوحي ، والنزول حيث يأمرهم الله عز وجل ، كما في معركة بدر، قال تعالى ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِالْفِئَةِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴾ ^(٣) والتقيد بطاعة الله ورسله ، ومنه أداء الفرائض العبادية ، قال تعالى ﴿ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴾ ^(٤).

و(عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لجبريل : ما منعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا قال : فنزلت هذه الآية { وما ننزل إلا بأمر ربك }) ^(٥).

(وقال مجاهد ﴿ أبطأ الملك على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثم أتاه فقال : ما الذي أبطأك ؟

قال : كيف نأتيكم وأنتم لا تقصون أظفاركم ولا تأخذون من شواربكم ولا تتقون رواجبكم وأنتم لا تستاكون ﴾) ^(٦).
فنزلت الآية ﴿ وَمَا تَنْزَلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ ﴾ ^(٧).

(١) سورة البقرة ١٨٦.

(٢) الدر المنثور ١/٣٩٠.

(٣) سورة الأنفال ٩.

(٤) سورة النور ٥٤.

(٥) تفسير القرطبي ١١/١١٨.

(٦) تفسير القرطبي ١١/١١٨.

(٧) سورة مريم ٤٦.

وقد نزلت آيات القرآن بالثناء على النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته وأصحابه .

من وجوه التفكير في السموات والأرض

لقد أخبرت آية السياق عن تفكر المسلمين بخلق السموات والأرض ، ومن معاني التفكير في المقام وجوه :

الأول : قانون لا يقدر على خلق السموات والأرض إلا الله عز وجل .

الثاني : عائدة ملكية السموات والأرض لله عز وجل ، فهو وحده المالك لها ، وفي التنزيل ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(١).

الثالث : قانون ملكية الله للسموات والأرض رحمة بالخلائق فلم يجعل الله عز وجل ملكيتها أو جزء منها لغيره سبحانه ، لبيان مصداق كوني بنفي الشريك لله عز وجل .

الرابع : تسليم المسلمين بعلم الله عز وجل بما في السموات والأرض ، فلا يقع أمر فيها إلا ويعلمه الله ، ولا يكون وقوعه إلا باذن ومشئته من الله ، وفي التنزيل ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾^(٢).

الخامس : تسخير الله ما في السموات والأرض للناس ، قال تعالى ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾^(٣).

(١) سورة آل عمران ١٨٩.

(٢) سورة آل عمران ٥.

(٣) سورة البقرة ٢٩.

ومن الإعجاز في نظم وترتيب سور وآيات القرآن والشواهد على أنه توقيفي مجئ الآية أعلاه لتعقبها آية الخلافة في الأرض .

ومن وجوه هذا التسخير انتفاع الناس من الثروات على سطح الأرض ، والخزائن التي في باطنها كما في استخراج الذهب والنفط والغاز والمعادن منها ، وفيها قال تعالى ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا رِوَاسِيًا مِّنْ فَوْقِهَا وَبَارَكْنَا فِيهَا وَقَدَّرْنَا فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءٍ لِّلنَّاسِ لِيُنْفَكُوا﴾^(١).

ومنه إتخاذ الناس خلق السموات والأرض مادة للإقرار بأن الله هو الذي خلقها ، والإنصات إلى الرسل في الأوامر والنواهي التي جاءوا بها من عند الله عز وجل .
لذا ذكرت هذه الآيات خلق السموات والأرض والتفكر فيها ثم جاء بعدها الدعاء المتعدد والمتكرر .

تقدير الجمع بين آية السياق والبحث

وفيه وجوه :

الأول : الذين يذكرون الله قياماً يقولون ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك .

الثاني الذين يذكرون الله قعوداً يقولون ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك .

الثالث : الذين يذكرون الله على جنوبهم يقولون ربنا آتنا ما وعدتنا على رسلك .

الرابع : الذين يتفكرون في خلق السموات يقولون ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك .

الخامس : الذين يتفكرون في خلق الأرض يقولون ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك .

السادس : الذين يقولون ربنا ما خلقت هذا باطلاً ، ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك .

السابع : الذين يقولون ربنا سبحانك ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك .

الثامن : الذين يقولون ربنا فقنا عذاب النار ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك .

ويتكرر تقدير مثل هذه الوجوه الثمانية مع قوله تعالى ﴿وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ ، مثل الذين يذكرون الله قياماً يقولون ربنا لا تخزنا يوم القيامة .

وتقدير وجوه ثمانية أخرى مع قوله تعالى ﴿إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾^(١) ، ومنه : الذين يذكرون الله قياماً يقولون ربنا إنك لا تخلف الميعاد .

وكل وجه من هذه الوجوه يلزم البيان والتفصيل ، واقتباس القوانين والقواعد منه ، لبيان أن علم الصلة بين آيات القرآن كنز وخزينة .

قانون الترغيب بمجالس الذكر

لقد ابتدأت آية السياق بقوله تعالى ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ﴾ للثناء على

المسلمين لأدائهم الصلاة على كل حال ، قال تعالى ﴿ذَلِكَ ذِكْرِي

لِلذَّاكِرِينَ﴾^(٢) أي الذين يذكرون الله عز وجل على كل حال ، وفي السراء

والضراء ، والصحة والمرض ، والعافية والإبتلاء .

(عن أنس عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : ما من قوم

اجتمعوا يذكرون الله لا يريدون بذلك إلا وجهه إلا ناداهم مناد من السماء

أن قوموا مغفوراً لكم ، قد بدلت سيئاتكم حسنات)^(٣) .

(١) سورة آل عمران ١٩٤ .

(٢) سورة هود ١١٤ .

(٣) الدر المنثور ١/٣٠٠ .

وفيه ترغيب بمجالس الذكر وطلب العلم ، ودروسه المنهجية أو العامة والعقوبة ، والمنبر النبوي والإنصات لخطيب الجمعة ، قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾^(١).

وجاءت الآية بصيغة المضارع لبيان وجود أمة ذاكرة لله عز وجل في كل زمان ، لا تغادر الذكر ، وهو من مصاديق خلافة الإنسان في الأرض ، وأسباب استدامة الحياة الدنيا ، لينتفع منها البر والفاجر لبيان فضل المؤمنين بالله على عامة أهل الأرض ، وهو من أسرار بعثة الأنبياء ، ليتجلى قانون النبوة سبب إستدامة الحياة الدنيا ، فلولا بعثة الأنبياء ونزول الكتب السماوية لما عمرت الأرض بذكر الله وتقريب الله الناس لعبادته لساخت الأرض بأهلها وورد في التنزيل ﴿قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ﴾^(٢).

والنسبة بين الذكر والدعاء عموم وخصوص مطلق فالذكر أعم ، وهل الصيام منه أم أن القدر المتيقن منه هو الذكر باللسان وأداء الصلاة ، المختار هو الأول ، فالصيام من الذكر (عن عبد الله بن أبي أوفى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : نوم الصائم عبادة ، وصمته تسبيح ، وعمله مضاعف ، ودعاؤه مستجاب ، وذنبه مغفور)^(٣).

وعن الإمام جعفر الصادق عليه السلام (قال: نوم الصائم عبادة، وصمته تسبيح وعمله متقبل، ودعاؤه مستجاب)^(٤).

(١) سورة الجمعة ٩.

(٢) سورة الفرقان ٧٧.

(٣) الدر المنثور ١/٣٦٢.

(٤) البحار ٩٣/٢٥٣.

تكرار ضمير الجمع (نا) في آية البحث والسياق

لقد تكرر ضمير الجمع (نا) أربع مرات في آية البحث مع قلة كلماتها وتتضمن سؤال النعمة ، والوقاية من النعمة ، أما آية السياق فقد ابتدأت بصيغة الغائب ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ﴾ في وصف وثناء من عند الله عز وجل عليهم ، ثم انتقلت إلى لغة الخطاب والدعاء ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾^(١) لبيان انتفاع المسلمين من ثناء الله عز وجل عليهم بالمبادرة إلى الدعاء ، والمسألة للنجاة في الآخرة ، وتأكيده قانون أولوية الدعاء لعالم الحساب والآخرة .

وهل تكون تلاوة المسلم لآية البحث دعاء لنفسه وللمؤمنين ، الجواب نعم ، وهو من مصاديق صيغة الجمع في آية البحث ، لبيان قانون صيغة الجمع في القرآن رحمة عامة .

ومع ابتداء آية السياق بصيغة الجمع الغائب ، فإنها عادت إلى صيغة الجمع للمتكلمين وتكرار الضمير (نا) مرتين ، بقوله تعالى ﴿رَبَّنَا﴾ ﴿فَقِنَا﴾ . لقد بدأت آية السياق بالشهادة من الله عز وجل للمسلمين بالإِنقطاع إلى ذكره ثم هدايتهم إلى الدعاء للأمن من العذاب الأخروي .

كثرة آيات خلق السموات والأرض

من الإعجاز في آية السياق جمعها بين ذكر المسلمين لله عز وجل على كل حال ، وتفكرهم في خلق السموات والأرض مع التسليم بأن الله عز وجل هو الذي خلقها .

ومن إعجاز القرآن كثرة الآيات التي تذكر خلق السموات والأرض ، وتبين أن الله عز وجل هو الذي خلقها وسواها ، وفيه مسائل :
الأولى : ثناء الله عز وجل على نفسه ببديع صنعته .

(١) سورة آل عمران ١٩١ .

الثانية : قانون خلق السموات والأرض دليل على وجوب عبادة الناس لله عز وجل .

الثالثة : قانون إفراد الله عز وجل ببدیع الخلق العظيم ، وقد بين الله عز وجل مدة خلق السموات والأرض ، قال تعالى ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ...﴾^(١).

الرابعة : قانون كل الخلائق من صنع الله عز وجل وهي ملك له ، وقال تعالى ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَّاءٍ﴾^(٢).

الخامسة : قانون تسخير ما في السموات والأرض للناس ، وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾^(٣)، وهل دعاء أجيال المسلمين في آية البحث من هذا التسخير والإنتفاع من السموات والأرض ، الجواب نعم ، وكل جزء من الكون دليل على خلق الله له ، وضرورة عبادته والإستجابة لما جاء به الرسل .

وهل معجزات الأنبياء من مصاديق خلق الله ، الجواب نعم ، وفي التنزيل ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى﴾^(٤). وتشير الآية أعلاه إلى الكنوز التي تحت الأرض من الذهب والنفط والمعادن ، والتي هي أهم أسباب الغنى والثراء والنفع العام في هذا الزمان ، مما يدل على لزوم شكر الذين يستخرجونها والذين ينتفعون منها لله عز وجل .

(١) سورة هود ٧.

(٢) سورة النور ٤٥.

(٣) سورة البقرة ٣٠.

(٤) سورة طه ٦.

والإحتراز من سخطه وغضبه الذي يأتي عن الكفر والجحود ، قال تعالى ﴿وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌ كَرِيمٌ﴾^(١).. وهل تلاوة المسلم لآية البحث من الشكر لله عز وجل ، الجواب نعم ، لبيان حسن السمات بالتلاوة ، وترتب الثواب عليها بفضل من الله عز وجل.

وعن (أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : من قرأ حرفاً من القرآن كتب الله له عشر حسنات : بالباء ، والتاء ، والثاء)^(٢). وتبين آيات خلق السموات والأرض ، وتفكر الناس فيها أن العفو والتجاوز عن ذنوب الناس أمر هين على الله عز وجل ، ولا ينقص من خزائنه .

لذا سأل المسلمون الله عز وجل في آية البحث ما وعدهم على لسان النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، وما أخبر به القرآن من بشارات الأنبياء ، وسألوا الله سبحانه السلامة من الخزي يوم القيامة ، قال تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّنْ تَبُورَ * لِيُؤْتِيَهُمُ أَجْرَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾^(٣) لبيان إضافة الهبات والعطايا من فضل الله للذين يتلون القرآن بالإضافة إلى أجرهم ، وما كتب لهم من الثواب.

وفضل الله في المقام على مراتب متعددة في كثرته ، لذا فان الدعاء في آية البحث ، والتفكر في الخلق في آية السياق وسيلة مباركة لزيادة فضل الله ، ورجحان الحسنات في الميزان يوم القيامة .

(١) سورة النمل ٤٠.

(٢) الدر المنثور ١٥/١ .

(٣) سورة فاطر ٢٩-٣٠.

إعجاز آيات الدعاء

من الإعجاز في آيات الدعاء بأن تتوالى عدة آيات كلها سؤال وتضرع من المسلمين إلى الله عز وجل ، لبيان وجوه :

الأول : قانون القرآن كتاب الهداية إلى الدعاء ، قال تعالى ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾^(١) لبيان دعوة القرآن للتوحيد ، وإرشاده للتصديق بالأنبياء والرسل ، والإقرار باليوم الآخر ، وبعثه على التدبر في بديع صنع الله في الخلق ، وحضه على الدعاء الذي فيه نفعه في النشأتين ، قال تعالى ﴿وَيَدْعُ الْإِنْسَانَ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ...﴾^(٢) والمراد من الإنسان عموم الجنس البشري لبيان عدم معرفة الإنسان بما فيه مصلحته خاصة عند الغضب .

فنزلت آيات البحث لهداية المسلمين إلى الدعاء بالخير ، وصيرورته ملكة ثابتة عندهم مجتمعين ومتفرقين ، لتبعث هذه الآيات السكينة وتوقظ الأمل والرغائب في النفوس ، لصدور الدعاء من مضامين آية السياق التي تتضمن إقرار المسلمين بأن الله عز وجل رب العالمين ، وهو خالق كل شئ ، ليدل بالدلالة التضمنية على قدرته وحده على الإستجابة للدعاء .

الثاني : موضوعية الدعاء في الإسلام .

الثالث : قانون : المسلمون أمة الدعاء والمسألة .

الرابع : من مصاديق قوله تعالى ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾^(٣) ، قانون الحياة

الدنيا دار الدعاء .

(١) سورة الإسراء ٩.

(٢) سورة الإسراء ١١.

(٣) سورة المائدة ٧.

الخامس : من مصاديق الآية التالية ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ...﴾^(١) قانون الدنيا دار الإستجابة من عند الله ، وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾^(٢) ، إذ يمين الله عز وجل على الخلفاء في الأرض بهدايتهم للدعاء ومسألته والإستجابة لهم .

قانون ملازمة قول ﴿سُبْحَانَكَ﴾ الناس في الدنيا والآخرة

من علم الله عز وجل أن الإنسان يشترك مع الملائكة في تنزيه مقام الربوبية ، وهل يبعث هذا الإشتراك الملائكة على الدعاء للمؤمنين والإستغفار لهم ، الجواب نعم ، وهو من مصاديق رد الله عز وجل على الملائكة ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾^(٣) عندما تساءلوا عن جعل الإنسان ﴿فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾^(٤).

ومن الناس من يفسد في الأرض ، ومنهم من يقتل غيره ظلماً ، هذا القتل الذي بدأ بين ابني آدم إذ قتل أحدهما الآخر .
الجواب نعم ، فلقد رأى وسمع ويسمع الملائكة المؤمنين في كل زمان يلهجون بقول ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ﴾ ويعمرون الأرض بالتسبيح والتهليل والتكبير ، ويخاطب المسلمون الله عز وجل بكلمة ﴿سُبْحَانَكَ﴾ ضمن آية الإقرار بخلقه للسموات والأرض ، ومشيتته المطلقة ، لتأتي آية البحث لسؤال الله عز وجل بعظمته .
و(سبحانك) لفظ وقول يجري على اللسان ، ومن لطف الله عز وجل فيه وجوه :

(١) سورة آل عمران ١٩٥ .

(٢) سورة البقرة ٣٠ .

(٣) سورة البقرة ٣٠ .

(٤) سورة البقرة ٣٠ .

الأول : الأجر العظيم الذي يترتب عليه بالذات وبصفة القرآنية إذا كان من تلاوة القرآن .

الثاني : من الآيات ترشح هذا القول المبارك على الجوارح والأركان بالإهتمام لفعل الصالحات طاعة لله عز وجل .

الثالث : سبحان الله مادة للإحتجاج والدعوة إلى عبادة الله .

الرابع : قانون ﴿سُبْحَانَكَ﴾ طريق مستقيم إلى الجنة بدليل نطق أهل الجنة بها بقوله تعالى ﴿دَعَاؤُهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّاتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَأَخْرَجُوا عَنْهَا أَنْبَاءَ الْحَمْدِ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(١) وعن الإمام الحسن علي عليه السلام قال (جاء نفر من اليهود إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: يا محمد أنت الذي تزعم أنك رسول الله وأنتك الذي يوحى إليك كما أوحى إلى موسى بن عمران ؟ فسكت النبي صلى الله عليه وآله ساعة ثم قال: نعم أنا سيد ولد آدم ولا فخر، وأنا خاتم النبيين وإمام المتقين ورسول رب العالمين. قالوا: إلى من ؟

إلى العرب أم إلى العجم أم إلينا. فأنزل الله تعالى هذه الآية " قل " يا محمد " يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا.

قال اليهودي الذي كان أعلمهم: يا محمد إني أسألك عن عشر كلمات أعطى الله موسى بن عمران في البقعة المباركة حيث ناجاه لا يعلمها إلا نبي مرسل أو ملك مقرب، قال النبي صلى الله عليه وآله: سلني قال: أخبرني يا محمد عن الكلمات التي اختارهن الله لابراهيم عليه السلام حيث بنى البيت، قال النبي صلى الله عليه وآله: نعم " سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر .

قال اليهودي : فبأي شئ بني هذه الكعبة مربعة .

قال النبي صلى الله عليه وآله: بالكلمات الأربع، قال: لاي شئ سميت الكعبة .

قال النبي: لانها وسط الدنيا، قال اليهودي: أخبرني عن تفسير " سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر " قال النبي صلى الله عليه وآله: علم الله عز وجل أن بني آدم يكذبون على الله فقال " سبحان الله " تبريا مما يقولون.

وأما قوله: " الحمد لله " فإنه علم أن العباد لا يؤدون شكر نعمته فحمد نفسه قبل أي يحمده، وهو أول الكلام، لولا ذلك لما أنعم الله على أحد بنعمته، فقوله: " لا إله إلا الله " يعني وحدانيته، لا يقبل الله الاعمال إلا بها وهي كلمة التقوى يثقل الله بها الموازين يوم القيامة.

وأما قوله : الله أكبر " فهي كلمة أعلى الكلمات وأحبها إلى الله عز وجل، يعني أنه ليس شئ أكبر مني، لا تفتح الصلاة إلا بها لكرامتها على الله وهو الاسم الاعز الاكرم .

قال اليهودي: صدقت يا محمد فما جزاء قائلها ؟ قال: إذا قال العبد: " سبحان الله " سبح معه ما دون العرش فيعطى قائلها عشر أمثالها، وإذا قال: " الحمد لله " أنعم الله عليه بنعيم الدنيا موصولاً بنعيم الآخرة، وهي الكلمة التي يقولها أهل الجنة إذا دخلوها.

وينقطع الكلام الذي يقولون في الدنيا ما خلا " الحمد لله " وذلك قوله عز وجل : دعواهم فيها سبحانهك اللهم وتحيتهم فيها سلام وآخر دعويهم أن الحمد لله رب العالمين^(١).

قانون سعة عالم الأفلاك دعوة للإيمان

وفي آية السياق دعوة سماوية لكل إنسان للتدبر في عالم الأكوان ، ومن فضل الله عز وجل على أهل هذا الزمان الإكتشافات العلمية الباهرة في الفلك والكواكب ، وسعتها ، وبعدها عن الأرض .

فمثلاً يبعد المشتري عن الأرض في أقرب نقطة له ٥٨٨ مليون كيلو متر ، واستغرقت رحلة مركبة جاليليو سنة ١٩٨٩ إلى المشتري ست سنوات ، ومع الإرتقاء التكنولوجي السريع استغرقت رحلة نيو هورايزن عام ٢٠٠٧ ثلاثة عشر شهراً ، والمشتري أكبر كواكب المجموعة الشمسية ، ويشبه المشتري الأرض في عدة صفات منها المجال المغناطيسي ، وهو أقوى من مجال الأرض ، وللمشتري أقمار تابعة له عددها (٧٥) قمراً .

وهذه الإكتشافات من مصاديق ﴿عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾^(١) ، وفيها دعوة ملحة للناس للهدى والإيمان .

ومن الآيات بلوغ أخبار هذه الإكتشافات أهل الأرض بفضل الفضائيات ووسائل الإعلام ، والذهول من الأرقام الفلكية ، لتكون خطاباً للناس جميعاً ليسخروا عقولهم في السياحة في علوم الفلك المستحدثة التي تفوق التصور الذهني بمراتب ، فأى أرقام مبالغه يجعلها الإنسان لعدد الكواكب أو سعتها والمسافات بينها ، فإن الواقع أعظم وأكثر منها ، فمن مصاديق قوله تعالى ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾^(٢) قانون عالم الكوان غير متناه .

إعجاز الآيات المتجاورة

ورد قوله تعالى ﴿وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾^(٣) ، بحرف العطف الواو ، وهل يختص بما تقدم من مضامين هذه الآية أم يشمل الآيات الثلاثة السابقة ، الجواب هو الثاني ، وفيه مسائل :

الأولى : قانون تعدد دعاء المسلمين .

الثانية : قانون حب الله للذين يكثرون من الدعاء .

الثالثة : من وجوه التدبر والتفكر في القرآن قانون التدبر في الصلة بين الآيات المتجاورة ، وآيات القرآن مطلقاً .

(١) سورة العلق ٥ .

(٢) سورة البقرة ١١٧ .

(٣) سورة آل عمران ١٩٤ .

وقد أنعم الله عز وجل علينا بباب في سياق الآيات في تفسير كل آية من آيات القرآن السابقة ، كما صدرت أجزاء خاصة بالصلة بين الآيات المتجاورة وهي :

الأول : الجزء السادس والسبعون ، ويختص بصلة الآية ١١٠ بالآيات ٦٤-٦٩ من سورة آل عمران.

الثاني : الجزء السابع والسبعون ، ويختص بصلة الآية ١١٠ بالآيات ٧٠-٧٧ من سورة آل عمران.

الثالث : الجزء الثامن والسبعون ، ويختص بصلة الآية ١١٠ بالآيات ٧٨-٨٤ من سورة آل عمران.

الرابع : الجزء التاسع والسبعون ، ويختص بصلة الآية ١١٠ بالآيات ٨٥-٩٣ من سورة آل عمران.

الخامس : الجزء الثمانون ، ويختص بصلة الآية ١١٠ بالآيات ٩٤-١٠٢ من سورة آل عمران.

السادس : الجزء الواحد والثمانون ، ويختص بصلة الآية ١١٠ بالآيات ١٠٣-١٠٩ من سورة آل عمران.

السابع : الجزء الخامس والعشرون بعد المائة ، ويختص بصلة الآية ١٥٢ بالآية ١٥١ من سورة آل عمران.

الثامن : الجزء السادس والعشرون بعد المائة ويختص بالقسم الأول من تفسير ١٥٣ وهو بصلة شطر من الآية ١٥٣ بشطر من الآية ١٥١ من سورة آل عمران.

التاسع : الجزء التاسع والعشرون بعد المائة ويختص بصلة شطر من الآية ١٥٤ بشطر من الآية ١٥٣ من سورة آل عمران.

العاشر : الجزء الواحد والخمسون بعد المائة ويختص بصلة شطر من الآية ١٦١ بشطر من ١٦٤ من سورة آل عمران .

الحادي عشر : الجزء الثاني والتسعون بعد المائة ، ويختص بالصلة بين الآية ١٨٠ والآية ١٨١ من سورة آل عمران .

الرابعة : قانون استنباط القواعد والأحكام من الجمع بين الآيات المتجاورة .

الخامسة : اتحاد موضوع الآيات المتجاورة ، ولا يمنع هذا الاتحاد من استقلال كل آية بمواضيع أخرى .

السادسة : قانون تلاوة آيات القرآن نوع دعاء ، وهو لا يتعارض مع قصد القرآنية .

السابعة : قانون موضوعية الدعاء للنجاة من الخزي يوم القيامة ، وفي التنزيل ﴿قُلْ مَا يَعْجُبُكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ﴾^(١).

الثامنة : حاجة المؤمنين للدعاء ، فمع الإيمان والعمل الصالح لا بد من الدعاء والتضرع إلى الله عز وجل للنجاة من الخزي يوم القيامة .

تقدير ﴿وَلَا تُخْزَنَا﴾ مع الآيات الثلاثة السابقة

من مصاديق نظم الآيات صيغة الدعاء في هذه الآيات ، وصدوره عن المؤمنين الذين يذكرون الله عز وجل على كل حال .

وتقدير الجمع بين هذا الشرط من آية البحث ﴿وَلَا تُخْزَنَا﴾ وبين الأدعية في هذه الآيات على وجوه :

الأول : الذين يذكرون الله قياماً يقولون ربنا ﴿لَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ وهل هذا القول والدعاء من ذكر الله في الآية أعلاه ، الجواب نعم .

الثاني : الذين يذكرون الله قعوداً يقولون ربنا ﴿وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ .

الثالث : الذين يذكرون الله على جنوبهم ربنا ﴿وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ .

الرابع : الذين يتفكرون في خلق السموات والأرض يقولون ربنا ﴿وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ .

الخامس : ربنا ما خلقت هذا باطلاً ﴿وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ .

السادس : ربنا سبحانه ﴿وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ ، ليجتمع الشاء على الله عز وجل مع دعاء النجاة من النار .

السابع : ربنا فقنا عذاب النار ﴿وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ .

وبين الخزي في الآخرة وعذاب النار عموم وخصوص مطلق ، فالخزي أعم .

لتبين هذه الآيات قانون الدعاء بالأخص والأعم من النفع ، ودفع الضرر ، وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾^(١) ، ومنه ادعوني بالأخص والأعم وحاجات الدنيا والآخرة .

الثامن : ربنا انك من تدخل النار فقد أخزيتہ ﴿وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ .

التاسع : ربنا ما للظالمين من أنصار ﴿وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ .

ليبان قانون من وجوه الخزي يوم القيامة إنعدام الناصر .

العاشر : ربنا اننا سمعنا منادياً ينادي للإيمان أن آمنوا بربكم فآمننا ربنا ﴿وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ .

ليبان قانون الإيمان واقية من الخزي يوم القيامة .

الحادي عشر : ربنا فاغفر لنا ذنوبنا ﴿وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ .

لقانون غفران الذنوب برزخ دون الخزي يوم القيامة وهو لا يمنع من الدعاء للنجاة من الخزي في الآخرة .

الثاني عشر : ربنا كفر عنا سيئاتنا ﴿وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ .

ليبان حاجة الإنسان في الآخرة إلى الستر وتغطية الذنوب والسيئات ، وذهاب أثرها .

(١) سورة غافر ٦٠ .

وجاءت الآية بصيغة الجمع لبيان قانون دعاء المسلم للمسلمين جميعاً ، وهو من فضل الله عز وجل عليهم ومصاديق قوله تعالى ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾^(١).

واجتمع سؤال المغفرة وستر السيئات في آية واحدة بقوله تعالى ﴿رَبَّنَا فَاعْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا﴾^(٢) ، وقيل معنى اللفظين واحد ، ولكن النسبة بين غفران الذنوب وستر السيئات عموم وخصوص مطلق .

الثالث عشر : ربنا توفنا مع الأبرار ﴿وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ .

الرابع عشر : ﴿رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾^(٣).

ومن معاني هذا الجمع حضور الخزي يوم القيامة في الوجود الذهني للمسلمين والمسلمات ، وهو مرتبة في الفقهة والتحصيل .

ذخائر العطف بين الآيات

ابتدأت هذه الآية بقوله تعالى ﴿رَبَّنَا﴾ لبيان العطف الموضوعي بين آيات الدعاء ، وقانون حاجة الناس مجتمعين ومتفرقين إلى الإلحاح بالدعاء ومن العطف بين الآيات ذكر نزول النعاس أمانة على المؤمنين وبصيغة إضمار الفاعل بقوله تعالى ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُم مِّن بَعْدِ الْغَمِّ أَمْنَةً نُّعَاسًا﴾^(٤) وفيه نكتة من جهات :

(١) سورة آل عمران ١١٠.

(٢) سورة آل عمران ١٩٣.

(٣) سورة آل عمران ١٩٤.

(٤) سورة آل عمران ١٥٤.

الأولى : عطف هذه الآية على خاتمة الآية السابقة التي تتضمن ذكر الله عز وجل باسم الجلالة وعلى نحو النص الصريح بقوله تعالى ﴿وَاللَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾^(١).

الثانية : قانون لا يُنزل النعم أو النقم إلا الله عز وجل ، ويدل إقتران الأمانة بالنعاس على قانون النعاس النازل نعمة وخير محض .

الثالثة : اقتباس المواعظ من العطف في القرآن .

الرابعة : يدل العطف بين الآيات على اتصالها موضوعاً وحكماً ، وقانون عدم دلالة الفاصلة بين كل آيتين على الفصل الموضوعي بينهما .

والعطف بين الآيات على أقسام :

الأول : العطف بحروف العطف ، ومنها (الواو) (الفاء) و(ثم) (وحتى) و(أو) و(أم) الذي يعادل همزة التسوية مثل قوله تعالى ﴿وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾^(٢) .

الثاني : العطف الموضوعي بين الآيات .

الثالث : العطف بالاسم الموصول كما في قوله تعالى ﴿الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ﴾^(٣) .

الرابع : العطف بين الآيات بالضمير المنفصل مثل (هو) في قوله تعالى ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا...﴾^(٤) .

إعجاز الآية الذاتية

(١) سورة آل عمران ١٥٣ .

(٢) سورة البقرة ٦ .

(٣) سورة المعارج ٢٣ .

(٤) سورة الملك ١٥ .

ابتدأت الآية بنداء التضرع والمسكنة إلى الله (ربنا) وما فيه من الإقرار بالتوحيد ، وانقطاع عبادة الأوثان في الأرض ببركة وجهاد النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ونزول آيات القرآن وتلاوة كل مسلم ومسلمة لها سبع عشرة مرة في اليوم في الصلاة الواجبة ، وانجذاب الناس للقرآن والتدبر في مضامينه ، وقانون ترغيب القرآن باستحضار معجزات النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم الحسية .

ثم جاء بعد نداء الربوبية المطلقة حرف العطف الواو في ﴿وَأَتَيْنَا﴾ لبيان اتصال الدعاء في هذه الآية بمضامين الدعاء الوارد في الآية السابقة ، لقانون تعدد الدعاء في الآيات المتجاورة ، وقانون دلالة اتصال الدعاء في الآيات المتجاورة على الإيمان والتقوى .

ومن إعجاز الآية إخبارها عن تصديق المسلمين والمسلمات بالأنبياء والرسل ، وأنهم جاءوا بالوعد من عند الله بالأجر والثواب باللبث الدائم في النعيم للمؤمنين الذين يعملون الصالحات .

ولم يرد لفظ ﴿رُسُلِكَ﴾ في القرآن إلا في آية البحث مع أن المتبادر تكراره ، وهذا الإنفراد من الشواهد على اختصاص المسلمين بالإقرار والتسليم ببعثة كل الأنبياء والرسل وأن كل رسول جاء بالوعد من الله بالثواب على الإيمان والعمل الصالح .

وقد ورد في تبكيث خزنة النار لأهلها لبيان علة إقامتهم في النار هي الجحود بما جاء به الرسل ، إذ قال تعالى ﴿قَالُوا أَوْكَمْ نَكُتُتِيكُمُ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَى قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾^(١).

(وعن أبي الدرداء قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : يلقي على أهل النار الجوع حتى يعدل ما هم فيه من العذاب ، فيستغيثون فيغاثون بطعام من ضريع لا يسمن ولا يغني من جوع.

فيستغيثون بالطعام فيغاثون بطعام ذي غصة فيذكرون أنهم كانوا يمحزون
الغصص في الدنيا بالشراب.

فيستغيثون بالشراب فيدفع إليهم الحميم بكلايب الحديد فإذا دنت من
وجوههم شوت وجوههم فإذا دخلت بطونهم قطعت ما في بطونهم ،
فيقولون ادعوا خزنة جهنم ، فيقولون ألم تك تأتكم رسلكم بالبينات .
قالوا : بلى ، قالوا : فادعوا وما دعاء الكافرين إلا في ضلال ، قال :
فيقولون ادعوا مالكا ، فيدعون ﴿يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾^(١) ، فيجيبهم إنكم
ماكنون^(٢).

وفي الآية أعلاه من سورة غافر حذف ، أي جاءونا بالبينات ولكننا
جحدنا بها.

وتدل الآية أعلاه بالدلالة الإلزامية على قانون الثناء على المسلمين
لأنهم صدقوا بما جاء به النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم من عند الله .
وقانون التصديق بالرسول محمد صلى الله عليه وآله وسلم بنعمة ولطف
وآيات من عند الله ، ومنها آيات القرآن ، لذا ورد في القرآن ﴿لَا تَمْنُوا عَلَيَّ
إِسْلَامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِذْ كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾^(٣) ، ولا
تختص هذه الهداية بالهداية القلبية بل بكثرة وتوالي المعجزات العقلية
والحسية .

ومن خصائص حرف العطف (الواو) في ﴿وَأَتْنَا﴾ الشهادة للمسلمين
باجتهادهم في الدعاء ، وعدم الملل أو الكلل فيه إذ تتضمن الآيتان
المتجاورتان الدعاء والمسألة لتأتي الآية التالية بالإخبار عن الإستجابة
الفورية من عند الله عز وجل للمسلمين بقوله تعالى ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي

(١) سورة الزخرف ٧٧.

(٢) الثعلبي / الكشف والبيان ١٠٩/١٢ .

(٣) سورة الحجرات ١٧.

لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ نَسَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا
وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُودُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ
وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ
الْثَوَابِ^(١).

واختتمت آية البحث بقوله ﴿إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾^(٢)، ولم يرد هذا اللفظ
في القرآن إلا في آية البحث .

وورد بصيغة الجملة الخبرية مرتين ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ أحدهما
في سورة آل عمران نفسها ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ
الْمِيعَادَ﴾^(٣).

ولغة الخطاب في خاتمة آية البحث شاهد على تسليم المسلمين بأن الله
ينجز وعده في الدنيا والآخرة وهو سبحانه ﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾^(٤)، وهو
الرؤوف الرحيم .

ومن إعجاز الآية اختتامها بتسليم المسلمين والمسلمات بقانون من
الإرادة التكوينية لإنجاز الله عز وجل لما وعد به ، فلا يزيد العطاء خزائنه إلا
كثرة في الكم والكيف ، وفي التنزيل ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ
فَيَكُونُ﴾^(٥).

(١) سورة آل عمران ١٩٥.

(٢) سورة آل عمران ١٩٤.

(٣) سورة آل عمران ٩.

(٤) سورة المائدة ٤٠.

(٥) سورة يس ٨٢.

وبعد النداء ﴿رَبَّنَا﴾ جاء حرف العطف الواو ﴿وَأَتْنَا﴾ مما يدل على اتصال موضوع الآية بالآية التي قبلها ، ولم تبدأ الآية بحرف العطف حسب السياق ، ولكنها ابتدأت بالإقرار بالعبودية لله عز وجل وقول ﴿رَبَّنَا﴾ وهو من الثناء على الله والتوسل الحسن لقضاء الحاجات ، وهو من العطف الموضوعي .

وتبدأ آية البحث بالثناء على الله عز وجل ، والإقرار بربوبيته المطلقة علينا وعلى الناس والخلائق كافة بقول ﴿رَبَّنَا﴾ وتختتم بالثناء عليه سبحانه ، والإقرار بتنجز الوعود التي وعد بها العباد ﴿إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾^(١) . وفيه تثبيت لمعالم الإيمان في عالم الأقوال والأفعال ، والإنقطاع إلى الله عز وجل طاعة وحبا وخشوعاً .

ويمكن تسمية آية البحث آية ﴿رَبَّنَا وَأَتْنَا﴾ وورد هذا اللفظ في أول الآية ، ولم يرد في آية أخرى من القرآن .

بينما ورد النداء ﴿رَبَّنَا آتِنَا﴾ ثلاث مرات في القرآن ، منها مرتان في آيتين متجاورتين من سورة البقرة ﴿فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ * وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾^(٢) .

إعجاز الآية الغيري

افتتحت الآية بالنداء (ربنا) وتقديره (يا ربنا) وفيه إقرار من المسلمين بأنه ليس لهم رب إلا الله عز وجل لذا فان لسورة الإخلاص ومضامينها

(١) سورة آل عمران ١٩٤ .

(٢) سورة البقرة ٢٠٠-٢٠١ .

القدسية شأناً في الواقع اليومي للمسلمين ، وتستحب قراءتها في الصلاة والتي تبدأ بقوله تعالى ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾^(١).

والرب هو المالك والمتصرف والمدبر للخلائق بحكمته ، ولا يرضى الله عز وجل باتخاذ رب أو أرباب معه .

لذا ورد في احتجاج يوسف عليه السلام على الغلامين في السجن اللذين جاءا لقص رؤياهما عليه ، إذ قال ﴿يَا صَاحِبَيَّ السِّجْنِ أَرْبَابُ مُتَّقِرُونَ خَيْرٌ أَمَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾^(٢).

لتدل آية البحث عن تحقيق المسلمين لمنهاج يوسف عليه السلام وبيان قانون المسلمين ورثة الأنبياء في سنن التوحيد .

ويحتمل قوله تعالى ﴿رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ﴾^(٣)، وجوهاً :

الأول : توارث أتباع الأنبياء للوعود التي جاء بها الرسل من عند الله.

الثاني : إرادة إخبار القرآن عما جاء به الرسل ، منها قوله تعالى ﴿وَمَا

نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا

هُمْ يَحْزَنُونَ * وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا يَمَسُّهُمُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾^(٤)، ومنها

﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ

يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا وَغَرَّبْنَاهُمْ حَيَاةَ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا

كَافِرِينَ﴾^(٥).

(١) سورة الإخلاص ١.

(٢) سورة يوسف ٣٩.

(٣) سورة آل عمران ١٩٤.

(٤) سورة الأنعام ٤٨-٤٩.

(٥) سورة الأنعام ١٣٠.

الثالث : إخبار النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم عما جاء به الرسل من الوعد للذين آمنوا وعملوا الصالحات باللبث الدائم في الجنة . ولا تعارض بين هذه الوجوه .

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم (نحن معاشر الأنبياء أولاد علات، ديننا واحد)^(١).

وأبناء العلات الأخوة من أب واحد وأمها شتى ، والأخوة من أب وأم واحدة يسمون الأشقاء ، والأعيان ، أما الأخوة من أم واحدة وآباء متعددين فيسمون الأخياف .
(وقال الشاعر :

أفي الشدائد أخيفاً لواحدة ... وفي الولائم أولاداً لعلات)^(٢).
والمراد من المثل والتقريب الذي ذكره النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم أن دين الأنبياء واحد وهو التوحيد وعبادة الله وحده ، ولكن الشرائع تعددت كما تعددت أمهات الأخوة ، إذ أن المدار في النسب على الأب.

وعن الإمام علي عليه السلام (أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان إذا كبر استفتح، ثم قال ﴿وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾^(٣) ﴿إِنْ صَلَاتِي وَسُكُيَ وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(٤) اللهم أنت الملك ، لا إله إلا أنت ، أنت ربي وأنا عبدك ، ظلمت نفسي واعترفت بذنبي ، فاغفر لي ذنوبي جميعاً ، لا يغفر الذنوب إلا أنت ، واهدني لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت

(١) تفسير ابن كثير / السيرة النبوية ٢٨٤/٤ .

(٢) ابو الفرج المعافى ت ٣٩٠ هجرية / المجلس الصالح والأنيس الناصح ٤٧٧/١ .

(٣) سورة الأنعام ٧٩ .

(٤) سورة الأنعام ١٦٢ .

، واصرف عني سيئها لا يصرف عني سيئها إلا أنت ، تباركت وتعاليت ،
أستغفرك وأتوب إليك^(١).

وهل يختص موضوع الدعاء في آية البحث بعالم الآخرة والجزء ،
الجواب لا ، فمن خصائص القرآن قانون الدعاء للدنيا والآخرة ، وليبيان
قانون وهو لو تردد الأمر بين إرادة الدنيا والآخرة أو الدنيا وحدها ، أو
الآخرة وحدها ، فالصحيح هو قانون أصالة الإطلاق في الدعاء ، وإرادة
عالم الدنيا والآخرة مجتمعين ومتفرقين ، ومنه قوله تعالى ﴿رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا
عَلَىٰ رُسُلِكَ﴾^(٢).

ومنه الأمن والسلامة والرزق الكريم والعافية في الدنيا ، والخلود في
النعيم في الآخرة .

وعن الحسن البصري قال (قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :
قال ربكم عز وجل : وعزتي لا أجمع على عبدي خوفين ، ولا أجمع له
أمنين ، فإذا خافني في الدنيا أمتته يوم القيامة ، وإذا أمني في الدنيا أخفته يوم
القيامة)^(٣).

وتلاوة بداية آية البحث شاهد على الإيمان ، وواقية من الشرك ، إذ
ينادي ملايين المسلمين في هذا الزمان الله عز وجل بصفة الربوبية المطلقة
﴿رَبَّنَا﴾ خمس مرات في اليوم .

تسمعهم الملائكة لتجتهد في التسييح لله عز وجل على حكمته في جعل
الإنسان ﴿فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾^(٤).

ومن إعجاز الآية دلالتها على انعدام الوساطة بين الناس وبين الله عز
وجل وندائهم وخطاباتهم له ، فصحيح أن الرسل وسائط بين الله عز وجل

(١) تفسير ابن كثير / السيرة النبوية ٣/ ٣٨٣ .

(٢) سورة آل عمران ١٩٤ .

(٣) النكت والعيون ٤/ ٣٩٨ .

(٤) سورة البقرة ٣٠ .

والناس ، بعثهم الله لتبليغ أحكامه وبيان الدلائل على وجوب التوحيد إلا أن قوس الصعود والدعاء خال من الوسائط فالله عز وجل يسمع الدعاء ، وهو قريب من كل إنسان ، وفي التنزيل ﴿وَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾^(١).

وتتضمن الآية أعلاه البشارة والإنذار ، البشارة للذين يذكرون الله ويسبحونه ويأملون فضله في الدارين كما في آية البحث وتلاوتها ، وقصد القربة لله في عالم الأفعال وإنذار للذين كفروا على سوء سريرتهم وقبيح أفعالهم.

مراتب تحدي الإعجاز الثلاث

من إعجاز القرآن تفرده بمرتبة سامية في الفصاحة والبلاغة ، وتفرع المسائل منه في كل زمان بما يدل على أنه كلام الله عز وجل وليس من كلام البشر .

لقد كان العرب أيام نزول القرآن يتصفون بالبلاغة والفصاحة ، وتدل عليه القصائد السبعة المعلقة وغيرها مع أن عدداً من شعرائها أميون لا يقرأون ولا يكتبون .

ونزل القرآن بالتحدي في الإتيان بالمثل من وجوه :

الأول : بيان عجز الناس عن الإتيان بمثل جملة آيات القرآن ، قال تعالى ﴿قُلْ لِّئِنْ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾^(٢).

والمراد من إجتماع الإنس والجن في مجموع الأزمنة ، وليس زمن النزول وحده ، فلو ترك كل جيل منهم تركة بهذا الخصوص فإن المجموع متخلف عن الإتيان بمثل القرآن .

(١) سورة ق ١٦.

(٢) سورة الإسراء ٨٨.

الثاني : التحدي بالإتيان بمثل عشر سور من القرآن من بين (٦٢٣٦) آية مجموع آيات القرآن ، قال تعالى ﴿أَمْ يَقُولُونَ اقْرَأْهُ قُلْ فَاتُوا بِعَشْرِ سُوْرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ وَاَدْعُوا مَنْ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾^(١).

الثالث : التحدي بالإتيان بمثل سورة واحدة من القرآن من غير تعيين للسورة ، قال تعالى ﴿أَمْ يَقُولُونَ اقْرَأْهُ قُلْ فَاتُوا بِسُوْرَةٍ مِّثْلِهِ وَاَدْعُوا مَنْ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾^(٢).

أي سورة سواء كانت طويلة كسورة البقرة أو قصيرة كسورة الكوثر ، وهذا الإطلاق من إعجاز القرآن .

وقد حاول بعضهم محاكاة بعض آيات القرآن فلحقه الخزي لتخلف ما جاء به عن النهوض لمراتب القرآن السامية وسيفتضح يوم القيامة وهو الخزي الذي سأل المسلمون والمسلمات الله عز وجل النجاة منه .

وتتجلى هذه النجاة بالتصديق بنزول القرآن من عند الله عز وجل ، ولتكون آيات التحدي أعلاه على وجوه :

الأول : قانون آيات التحدي بالإعجاز مادة للهداية والرشاد .

الثاني : قانون آيات التحدي بإعجاز القرآن دعوة للتدبر في القرآن ، وعلومه ودلالة مضامينه .

الثالث : قانون شكر المسلمين لله عز وجل على نعمة نزول القرآن التي هي هبة وفضل على الناس جميعاً ، ومن مصاديق ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ﴾^(٣).

وتقدير الجمع بين الآية أعلاه وقوله تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ﴾ وما أرسلناك إلا كافة للناس رحمة بهم .

(١) سورة هود ١٣.

(٢) سورة يونس ٣٨.

(٣) سورة سبأ ٢٨.

الرابع : قانون استدامة تحدي القرآن للناس باعجازه في كل زمان .

الخامس : قانون إعجاز القرآن آية عقلية متجددة في كل زمان .

ومن مصاديق إعجاز القرآن آية البحث ، وسؤال المسلمين الله عز وجل بالعود التي تفضل بها على السنة الأنبياء ، وفيه شاهد على إقرار المسلمين بنبوة كل الرسل ، وفي التنزيل ﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا يَفْرِقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾^(١).

ولم يرد لفظ (لا يفرق) في القرآن إلا مرتين ، وكلاهما في ذات الموضوع والآية الثانية هي ﴿ قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا يَفْرِقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾^(٢).

ومن الإعجاز نسبة العموم والخصوص المطلق بينهما إذ تتضمن الآية أعلاه ذكر القرآن والتنزيل على الأنبياء السابقين ، وشمول الأنبياء في الآية وعدم اختصاص إيمان المسلمين بالرسل وحدهم ، بل يشمل الأنبياء ، وعددهم مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً.

ولم يذكر القرآن من الأنبياء والرسل إلا خمسة وعشرون نبياً ورسولاً منهم ثمانية عشر نبياً ورسولاً ذكرت أسماؤهم في أربع آيات متجاورات من سورة الأنعام ، ثم جاءت بعدها آية تتضمن ذكر إجمالي لعدد من الأنبياء والأولياء والصالحين بقوله تعالى ﴿ وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾^(٣).

(١) سورة البقرة ٢٨٥.

(٢) سورة آل عمران ٨٤.

(٣) سورة الأنعام ٨٧.

وهل يصح تقدير آية البحث : ربنا وآتنا ما وعدتنا على أنبيائك ورسلك ، الجواب نعم ، ولكن من إعجاز الآية الإكتفاء بذكر الرسل لأنهم أصحاب شرائع مبتدأة ، ولأن الأنبياء الذين يأتون بعد الرسول يدعون لشريعته إلى أن يبعث الله عز وجل رسولا آخر .

من بدائع إعجاز آية البحث

من الإعجاز في الآية التي يختص هذا الجزء بتفسيرها أنها دعاء محض ، إذ تتضمن وجوهاً :

الأول : نداء الإستجارة (ربنا) الذي يدل على عقيدة التوحيد التي يتحلى بها المسلمون .

الثاني : سؤال ما وعدنا الله عز وجل من المغفرة والرزق الكريم ، وسيادة مفاهيم الإيمان ، قال تعالى ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (١) .

ومن وعد الله عز وجل اللبث الدائم في النعيم ، قال تعالى ﴿لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِنْ فَوْقَهَا غُرَفٌ مَبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَعَدَ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ﴾ (٢) .

ومن الإعجاز في مقام الوعد الإلهي ، والحض على الصبر لنيل المراد ومنه قوله تعالى ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾ (٣) .

الثالث : سؤال السلامة من الخزي يوم القيامة .

(١) سورة النور ٥٥ .

(٢) سورة الزمر ٢٠ .

(٣) سورة غافر ٧٧ .

وتدل آيات قرآنية على وقوع الخزي يوم القيامة ، مع ذكر خصال وأعمال الذين يخزيهم الله عز وجل يومئذ .

وهل يدل قوله تعالى ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مِّنْ يُحَادِّدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَن لَّهُ نَارُ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ﴾^(١) ، على أن الخزي يوم القيامة من الكلبي المشكك الذي يكون على مراتب متفاوتة قوة وضعفاً ، المختار نعم ، لتقييد الخزي في الآية أعلاه بأنه (العظيم).

كما تدل آيات القرآن على عدم انحصار الخزي في الآخرة ، إنما يشمل الحياة الدنيا ، كما في عاد قوم هود ، قال تعالى ﴿فَارْسَلْنَا عَلَيْهِم رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لَّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَىٰ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ﴾^(٢).

وتدل الآية أعلاه على أمور :

الأول : قانون الخزي عذاب .

الثاني : قانون عذاب الآخرة خزي عظيم .

الثالث : قانون اجتماع العذاب والخزي للكافرين يوم القيامة .

وهل يشمل الدعاء في آية البحث النجاة من هذا العذاب ، الجواب نعم.

ويدل بالدلالة التضمنية على التوسل للنجاة من الدخول في النار .

الرابع : اختتام الآية بالشأن على الله عز وجل بأنه لا يخلف الميعاد ، إذ ينفرد الله عز وجل بانجاز ما يعد به لأن ملك السموات والأرض له وحده ، وفي الآخرة ﴿لَمَنَ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾^(٣).

(١) سورة التوبة ٦٣.

(٢) سورة فصلت ١٦.

(٣) سورة غافر ١٦.

قانون آية ﴿رَبَّنَا وَآتَنَا﴾ فقهية

تدل آية البحث على معرفة المسلمين بالسنن والبشارات التي جاء بها الأنبياء والرسل من عند الله عز وجل ، فهم لا يسألون الله عز وجل أمراً مبهماً أو مجملاً فلذا تضمنت الآية سؤال عدم الخزي يوم القيامة .
ليان قيام الأنبياء والرسل ببيشارة المؤمنين بالنجاة من الضنك ، والهلع ، والخوف ، والخزي يوم القيامة .

وقد صاحبت هذه البشارة آدم عليه السلام عندما هبط إلى الأرض ، قال تعالى ﴿قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾^(١).

وفي الآية أعلاه أمانة على أن آدم عليه السلام رسول من عند الله نزل بالوعد الإلهي بالأمن للمؤمنين في الدنيا والآخرة ، والنسبة بين الخزي المذكور في آية البحث والخوف المذكور في الآية أعلاه عموم وخصوص مطلق ، فالخزي أعم وأشد وأمر .

لتكون النسبة بين مضامين آية البحث ومنها ﴿مَا وَعَدْتَنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ﴾^(٢) ، وبين ﴿وَلَا تُخْزِنَا﴾ عموم وخصوص مطلق ، فالوعد الإلهي أعم وأكثر ، لذا قدمته آية البحث ، ليكون من معانيه رجاء المسلمين شمولهم بما وعد الله المؤمنين ، واتباع الأنبياء من الأمن والسلامة من الفزع والخزي في النشأتين .
ليان أن الوعد الإلهي قوانين وقواعد عامة يجب على الناس التحلي بالشرائط والخصال التي تؤهلهم للفوز بها وفيه شاهد على جهاد وصبر النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في إصلاح أمته لنيل ما وعد الله به من البشارات على السنة الرسل ، وفي الكتب السماوية السابقة .

(١) سورة البقرة ٣٨.

(٢) سورة آل عمران ١٩٤.

ومن الإعجاز الغيري لآية البحث أن سؤال النجاة من الخزي يوم القيامة سبب للهداية والصلاح وتهذيب النفوس ، والإمتناع عن المعاصي ، فمن دلالات الخزي يومئذ كشف عالم الأعمال .

و(عن أنس في قوله ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ﴾^(١) قال : كنا عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم فضحك حتى بدت نواجذه قال : أتدرون ممن ضحكت .

قلنا : لا يا رسول الله ، قال : من مخاطبة العبد ربه فيقول : يا رب ألم تجرنى من الظلم . فيقول : بلى .

فيقول : إني لا أجزى علي إلا شاهداً مني فيقول : كفى بنفسك عليك شهيداً ، وبالكرام الكاتبين شهوداً ، فيختم على فيه ويقال لأركانه : انطقي ، فتتطق بأعماله ، ثم يخلى بينه وبين الكلام ، فيقول بعداً لكن وسحقاً ، فعنكن كنت أناضل)^(٢).

وعن الإمام الباقر عليه السلام قال في حديث (وليست تشهد الجوارح على مؤمن إنما تشهد على من حقت عليه كلمة العذاب، فأما المؤمن فيعطى كتابه بيمينه)^(٣).

ليبان تفضل الله عز وجل باجابة الدعاء في آية البحث ﴿وَلَا تُخْزَنَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾^(٤).

فمن الإعجاز الغيري فيه أنه إدخار كريم ليوم القيامة ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ﴾ * إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ^(١).

(١) سورة يس ٦٥ .

(٢) الدر المنثور ٨/٣١٣ .

(٣) البحار ٧/٣١٨ .

(٤) سورة آل عمران ١٩٤ .

وتبعث خاتمة الآية السكينة في قلوب المسلمين لما فيها من تحقق الوعود التي وعد الله عز وجل بها الأنبياء والمؤمنين جميعاً ، وهي دعوة للإيمان والصلاح والفوز بما وعد الله عز وجل به الصالحين .

الآية سلاح

ابتداء الآية بالنداء العام ﴿رَبَّنَا﴾ الصادر من المسلمين على نحو متكرر كل يوم ، وهو حرز وسلاح في النشاطين ، وهو من إعجاز الغيري للقرآن بهداية المسلمين إلى سلامتهم باللجوء والاستجارة بالله باعلان التسليم بالربوبية المطلقة لله عز وجل .

ويحتمل قوله تعالى ﴿عَلَىٰ رُسُلِكَ﴾ وجوهاً :

الأول : ما جاء به الرسل من عند الله عز وجل .

الثاني : الكتب السماوية المنزلة وبشارتها بالجنة للمتقين .

الثالث : الوحي الذي أوحاه الله للأنبياء والرسل .

الرابع : ما نزل به القرآن من الإخبار عن البشارات والإنذارات التي

جاء بها الرسل ، قال تعالى ﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَنْ آتَيْنَا صَلَاحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾^(٢) ، وقوله تعالى ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾^(٣) .

ولا تعارض بين هذه الوجوه ، وكلها من مصاديق آية البحث .

من إعجاز التنزيل قانون كل آية من القرآن سلاح في النشاطين ، وذات نفع يومي متجدد ، لذا تفضل الله عز وجل وفرض تلاوة القرآن على كل مسلم ومسلمة خمس مرات في اليوم ، مع الندب إلى قراءة القرآن خارج الصلاة .

(١) سورة الشعراء ٨٨-٨٩ .

(٢) سورة الأنعام ٤٨ .

(٣) سورة النحل ٨٩ .

ومن الجامع بينهما قوله تعالى ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾^(١).

والذي يشمل ذكر الله في الصلاة وخارج الصلاة فمن الناس من يصلي عمره كله قائماً ، ويشملهم الثناء في الآية ، ويصدق عليه أنه يذكر الله من قيام وقعود وعلى جنب لتلاوته القرآن في جلوسه ، وعند وضع رأسه على الوسادة .

وهل يصح تقدير الآية بصيغة المفرد : الذي يذكر الله قياماً وقعوداً وعلى جنبه ، الجواب نعم .

ليان خصلة حميدة يتصف بها المسلم بقانون ذكر المسلم لله عز وجل على كل حال في النهار والليل ، وبكرة وعشياً ، ومنه البسملة عند الشروع في عمل أو عند الإبتداء بالأكل ، وقول الحمد لله عند القيام عن المائدة .
(وعن عائشة أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان إذا أوى إلى فراشه كل ليلة جمع كفيه ثم نفث فيهما فقرأ فيهما ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾^(٢) ، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾^(٣) ، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾^(٤) ، ثم مسح بهما ما استطاع من جسده . يبدأ بهما على رأسه ووجهه وما أقبل من جسده ، يفعل ذلك ثلاث مرات .
وأخرج ابن سعد وعبد بن حميد وأبو داود والترمذي وصححه والنسائي وعبد الله بن أحمد في زوائد الزهد والطبراني عن عبد الله بن

(١) سورة آل عمران ١٩١.

(٢) سورة الأخلاص ١.

(٣) سورة الفلق ١.

(٤) سورة الناس ١.

حيب أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال له : اقرأ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ^(١) والمعوذتين حين تصبح وحين تمشي ثلاثاً يكفيك من كل شيء .
وأخرج أحمد عن عقبة بن عامر أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : يا عقبة بن عامر ألا أعلمك خير ثلاث سور أنزلت في التوراة والإنجيل والزبور والفرقان العظيم .

قلت بلى جعلني الله فداك ، قال : فأقرأني ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾^(٢) ، ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾^(٣) ، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾^(٤) ثم قال : يا عقبة لا تنساهن ولا تبت ليلة حتى تقرأهن^(٥) ، وفيه شاهد على جزئية المعوذتين من القرآن .
وعن الإمام علي عليه السلام (قال : بينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ذات ليلة يصلي فوضع يده على الأرض لدغته عقرب فتناولها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بنعله فقتلها ، فلما انصرف قال : لعن الله العقرب ما تدع مصلياً ولا غيره أو نبياً أو غيره .
ثم دعا بملح وماء فجعله في إناء ، ثم جعل يصبه على إصبه حيث لدغته ويمسحها ويعوذها بالمعوذتين ، وفي لفظ فجعل يمسح عليها ويقرأ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾^(٦) ، ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾^(٧) ، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾^(٨) ^(٩) .

(١) سورة الأخلاص ١ .

(٢) سورة الأخلاص ١ .

(٣) سورة الفلق ١ .

(٤) سورة الناس ١ .

(٥) الدر المنثور ١٠/٣٩٢ .

(٦) سورة الأخلاص ١ .

(٧) سورة الفلق ١ .

(٨) سورة الناس ١ .

(٩) الدر المنثور ١٠/٣٩٢ .

وآية البحث من الآيات التي تستحب قراءتها في كل وقت لما فيها من حسن المناجاة والتوسل والرجاء لفضل الله ، وبيانها لعلم المسلمين بأن الله عز وجل وعدهم وعوداً جميلة على لسان الرسول محمد صلى الله عليه وآله وسلم والرسل السابقين ويأملون تقرييها بالدعاء ، وتنجزها .

من معاني ﴿مَا وَعَدْتَنَا﴾

لم تقل الآية (وأتنا ما وعدت المؤمنين أو المسلمين) إنما قالت ﴿مَا وَعَدْتَنَا﴾ وفيه وجوه :

الأول : رجاء لطف رحمة الله بشمول المسلمين بالذين وعدهم الله على ألسنة الرسل .

الثاني : يتكلم المسلمون نيابة عن أنفسهم ، وعن الأنبياء والمؤمنين من الأجيال السابقة ، وهو من مصاديق وراثته المسلمين للمؤمنين في الأجيال السابقة في حفظ سنن التوحيد في الأرض .

الثالث : إرادة ما ورد في القرآن والكتب السماوية السابقة كالتوراة والإنجيل من الوعد للمؤمنين بالجنة .

الرابع : بشارة الأنبياء السابقين بالنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم والدعوة لإتباعه ، وفي التنزيل ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِيهِ مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ (١) .

الخامس : تسليم المسلمين والمسلمات بما نزل في القرآن من بشارات الرسل ، وتقدير الآية : ربنا وأتنا ما وعد الأنبياء والرسل أتباعهم من الهبات والعطايا الجزيلة في الدنيا ، ومنها إعانتهم ونصرهم ، والبشارات لهم

في الآخرة ، وفي التنزيل ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزُ ذُو
اِنْتِقَامٍ﴾^(١).

مفهوم الآية

ابتدأت آية البحث بالدعاء العام الصادر من المسلمين والمسلمات ﴿رَبَّنَا﴾ وهو عنوان التوحيد ، وشعار الإيمان ليصعد إلى السماء ، وتدونه الملائكة ، وتسبح بحمد الله على تعاهد خلفاء الأرض ذكر الله ، والتوجه بالدعاء إليه وحده ليكون من مصاديق رد الله عز وجل على الملائكة ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾^(٢) عندما تساءلوا عن جعل الإنسان ﴿فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾^(٣) مع أن شطراً من الناس يرتكب المعاصي ويظلم ويعتدي ويقتل غيره ، فان قول أمة عظيمة ﴿رَبَّنَا﴾ كل يوم حرب على الفساد وإزاحة له ، وحقن للدماء ، وتذكير بيوم القيامة ، وعالم الحساب ، وتتجلى في هذا المعنى حاجة أهل الأرض لنداء المسلمين ﴿رَبَّنَا﴾.

وتدل الآية في مفهومها على عدم ترك الله أهل الدنيا وشأنهم ، إذ أقام الحجة عليهم بالإهتمام بالعبادة بالآيات الكونية ، والفضل الإلهي ، والبلاء والإبتلاء وقانون إدراك الناس حاجتهم لرحمة الله عز وجل في السراء والضراء ، إنما بعث الأنبياء والمرسلين وسلّحهم بالمعجزة الخارقة للعادة لتدعوهم للإنصات للأنبياء .

ومن بديع صنع الله أن كل رسول يدعو إلى طاعة الله وطاعة الرسل جميعاً ، مع موضوعية الناسخ والمنسوخ في الشرائع ، وقد جعل الله عز

(١) سورة إبراهيم ٤٧.

(٢) سورة البقرة ٣٠.

(٣) سورة البقرة ٣٠.

وجل الشريعة الإسلامية جامعة للأحكام الشرعية ، قال تعالى ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾^(١).

وهل آية البحث من مصاديق كمال الدين وتمام النعمة ، الجواب نعم ، لبيان حاجة الناس للإستعداد لعالم الحساب ، ومن مصاديق هذا الإستعداد الإقرار بيوم القيامة ، والدعاء للسلامة من الخزي يومئذ ، وهو الذي جاء به آية البحث .

ومن مفاهيم الآية أن الأمن والسلامة ، والخوف والخزي يوم القيامة بيد الله عز وجل فهو وحده الذي يصيب الكافرين بالخزي يومئذ ، لتشهد آية البحث للمسلمين بإيمانهم ، وتكون واقية لهم من الخزي في الدار الآخرة . وتدل هذه الآية في مفهومها على حسن اختيار المسلمين الإيمان ، وسلامتهم من الخزي في الدنيا .

إذ نزل القرآن بشمول الكفار بالخزي في الدنيا والآخرة ، قال تعالى ﴿كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَآتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾ * فَآذَاهُمْ اللَّهُ الْخِزْيَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾^(٢).

وتبين خاتمة آية البحث قطع وتسليم المسلمين بصدق الله فيما وعد ، قال تعالى ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾^(٣).

مع زيادة من فضل الله ، وهي التي يدل عليها أول الآية برجاء المسلمين السلامة من الخزي في الآخرة ، بفضل وإحسان من الله عز وجل ، وليس عن استحقاق بعد أن أكدت الآية السابقة رجاءهم العفو والمغفرة من الله عز وجل .

(١) سورة المائدة ٣.

(٢) سورة الزمر ٢٥-٢٦.

(٣) سورة النساء ١٢٢.

إنفاضات الآية

القرآن كتاب الله وكلامه الذي أنزله على النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ليكون إماماً للناس في ضبط أحكام الشريعة ، ومن خصائص القرآن تجدد معانيه في كل زمان من غير أن تتعارض المعاني الجديدة مع ما سبقها . ومن خصائص آية البحث والإبتداء بالنداء العام ﴿رَبَّنَا﴾ تنمية ملكة التوكل على الله عند المسلمين ، وجعلهم يلجأون إليه في حاجاتهم ، ويفزعون إليه في المهمات لتزديدهم استجابته لهم إيماناً .

ومن معاني قوله تعالى ﴿وَأَتَيْنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ﴾^(١) ، أن الله عز وجل جعل الدنيا دار البشارة والأمل للمسلمين الذين آمنوا بالله ورسوله وملائكته واليوم الآخر .

وعن جابر قال (سألت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن قول الله ﴿لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾^(٢) قال ما سألتني عنها أحد : هي الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترى له ، وفي الآخرة الجنة)^(٣) وورد الحديث بطرق متعددة .

ومعنى (أو ترى له) أي يراها غيره فيخبره بمضمونها وما فيها ، وتبعث الرؤيا الصالحة الإنسان على العمل والإجتهاد في الصالحات ، ولا يصح الضعف والوهن في العمل إنكالا على الرؤيا .

ولتكون الرؤيا الصادقة بشارة للمؤمن بالنجاة من الخزي يوم القيامة . وتبين آية البحث قانون الدنيا دار الوعد الإلهي ، إذ أخبرت عن الوعود من عند الله عز وجل على ألسنة الأنبياء والرسل ، وفيه بعث للسكينة في

(١) سورة آل عمران ١٩٤ .

(٢) سورة يونس ٦٤ .

(٣) الدر المنثور ٥/٢٥٢ .

النفوس ، والشوق للقاء المعبود صادق الوعد ، وفي التنزيل ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾^(١).

وهل تشمل الآية قانون بشارات الكتب السماوية السابقة ، الجواب نعم.

لأن الرسل هم الذين جاءوا بالكتب والوحي من عند الله ، قال تعالى ﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مَبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾^(٢).

وهل تدل الآية أعلاه على البشارة للمسلمين والمسلمات الذين يؤدون الفرائض العبادية بالنجاة من الخزي يوم القيامة الذي تذكره آية البحث ، الجواب نعم .

وهو من مصاديق التفسير الذاتي للقرآن ، وأن بعضه يفسر بعضاً .
ليبان قانون تلاوة المسلم للقرآن باعث للسكينة في نفسه ، فتأتي آية تحذر من الخزي يوم القيامة ، وتأتي آية أخرى تبشره بالأمن من الخزي والخوف مطلقاً في الآخرة .

والنسبة بين الخوف والخزي عموم وخصوص مطلق ، فالخوف أعم .
ومن معاني التصديق في قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بَمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ﴾^(٣) ، تصديق القرآن للوعود التي نزلت بها الكتب السماوية السابقة .

وهذه الوعود نعمة وفيض متصل لمصاحب للحياة الدنيا .
ومن خصائص هذا الفيض أمور :
الأول : قانون قرب الوعد الإلهي من كل إنسان ذكراً أو أنثى .

(١) سورة النساء ١٢٢.

(٢) سورة الأنعام ٤٨.

(٣) سورة النساء ٤٧.

الثاني : قانون شمول الوعد الإلهي لأمر الدين والدنيا .

الثالث : قانون ترغيب الوعد الإلهي الناس بالإيمان .

الرابع : قانون الوعد الإلهي طريق للتوبة والإيمان .

الخامس : قانون الوعد الإلهي للناس شاهد على حب الله عز وجل

لهم .

السادس : قانون الوعد الإلهي من مصاديق خلافة الإنسان في الأرض .

فلما تفضل الله عز وجل وجعل الإنسان ﴿فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾^(١) ، فانه وعده بالنعيم في الدنيا ، والثواب العظيم في الآخرة على أداء الفرائض العبادية .

ومن فيوضات آية البحث إعلان المسلمين التسليم باليوم الآخر ، وأن الله عز وجل يبعث من في القبور لعالم الحساب ، وفي التنزيل ﴿وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾^(٢) .

ومنها تأديب المسلمين ، وجعل الإستغفار منهاجاً يومياً ملازماً لهم ، وهو سنة الأنبياء وأبناء واتباع الأنبياء وفي إخوة يوسف وبعد ان انكشف مكرهم وكيدهم بيوسف ، ونجاته وتولييه الوزارة في مصر ودعوته لأبيه يعقوب النبي عليه السلام وأهله للمجيئ إلى مصر ، توجه إخوة يوسف إلى إبيهم ﴿قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ﴾ * قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ^(٣) .

الآية لطف

تبدأ آية البحث بمنهاج يومي للمسلمين بנדاء كل واحد منهم (ربنا) وفيه تقريب إلى طاعة الله عز وجل .

(١) سورة البقرة ٣٠ .

(٢) سورة الحج ٧ .

(٣) سورة يوسف ٩٧-٩٨ .

وتحتمل صيغة وضمير الجمع (نا) في ﴿رَبَّنَا﴾ وجوهاً :

الأول : المسلم وأبأؤه وذريته .

الثاني : إرادة المسلمين والمسلمات الذين يتلون القرآن مجتمعين ومتفرقين .

الثالث : المسلمون والمسلمات من أهل القرية ، والبلدة ، والمصر الواحد .

الرابع : المسلمون والمسلمات الأحياء وإن تباعدت أقطارهم .

الخامس : المسلمون والمسلمات الأحياء منهم والأموات .

ولا تعارض بين هذه الوجوه ، ويتداخل فيها الخاص بالعام ، والمقيد بالمطلق ، فقول ﴿رَبَّنَا﴾ في آية البحث والآيتين السابقتين لطف من عند الله جعله حاضراً على نحو يومي في حياة المسلمين ليثابوا عليه في الدنيا والآخرة ، وفي التنزيل ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ﴾^(١) . فيتلو المسلم آية البحث فتكون شهادة ووثيقة وحرزاً له ولوالديه في الدارين ، وتكون تلاوته هذه نيابة عن غيره من عامة المسلمين ، ونوع إمارة على ورائته العبودية لله عز وجل من أجيال المسلمين السابقة فيأتيهم الثواب بميزان لا يقدر عليه إلا الله عز وجل ومن غير نقص من ثواب تالي القرآن شيئاً .

وهل من الوعد الإلهي مغفرة الذنوب ، الجواب نعم .

وجاء حضّ الناس على الإستغفار على السنة الرسل في القرآن ، ومنهم

نوح عليه السلام كما ورد في التنزيل ﴿ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا * ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا * فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا﴾^(٢) .

(١) سورة الأعراف ٤٣ .

(٢) سورة نوح ٨-١٠ .

وورد حكاية عن هود في التنزيل ﴿وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ﴾^(١).

وعلى لسان شعيب مع تذكيره بهلاك الأمم السالفة لجحودهم بدعوة الرسل إلى التوحيد ، إذ ورد حكاية عنه ﴿وَيَا قَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمُ نُوحٍ أَوْ قَوْمُ هُودٍ أَوْ قَوْمُ صَالِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ * وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾^(٢).

لتدل آية البحث على قانون نجاة المسلمين من الهلاك العام .
ونزلت آيات متعددة تحث المسلمين على الاستغفار وتجعله جزءاً من المناسك والفرائض العبادية ، وبخصوص مناسك حج بيت الله الحرام قال تعالى ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^(٣).
ليكون الاستغفار والإكثار منه واقية من الخزي يوم القيامة .

الآية بشارية

تتجلى في القرآن البشارة من وجوه عديدة منها :
الأول : قانون القرآن كتاب البشارات .
الثاني : قانون مجيئ الأنبياء بالبشارات .
الثالث : قانون البشارات السماوية من حب الله عز وجل للمؤمنين .
الرابع : قانون البشارات باعث للعمل الصالح .
الخامس : قانون بشارات القرآن التي تخص التائبين ، قال تعالى ﴿إِنْ

اللَّهُ يُحِبَّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾^(٤).

(١) سورة هود ٥٢.

(٢) سورة هود ٨٩-٩٠.

(٣) سورة البقرة ١٩٩.

(٤) سورة البقرة ٢٢٢.

السادس : قانون بشارات الدنيا في القرآن .

السابع : قانون بشارات الآخرة في القرآن .

ليان قانون القرآن كتاب البشارات وقانون القرآن كتاب الإنذارات التي وردت فيه بالنص ، أو التي تستقرأ من مفهوم بشارات القرآن .

وأخبرت آية البحث عن البشارات العظيمة التي جاء بها الأنبياء والرسل من عند الله عز وجل ، وفيها ثناء على الله عز وجل وشكر له سبحانه على الهداية لتلقي البشارات السماوية ، وفي التنزيل ﴿وَمَا يَلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾^(١).

وقد ورد قوله تعالى ﴿بَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ سبع مرات في القرآن ، كما ورد مرة واحدة ﴿وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ﴾ في قوله تعالى ﴿لَنْ يُثَابَلَ اللَّهُ لُحُومَهَا وَلَا دِمَاؤَهَا وَلَكِنَّ يُثَابِلُ اتَّقَوْنَ مِنْكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ﴾^(٢).

ليان قانون من وظائف النبوة البشارة المتعددة للمؤمنين إذ أحسنوا لأنفسهم ولغيرهم باختيار الإيمان والعمل الصالح الذي هو خير محض ، قال تعالى ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾^(٣).
(قال أبو ذر: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ أَخْلَصَ قَلْبَهُ لِلْإِيمَانِ وَجَعَلَ قَلْبَهُ سَلِيمًا وَلِسَانَهُ صَادِقًا وَنَفْسَهُ مُطْمَئِنَّةً وَخَلِيقَتَهُ مُسْتَقِيمَةً وَجَعَلَ أُذُنَهُ مُسْتَمِعَةً وَعَيْنَهُ نَازِرَةً فَأَمَّا الْأُذُنُ فَقَمَعَ وَالْعَيْنُ بِمُقَرَّةٍ لِمَا يُوعَى الْقَلْبُ وَقَدْ أَفْلَحَ مَنْ جَعَلَ قَلْبَهُ وَاعِيًا)^(٤).

(١) سورة فصلت ٣٥.

(٢) سورة الحج ٣٧.

(٣) سورة التغابن ٢.

(٤) مسند أحمد ٣١٤/٤٣ .

وتضمنت آية البحث الدعاء ﴿وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ لإخراج البشارة بالعذاب والنار من مصاديق البشارة بالنعيم والخلود في الجنة ، قال تعالى ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾^(١).

وإذا ورد لفظ البشارة مطلقاً فإنه ينصرف إلى البشارة بالخير للتبادر ومجئ الإنذار إلى جانب البشارة كما في قوله تعالى ﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾^(٢) ، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾^(٣).

ليشمل موضوع الدعاء في آية البحث رجاء الفوز بالبشارة الرسالية ، والنجاة من موضوع الإنذار بسؤال السلامة من الخزي في الآخرة .
ويحتمل قوله تعالى ﴿إِنَّكَ لَا تَخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ من جهة البشارة وجوهاً :
الأول : إنه بشارة متحدة .

الثاني : إنه بشارة بخصوص عالم الآخرة حسب نظم الآية ، ومجئ خاتمها بعد سؤال السلامة من الخزي يوم القيامة .
الثالث : إنه بشارة في أمور الدنيا والآخرة .

والصحيح هو الأخير ، فمصاديق خاتمة الآية حاضرة في كل يوم من أيام الدنيا بما فيه النفع العظيم للناس ، ويكون حضورها أظهر في جميع مواطن الآخرة ، لذا ورد قوله تعالى بخصوص أهل الجنة ﴿وَأَخِرْدُغَوَاهُمْ أَنْبِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(٤).

(١) سورة التوبة ٣.

(٢) سورة الكهف ٥٦.

(٣) سورة الإسراء ١٠٥.

(٤) سورة يونس ١٠.

ومنه الشكر لله عز وجل على تنجز وعده لهم ، وهل قولهم ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ خاص بنعم الآخرة ، أم يشمل النعم وفضل الله عز وجل في الدنيا ، الجواب هو الثاني .

خاصة وأن الدنيا مزرعة للآخرة ، والعمل الصالح فيها بتوفيق من عند الله ليكون نوع طريق إلى الخلود في النعيم ، ومنه تلاوة آية البحث في الصلاة وخارجها ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ في الدنيا والآخرة .
ليتجلى قانون مصاحبة الوعد الإلهي وتنجزه للناس في الدنيا والآخرة .

الآية إنذار

تتضمن آية البحث الإنذار للذين أعرضوا عن بشارات الأنبياء والرسول ، والتي اختص بها الذين آمنوا بالله ورسله وملائكته واليوم الآخر ، وامتنعوا عن ارتكاب المعاصي والسيئات .

ومن إعجاز نظم آيات البحث شمول ضمير الجمع ﴿نَا﴾ في ﴿رَبَّنَا﴾ لما ورد من خصالهم في الآيات السابقة ﴿لأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ الذين اتعظوا من الآيات الكونية ودلالاتها على وجود الصانع وهو الله عز وجل رب العالمين ، فصاروا يذكرون الله عز وجل على كل حال ويقولون بأن الله عز وجل خلق السموات والأرض بالحكمة المتعالية ، وآيات تعجز الخلائق عن دركها .

لقد أخبر الله عز وجل عن عجز الإنس والجن عن الإتيان بمثل القرآن كما في قوله تعالى ﴿قُلْ لِّئِنْ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾^(١) .

فمن باب الأولوية عجزهم عن إدراك كنه وعلل خلق الله عز وجل للناس وأجيالهم المتعاقبة ثم الخلود في عالم الجزاء .

(١) سورة الإسراء ٨٨ .

فنزلت آيات وسور القرآن لتقريب المدركات العقلية إلى الأذهان بشواهد حسية .

وتتضمن آية البحث الإنذار من الخزي يوم القيامة والذي يلحق الذين كفروا ، قال تعالى ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَن يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ ﴾^(١).

ونعتت الآية أعلاه دخول النار بأنه الخزي العظيم لبيان تعدد مراتب الخزي في مواطن يوم القيامة وأن أشدها هو دخول النار ، وهذا التعدد من وجوه خشية المسلمين من الخزي يوم القيامة ، ولجوئهم إلى الله عز وجل في سؤال النجاة منه ، للتسليم بقانون لا ينجي من الخزي يوم القيامة إلا الله عز وجل.

الصلة بين أول وآخر الآية

جاء نداء الإستغاثة ﴿ رَبَّنَا ﴾ في أول آية البحث مع عطفه موضوعاً على الآية السابقة ، وكذا بالنسبة لصيغة الجمع ، وكان المسلمون والمسلمات الأحياء والأموات يقولون ﴿ رَبَّنَا ﴾ في شهادة على التأريخ بتسليمهم بالتوحيد وسنته ، وإقرارهم بأن مقاليد الأمور بيد الله عز وجل .

وظاهر الصلة بين آية البحث والآية السابقة هو عالم الآخرة ، وسؤال المسلمين الله عز وجل بأن يأتيهم الله ما وعدهم من غفران الذنوب ، وشفاعة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ودخول الجنة ، لورود ما فيها من السؤال بعد إختتام الآية السابقة بسؤال الوفاة والموت مع الأبرار ، وعلى نهج الإنقياد والطاعة لله عز وجل ورسوله.

(١) سورة التوبة ٦٣.

ومن أدلة الطاعة في مضامين هذه الآيات مجئ حرف العطف في ﴿رَبَّنَا﴾
﴿أَمَّا﴾ ويكون تقدير أول آية البحث ﴿رَبَّنَا﴾ ﴿أَمَّا﴾ بما وعدتنا على رسلك
يوم القيامة .

ليكون يوم القيامة يوم الوعد الإلهي للمؤمنين ويوم الغبطة والسعادة
لهم ، ولم يأت الوعد الإلهي إلى المسلمين على نحو القضية الشخصية بل
جاء بالصفة والتحلي بالإيمان .

وبعد سؤال الله عز وجل وعده سأل المسلمون الله عز وجل العصمة
من الخزي في جميع مواطن القيامة ، فلا يختص الأمر بالنجاة من دخول
النار لأصالة الإطلاق ، وهل يدخل فيه الأمن والسلامة في عالم البرزخ ،
الجواب القدر المتيقن هو يوم القيامة من حين النشور والبعث من القبور ،
أما عالم البرزخ فتشمله خاتمة الآية السابقة ﴿وَوَفَّقْنَا مَعَ الْآبِرَارِ﴾^(١).

وهل تختص خاتمة آية البحث بمضامينها أم تشمل مضامين الآيات
السابقة ، المختار هو الثاني .

صلة خاتمة الآية بالآيات السابقة

تتجلى وحدة موضوع الدعاء في هذه الآيات ، ويكون تقدير صلة خاتمة
آية البحث بالآيات السابقة على وجوه :

الأول : ربنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانه إنك لا تخلف الميعاد .

الثاني : ربنا فقنا عذاب النار إنك لا تخلف الميعاد .

الثالث : ربنا إنك من تدخل النار فقد أخزيته إنك لا تخلف الميعاد .

الرابع : ربنا ما للظالمين من أنصار إنك لا تخلف الميعاد .

الخامس : ربنا إننا سمعنا منادي ينادي للإيمان إنك لا تخلف الميعاد .

السادس : ربنا إننا سمعنا منادياً ينادي للإيمان أن آمنوا بربكم فإمنا إنك

لا تخلف الميعاد .

(١) سورة آل عمران ١٩٣.

- السابع : ربنا فأغفر لنا ذنوبنا إنك لا تخلف الميعاد .
- الثامن : ربنا كفر عنا سيئاتنا إنك لا تخلف الميعاد .
- التاسع : ربنا توفنا مع الأبرار إنك لا تخلف الميعاد .
- العاشر : ربنا واتنا على ما وعدتنا مع رسلك إنك لا تخلف الميعاد .
- الحادي عشر : ربنا لا تخزنا يوم القيامة إنك لا تخلف الميعاد .

من غايات الآية

في الآية مسائل :

الأولى : إنقطاع المسلمين إلى الدعاء لقضاء الحاجات ، وفي التنزيل ﴿وَأَسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ﴾^(١).

الثانية : تجلي أدب العبودية ، وبيان وراثته المسلمين للمؤمنين من الأمم السالفة بقولهم ﴿رَبَّنَا﴾ وتقدير الآية : اللهم أنت ربنا وحدك ورب الناس جميعاً لا نشرك بك شيئاً .

الثالثة : تلاوة المسلمين والمسلمات آية البحث في الصلاة إجهاراً بالتوحيد في الآفاق.

الرابعة : رجاء الأجر والثواب من عند الله على النداء العام ﴿رَبَّنَا﴾ فمن إعجاز القرآن أمور :

- الأول : قانون تعدد المعاني للكلمة الواحدة من القرآن .
- الثاني : قانون كل كلمة من القرآن سبب للهداية والرشاد.
- الثالث : قانون إستقراء المسائل من الكلمة الواحدة من القرآن ، كما في كلمة ﴿رَبَّنَا﴾ في أول آية البحث .

الرابع : قانون تجلي المواعظ من صلة الكلمة القرآنية مع غيرها من كلمات القرآن .

الخامس : قانون تخلف النظائر عن معاني الكلمة القرآنية لإختصاصها بوجوه بلحاظ :

أولاً : المعنى اللغوي .

ثانياً : موضع الكلمة من الآية القرآنية .

ثالثاً : سياق الآيات وصلة الكلمة بمضامين الآية .

رابعاً : قانون تفسير القرآن بعضه لبعض .

السادس : قانون ترتب الأجر والثواب على تلاوة الكلمة الواحدة من القرآن .

الخامسة : بيان القرآن لما وعد الله عز وجل المسلمين يوم القيامة من الرحمة الخاصة بهم ، والعامة التي تشمل الناس جميعاً ، وبينهما عموم وخصوص مطلق ، ويتنفع المسلمون من كل منهما و(عن جندب بن عبد الله البجلي قال : جاء أعرابي فأناخ راحلته ثم عقلها ، ثم صلى خلف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ثم نادى : اللهم أرحمني ومحمداً ولا تشرك في رحمتنا أحداً .

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : لقد حظرت رحمة واسعة ، أن الله خلق مائة رحمة ، فأنزل رحمة يتعاطف بها الخلق جنّها وإنسها وبهائمها ، وعنده تسعة وتسعون^(١) .

السادسة : إعلان المسلمين الإيمان بالرسول ، وأن الله عز وجل بعثهم مبشرين ومنذرين للناس .

السابعة : حصول الخزي يوم القيامة لشطر من الناس .

مع بيان القرآن لصفاتهم وهم الظالمون ، والفاسقون الكافرون ، قال تعالى ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ فَنَادَوا وَلَئِنْ حِينِ مَنَّا﴾^(٢) ، أي ليس من فرار أو ذهاب أو ملجأ .

(١) الدر المنثور ٤/ ٣٣٧ .

(٢) سورة ص ٣ .

ولات : بمعنى ليس ، وهي (لا) لحقتها تاء كما تقول : ثمت ، واسمها مقدر تقديره : ولات الحين حين مناص .

ولا تضاف تاء مع (لا) إلا في الوقت والحين وأفراد الزمان .
الثامنة : حاجة الإنسان ذكراً أو أنثى للدعاء بالنجاة من الخزي أمام الخلائق يوم القيامة .

التاسعة : اخبار الآية الكريمة عن إيمان المسلمين والمسلمات بأن الله عز وجل لا يخلف وعوده للمؤمنين ، وهو من البهاء في الدنيا ، وباعث للطمأنينة في النفوس .

التفسير

قوله تعالى ﴿رَبَّنَا﴾

ورد النداء (ربنا) مائة وأربع مرات وقد ترد ثلاث مرات في آية واحدة كما في قوله تعالى ﴿وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾^(١) ، في دعاء موسى عليه السلام على آل فرعون.

وتتضمن آية البحث إشغال المسلمين بأنفسهم بخصوص أهوال الآخرة وسؤال النجاة من خزي يوم القيامة بعد أن أنعم الله عز وجل عليهم بالفتح المبين في صلح الحديبية الذي كان بداية انحسار قوى الكفر ، وإزاحة مفاهيم الضلالة والشرك في الجزيرة والعالم .

و(عن أنس قال : لما رجعنا من الحديبية وأصحاب محمد صلى الله عليه وسلم قد خالطوا الحزن والكآبة حيث ذبحوا هديهم في أمكنتهم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : أنزلت عليّ ضحى آية هي أحب إلي من الدنيا جميعاً ثلاثاً).

قلنا : ما هي يا رسول الله ، فقرأ ﴿إِنَّا قَتَحْنَا لَكَ قَتَحًا مُبِينًا﴾^(١) .
 قلنا : هنيئاً لك يا رسول الله فما لنا ، فقرأ ﴿يُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ
 وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾^(٢) .

فلما أتينا خير فأبصروا خميس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
 يعني جيشه أدبروا هاربين إلى الحصن ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله
 وسلم : خربت خير إنا إذا نزلنا بساحة قوم ﴿فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ﴾^(٣) ^(٤) .
 وبعد صلح الحديبية بسنتين تم فتح مكة مسلماً من غير قتال يعتد به لبيان
 مصداق لتفضيل النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بقهر أعدائه من
 المشركين مع شدة بطشهم وكثرة أموالهم بفضل ولطف من عند الله .
 وهل من موضوعية لدعاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه
 ﴿رَبَّنَا﴾ في تحقق هذا الفتح ، الجواب نعم ، ففيه تقريب للفرج ودفع للضرر .
 ومن معاني ابتداء الآية بالنداء ﴿رَبَّنَا﴾ تقديم الثناء على الله في طلب
 المسائل والحاجات إذ يقبل الله عز وجل الثناء عليه ، ويهب لأهله الأجر
 والثواب بانجاز مسائلهم .

وصدور النداء ﴿رَبَّنَا﴾ من المسلمين والمسلمات مجتمعين ومتفرقين حرب
 على النفاق والأمراض التي تدب إلى القلوب ، إذ أنه يمنع من نقص الإيمان
 ، وتكرار قول ﴿رَبَّنَا﴾ يزيد الإيمان ، وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿فَأَمَّا
 الَّذِينَ آمَنُوا فزَادَهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾^(٥) .

(١) سورة الفتح ١ .

(٢) سورة الفتح ٥ .

(٣) سورة الصافات ١٧٧ .

(٤) الدر المنثور ٩ / ٢١٤ .

(٥) سورة التوبة ١٢٤ .

لقد جاء النداء ﴿رَبَّنَا﴾ مقدمة لسؤال ، وطلب حاجات من عند الله عز وجل .

ولو قال المسلم ﴿رَبَّنَا﴾ بقصد القرآنية أو بغير قصد القرآنية ، فهل هو من الشكر لله ، الجواب نعم .

وهو من مصاديق ما ورد قبل ثلاث آيات ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾^(١).

ليبان سهولة اللفظ على اللسان وثقله في الميزان ، وصيرورته سبباً لنزول رحمة الله .

ومن معاني قوله تعالى ﴿رَبَّنَا﴾ التضرع إلى الله عز وجل لسماع مسألة وحاجات المسلمين ، مع التسليم بأن الله عز وجل يسمع كل صوت ، ومن صفاته تعالى ﴿السَّمِيعُ﴾ وفي التنزيل ﴿قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾^(٢) ، و﴿قَالَ رَبِّي﴾ قراءة حمزة والكسائي .

ووردت الآية بصيغة الخبر من النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وتقدير الآية (قال النبي محمد ربي يعلم .

(وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو (قل ربي))^(٣) .

والصحيح ما مرسوم في المصاحف .

وقد ورد لفظ (قال ربي) مرتين في القرآن ، احدهما في الآية أعلاه ، والأخرى بخصوص شعيب واحتجاجه على قومه ﴿قَالَ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾^(٤) .

(١) سورة آل عمران ١٩١ .

(٢) سورة الأنبياء ٤ .

(٣) المحرر الوجيز ٤/٤٣٨ .

(٤) سورة الشعراء ١٨٨ .

مما يدل على صحة رسم الآية أعلاه من سورة الأنبياء في المصاحف ووراثه النبي صلى الله عليه وآله وسلم للأنبياء في الدعوة إلى الله عز وجل.

تجليات التوحيد في ﴿رَبَّنَا﴾

ابتدأت آية البحث بالدعاء والإستغاثة بالله عز وجل ﴿رَبَّنَا﴾ وفيه ترغيب بالدعاء .

وهل تتضمن الآية حصر الدعاء بالله عز وجل لأمر الدين والدنيا ، الجواب نعم ، وهو المستقرأ من قوله تعالى ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾^(١).

وتقدير الآية : ادعوني ولا تدعو غيري ، وكل شئ هو محتاج إلى رحمتي ، وهل حاجة الخلائق لرحمة الله عز وجل من الكلي المتواطئ الذي يكون على مرتبة واحدة ، أم من الكلي المشكك الذي يكون على مراتب متفاوتة ، الجواب إنه لكل مخلوق حاجة مستمرة ومتجددة في كل ساعة ودقيقة من أفراد الزمان ، لبيان عظيم قدرة الله ، وهي مصداق لقوله تعالى ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾^(٢).

ويدل قول ﴿رَبَّنَا﴾ على وجوب دعاء الله عز وجل وحده ، وعليه السنة والإجماع ، ويفيد الجمع بينه وبين آيات القرآن الأخرى حرمة دعاء غير الله ، وفي التنزيل ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ﴾^(٣).

وقال تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادُ أُمثَالِكُمْ﴾^(٤) ومن مفاهيم قول ﴿رَبَّنَا﴾ تنمية ملكة التوحيد عند المسلمين ، وترغيب الناس

(١) سورة غافر ٦٠.

(٢) سورة البقرة ١١٧.

(٣) سورة الأحقاف ٥.

(٤) سورة الأعراف ١٩٤.

باللجوء إلى الله عز وجل لتتنجز الحاجات في الرخاء والشدة ، قال تعالى ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾^(١) .

والله عز وجل وحده هو المتصرف في عالم الأكوان ، ولا يصح اليمين الشرعي إلا بالله ، ولا يجوز النذر إلا له سبحانه .

خصائص نداء ﴿رَبَّنَا﴾

النداء هو الطلب من المخاطب بالإقبال والإنصات بحرف من أدوات النداء السبعة ، منها : يا ، أيها ، والهمزة لنداء القريب ، وقد يحذف حرف النداء كما ورد في التنزيل ﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا﴾^(٢) والتقدير : يا يوسف أعرض عن هذا .

وأبى الله إلا أن يكون أكثر نداءات القرآن هو نداء (رب) وهو نداء الأنبياء وورثه منهم المسلمون ، ثم نداء (ربنا) كما في آية البحث .
ليبان موضوعية الدعاء في الحياة الدنيا ، وقانون حاجة الناس العامة والخاصة للدعاء ، وفضل الله عز وجل بالإستجابة .

ثم نداء الإيمان الصادر منه إلى المسلمين والمسلمات ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ ومنه قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ﴾^(٣) .
ثم النداء للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم خمس عشرة مرة ، ثلاث عشرة مرة بصفة النبوة منها ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾^(٤) واثنين منها بصفة الرسالة وهما ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمَنْ

(١) سورة النمل ٦٢ .

(٢) سورة يوسف ٢٩ .

(٣) سورة الأحقاف ٣٣ .

(٤) سورة الأحزاب ٤٥ .

الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرْ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ^(١) ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنْ اللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾^(٢).

وورد النداء بالحرف ﴿نَا﴾ للإنسان مطلقاً مرتين وهما ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾^(٣) و﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ﴾^(٤).
وورد النداء للرسل مرة واحدة بقوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾^(٥) وورد النداء إلى الكفار مرة واحدة ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْرُونَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾^(٦).
ويتصف النداء القرآني بتعدد معانيه ودلالاته ، والغايات الحميدة منه ، سواء كان ظاهراً أو محذوفاً أو خفياً ، كما في ورد حكاية عن زكريا ﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا﴾^(٧).



(١) سورة المائدة ٤١.

(٢) سورة المائدة ٦٧.

(٣) سورة الإنفطار ٦.

(٤) سورة الإنشقاق ٦.

(٥) سورة المؤمنون ٢١.

(٦) سورة التحريم ٧.

(٧) سورة مريم ٣.

صيغة الجمع في ﴿رَبَّنَا﴾

يتلوا المسلمون آية البحث بالإبتداء بالنداء (ربنا) وبلحاظ آيات القرآن الأخرى في المقام تحتل صيغة الجمع أعلاه (ربنا) وجوهاً :

الأول : الله عز وجل رب المسلمين والمسلمات .

الثاني : الله عز وجل رب الناس جميعاً .

وفي التنزيل ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾^(١)، ولم يرد لفظ (رب الناس) في القرآن إلا في الآية أعلاه .

الثالث : الله عز وجل رب الأحياء والأموات .

الرابع : الله عز وجل رب الخلائق كلها ، وفي التنزيل ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ

شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾^(٢).

ولا تعارض بين هذه الوجوه ، وهل يختص قول (ربنا) في آية البحث بالمسلمين بدليل قوله تعالى ﴿اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ﴾^(٣)، الوارد مرتين في القرآن في احتجاج الرسول محمد صلى الله عليه وآله وسلم على الذين كفروا .

الجواب لا ، فموضوع الآية أعم فهي لم ترد للاحتجاج إنما جاءت للدعاء والمسألة من مقامات الفقهة في الدين التي ترشحت عند الصحابة وأجيال المسلمين من آيات القرآن وإعجازها والسنة النبوية الشريفة.

نداء (ربنا)

تستعمل (يا) للنداء للقريب والبعيد ، وقد جاء نداء المسلمين لله عز وجل بالربوبية المطلقة من غير (يا) فمع ورود كلمة (ربنا) (١٠٤) مرات في القرآن فلم يأت في القرآن (يا ربنا) مع ورود يا رب في القرآن كما في قوله

(١) سورة الناس ١.

(٢) سورة الزمر ٦٢.

(٣) أنظر سورة البقرة ١٣٩ وسورة الشورى ١٥ .

تعالى ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾^(١)، وقوله تعالى ﴿وَقِيلَ يَا رَبِّ إِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ﴾^(٢).

وعدم مجئ الياء في نداء (ربنا) لشدة قرب الله عز وجل من الناس ، قال تعالى ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾^(٣). فهو قرب خاص لم في الخلائق والأكوان ، ولا بين الناس أو الجن .

فمن إعجاز القرآن وصف قرب الله بأنه أقرب للإنسان من حبل الوريد ، لبيان مشيئة الله عز وجل في أعمال بني آدم ، وهو لا يتعارض مع الاختيار والإمتحان في الدنيا ، ولا يحتاج السعي للقرب من الله عز وجل ومناجاته بصيغ النداء ، فهو أقرب من الإنسان لذاته ، وأقرب من أركانه وأعضائه له .

فليس ثمة تصور عن قرب أو بعد الله منه إنما يكون القرب إليه بالسجود والدعاء والتسبيح أثناء السجود ، قال تعالى ﴿وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ﴾^(٤) لبيان سؤال الحاجات ، ونزلت آية البحث بسؤال أكثر الحاجات إلحاحاً وهي السلامة والأمن من الخزي يوم القيامة بدليل قوله تعالى في آية البحث ﴿وَلَا تَخْزَنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾^(٥).

والذي يدل بالدلالة التضمنية على سؤال النجاة من دخول النار وبيان قانون حاجة كل إنسان للدعاء بالنجاة من النار .

(١) سورة الفرقان ٣٠.

(٢) سورة الزخرف ٨٨.

(٣) سورة ق ١٦.

(٤) سورة العلق ١٩.

(٥) سورة آل عمران ١٩٤.

وتتجلى هذه الحاجة بالجمع بين آية البحث وما فيها من سؤال العصمة من الخزي يوم القيامة ، وبين قوله تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ﴾^(١)، وقوله تعالى ﴿وَرَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾^(٢).

ابتداء هذه الآيات ببدء الإستجارة

مثلما ابتدأت الآيتان السابقتان ببدء الإستجارة والإستغاثة من منازل العبودية (ربنا) كذلك ابتدأت هذه الآية بذات النداء لبيان وجوه :

الأول : قانون المسلمون موحدون لا يشركون بالله شيئاً .

الثاني : قانون إقرار المسلمين بأن الله عز وجل هو ربهم ، ورب الخلائق ، لذا يتلو كل مسلم ومسلمة سبع عشرة مرة في اليوم وعلى نحو الوجوب العيني ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(٣).

وفي الآية أعلاه يقر المسلمون بضعف الإنسان ، وتضاؤل عدد وأثر الناس والأرض التي هم عليها بالنسبة لعالم الأكوان وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾^(٤).

ولم يرد لفظ ﴿بَيْنَهُنَّ﴾ في القرآن إلا مرة واحدة وبخصوص بديع خلق الله ومشيتته المطلقة بقوله تعالى ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لَتَعْلَمُنَّ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾^(٥).

(١) سورة سبأ ٢٨.

(٢) سورة النحل ٨٩.

(٣) سورة الفاتحة ٢.

(٤) سورة مريم ٦٥.

(٥) سورة الطلاق ١٢.

وتدل صيغة التنكير بالاسم الموصول (ما) في ﴿مَا وَعَدْنَا﴾ الذي هو مفعول ثان ، على تفقه المسلمين في الشرائع السماوية ، ومعرفتهم بما وعدهم الله على لسان النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم والرسل السابقين مع أنهم لم يروا هؤلاء الرسل وآخرهم عيسى عليه السلام ، وبينه وبين النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم نحو ستمائة سنة ، ولكن ورد ذكرهم في القرآن .

وهل تشمل الآية الكتب السماوية وتقديرها : وما وعدتنا على التنزيل والوحي على رسلك ، الجواب نعم ، وهو من الشواهد على إيمان المسلمين بالكتب السماوية السابقة ، وفيه الثناء على أجيال المسلمين بقوله تعالى ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْآخِرَةُ هُمْ يُوَفُّونَ﴾^(١).

وتبين الآية موضوعية الدعاء لعالم الآخرة ، والحاجة إلى النجاة من أهوالها ، والخزي الذي يلحق كثيراً من الناس يومئذ ، وهل قول (ربنا) في أول الآية من أسباب السلامة من الخزي يوم القيامة ، الجواب نعم ، لأنه شهادة التوحيد.

الإيمان لغة واصطلاحاً

هل قول ﴿رَبَّنَا﴾ شاهد على الإيمان ، الجواب نعم .

والإيمان لغة الطمأنينة والأمن وهو مصدر آمن يؤمن إيماناً ، وضده الخوف ، والإيمان في الاصطلاح اعتقاد بالجنان ، وقول باللسان ، وعمل بالجوارح والأركان .

وهل الإيمان من الكلبي المتواطئ الذي يكون على مرتبة واحدة ، أم أنه من الكلبي المشكك الذي يكون على مراتب متفاوتة قوة وضعفاً ، المختار هو الثاني ، فيزداد الإيمان ويرتقي المسلم في درجاته بالطاعة والتقوى وينقص بالتخلف عن أداء الفرائض العبادية ، وبالمعصية .

(١) سورة البقرة ٤.

(وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : الإيمان بضع وسبعون باباً ، أدناها إمطة الأذى عن الطريق ، وأعلاها شهادة أن لا إله إلا الله) ^(١) .
ومن الإعجاز في الحديث أعلاه التخفيف عن المسلمين واليسر في الإرتقاء في مراتب الإيمان فاعلاها النطق بكلمة التوحيد .
(وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : الحياء خير كله وقال الحياء شعبة من الإيمان لا يأتي إلا بخير وقال إن الله يحب الحيي الحليم) ^(٢) .
ليبان تعدد شعب ومصاديق الإيمان ومنها الهدى والصلاح ، وتعاهد الفرائض في أوقاتها ، وفي التنزيل ﴿وَيَزِدْ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَآيَاتٍ الصَّالِحَاتِ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَرَدًّا﴾ ^(٣) .

وكذا العصاة والظالمون على دركات متعددة ، (عن أبي الدرداء : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : قال الله تعالى ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذْ ذُكِرَ اللَّهُ﴾ ^(٤) ، فأما الذين سبقوا ، فأولئك يدخلون الجنة بغير حساب . وأما الذين اقتصدوا ، فأولئك الذين يحاسبون حساباً يسيراً ، وأما الذين ظلموا أنفسهم ، فأولئك يحبسون في طول المحشر .

(١) الثعلبي / الكشف والبيان ١/٧٠.

(٢) ورام بن أبي فراس (تنبيه الخواطر ونزهة النواظر) المعروف بمجموعة الوراق ١٨٤/١.

(٣) سورة مريم ٧٦.

(٤) سورة فاطر ٣٢.

ثم هم الذين تلقاهم الله برحمة ، فهم الذين يقولون ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾ * الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿١﴾ (٢).

وقالت المعتزلة : أن مرتكب الكبيرة في منزلة بين الإيمان والكفر ، وأن الإيمان جملة واحدة لا يقبل التجزئة ، فيذهب كله بارتكاب المعصية ولكنها لا ترمي صاحبها في مستنقع الكفر لنطقه بالشهادتين وأدائه الفرائض العبادية في الجملة .

وعلى الضد من هذا القول ما ذهب إليه المرجئة بأن الذي أقر بالتوحيد وشهد للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بالرسالة فهو مؤمن كامل الإيمان وإن عمل ما عمل ، وأنكروا زيادة ونقص الإيمان .

ومن إعجاز القرآن وأحكام الشريعة الإسلامية إنحسار أثر المعتزلة والخوارج والمرجئة ، ونحوها من الأفكار المتطرفة وأسباب إنشغال المسلمين بالمسائل الخلافية في باب العقائد .

وربما جعلتهم هذه المسائل ينصرفون عن التدبر في آيات القرآن وينشغلون بالبحث عن آيات تعضد قولهم مع أن القرآن حمال أوجه وقد يتفق أن يستدل الفريقان المتضادان في القول بالإستدلال بذات آية واحدة ، ليكون من معاني قوله تعالى ﴿كَتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ (٣) ، الزجر عن الخلاف في المسائل الكلامية ، وبث الفرق بين المسلمين بسببها ، وجعلهم طوائف وفرق ومذاهب ، والله عز وجل يقبل القليل ، ويعطي الكثير جزاء عليه ، وابتداء من فضل الله لذا فإن ابتداء آية

(١) سورة فاطر ٣٤-٣٥ .

(٢) الدر المنثور ٨/ ٢٧٧ .

(٣) سورة ص ٢٩ .

البحث بقوله (ربنا) باب للأجر وسبب للصالح ونوع مادة للإستقامة ، قال تعالى ﴿وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ﴾^(١).

وهو عنوان وحدة المسلمين في طاعة الله ، والإجتهاد في الدعاء ، وسنخية الدعاء الخالي من العداوة والبغضاء ، إنما يدعو كل مسلم لنفسه ولغيره بالسلامة يوم القيامة وهو من مصاديق صيغة الجمع (ربنا) الذي بدأت به آية البحث والآيتان السابقتان .

ليكون تكرار قول (ربنا) في آيات متجاورة دعوة سماوية للمسلمين للتعاون في طاعة الله ، وإجتنب المعصية ، قال تعالى ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾^(٢).

أفراد الدعاء في هذه الآيات

من بديع نظم القرآن اجتماع هذه الآية والآيات الثلاثة السابقة في موضوع الدعاء وسؤال الله عز وجل لبيان حاجة المؤمنين أولي الأبواب لرحمة الله ، ليكون من باب الأولوية حاجة عامة الناس لرحمته تعالى . ولم تأت هذه الأولوية إلا بعد بيان أصحابها وهم أولو العقول الراجعة الذين سخروا عقولهم لطاعة الله ويذكرون الله على كل حال ، ليكون هذا الذكر مقدمة للإستجابة لدعائهم والواردة في الآية التالية . والأدعية في هذه الآيات مرتبة على وجوه :

الأول : سؤال الوقاية والنجاة من النار ﴿وَقَنَا عَذَابَ النَّارِ﴾^(٣).

فمع أن الآية أعلاه تتحدث عن اقرار المسلمين بعظمة خلق الله عز وجل ومخلوقاته الظاهرة للحواس من السماء والأرض فانهم ختموا ذكرهم لله وتفكرهم في خلق السموات والأرض بسؤال الوقاية من النار في الآخرة .

(١) سورة الشورى ١٥.

(٢) سورة المائدة ٢.

(٣) سورة البقرة ٢٠١.

ليبان أن النعم الإلهية على الناس في الدنيا للإبتلاء والإختبار والإمتحان ، فمن إعجاز موضوع الآية أنها تتضمن اقرار المسلمين ببديع صنع الله في عالم الأكوان ثم تنتقل إلى سؤال النجاة من النار في الآخرة ، قال تعالى ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾^(١).

الثاني : الإقرار العام بملازمة الخزي لدخول النار ، وهل ينحصر خزي الكافرين يومئذ بدخول النار ، أم أنه سابق له .

الجواب هو الثاني ، ويبدأ خزيهم من حين دخولهم القبر كما يكون تركة لهم في الدنيا بسوء ذكرهم من قبل الناس .

ويبعث قوله تعالى ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تَدْخُلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾^(٢) ، على سعي المسلمين في طاعة الله ، وحرصهم على إجتنب أسباب ومقدمات دخول النار ، وهل تبعث الآية أعلاه على الإجتهد في الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، الجواب نعم .

الثالث : إقرار المسلمين ذكوراً وإناثاً بانعدام الناصر للظالمين يوم القيامة ، ويستفاد التقييد في المقام بأن المراد وفق نظم الآية هو يوم القيامة .

وتقدم ذكر دخول النار ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تَدْخُلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾^(٣) ، ولكنه لا يمنع من إنعدام الناصر لهم في الدنيا ، ونزول البلاء بهم على نحو الفرادى ، أو القوم والطائفة والأمة ، كما في قوم نوح ، وقوم صالح ، وعاد قوم هود .

(١) سورة الأنبياء ١٠٤.

(٢) سورة آل عمران ١٩٢.

(٣) سورة آل عمران ١٩٢.

ولا يختص إنعدام الناصر بالرؤساء من الكفار بل يشمل اتباعهم وأعاونهم وأنصارهم ، قال تعالى ﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجِيتَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَنَجِيتَاهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ * وَتِلْكَ آيَاتُ جَحْدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾^(١).

وقد تجلّى قانون انعدام الناصر للظالمين في الدنيا ، بهلاك طائفة من رؤساء قريش عند إصرارهم على قتال النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في معركة بدر ، وأحد ، والخندق ، قال تعالى ﴿يَقْطَعُ طَرَفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتُهُمْ فَيَنْقَلِبُوا خَائِبِينَ﴾^(٢).

قانون إنعدام الناصر للظالمين

من خصائص يوم القيامة إنعدام الناصر والشفيع للظالم يوم القيامة ، ووردت الآية بصيغة الإطلاق ﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾^(٣). والمراد الظالمون لأنفسهم ولغيرهم ، وهل يختص الغير بالأفراد ، الجواب لا ، فيشمل الظلم في المقام الخيانة العامة والفساد ، وسرقة المال العام ، والتفريط وإهمال الواجبات العامة ، وحقوق ملة التوحيد والمواطنة. وتدل الآية أعلاه في مفهومها على وجود النصرة للمؤمنين يوم القيامة ، والله عز وجل هو النصير في الدنيا والآخرة ، قال تعالى ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ وَكَفَى بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَى بِاللَّهِ نَصِيرًا﴾^(٤).

و(النصير) من أسماء الله الحسنى ، ولم يرد اسماً أو وصفاً لغير الله في القرآن ، فهو سبحانه الولي والنصير في الدنيا والآخرة .

(١) سورة هود ٥٨-٥٩.

(٢) سورة آل عمران ١٢٧.

(٣) سورة آل عمران ١٩٢.

(٤) سورة النساء ٤٥.

وهل تدخل الشفاعة يوم القيامة في النصرة والإعانة ، الجواب نعم ،
ومن خصائص يوم القيامة عدم وجود شفيع أو معين أو مواسي للظالمين ،
إنما يلوم ويتبرأ بعضهم من بعض ، قال تعالى ﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ
الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ﴾ * وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّا كُنَّا نَدْرِكُهُمْ
فَنَنْبِرُ مِنْهُمْ كَمَا نَبْرَءُ وَمَا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ
النَّارِ ﴿١﴾.

وتدل الآيتان أعلاه على يأس الكفار والظالمين من وجود الناصر
والشفيع ، فانشغلوا بدم وتوبيخ بعضهم بعضاً ، وهو من مصاديق العداوة
يومئذ بينهم ، قال تعالى ﴿الْأَخْلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ ﴿٢﴾.
وقال الإمام الصادق عليه السلام (ألا كل خلة كانت في الدنيا في غير
الله فانها تصير عداوة يوم القيامة) ﴿٣﴾.

ليبان موضوعية قصد القرية في العبادات ، والثواب عليها باستحضارها
في المستحبات مع عدم وجوبها فيها ، لكنها عصمة من الزلل ، وهي من
مصاديق النجاة من الخزي يوم القيامة الذي تذكره آية البحث .

قوله تعالى ﴿وَأَتَيْنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ﴾

عدد الرسل الذين أرسلهم الله عز وجل للناس ثلاثمائة وثلاثة عشر
رسولاً ، فهل تختص آية البحث بهم ، أم تشمل جميع الأنبياء ، وعددهم
مع الرسل مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً .
المختار هو الثاني ، فقد يأتي لفظ الرسل ويراد منه الأنبياء على نحو
العموم الإستغراقي ، أو العهد .

(١) سورة البقرة ١٦٦-١٦٧.

(٢) سورة الزخرف ٦٧.

(٣) البحار ٢٣٧/٦٦.

تبين الآية قانون حب الله للدعاء ، فانه سبحانه يحب أن يسمع الخلائق تسبح بحمده وتشكر له ، وتتوجه له بالدعاء .

وقد وردت صفة ﴿سَمِعُ الدَّعَاءِ﴾ مرتين في القرآن ، وكلاهما لله عز وجل ، وردت واحدة على لسان إبراهيم ، والأخرى على لسان زكريا عليهما السلام .

فلا يقدر على سماع الدعاء إلا هو سبحانه ، لأن معنى السماع هنا القبول والاستجابة ، والآية التي بخصوص زكريا ﴿قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدَّعَاءِ﴾^(١).

ليراث المسلمون من الأنبياء قانون التسليم العام بأن الله عز وجل سميع ومجيب الدعاء ، وآية البحث من الشواهد على هذه الوراثة ببركة رسالة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم والإقرار ببعثة كل بني أو رسول .
ويحب الله من الناس سؤالهم لحسن المقام في الآخرة لما فيه من الدلالة على الإيمان باليوم الآخر وأنه عالم الحساب والجزاء .

ومن خصائص هذا الإيمان تجلي بصماته في قول وعمل المؤمنين مجتمعين ومتفرقين ، ومناجاتهم ، وقيامهم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .
وفي الآية حذف ، وتقديره على وجوه :

الأول : وآتانا ما وعدتنا على السنة رسلك .

الثاني : وآتانا ما وعدتنا في الكتب التي جاء بها رسلك .

الثالث : وآتانا ما وعدتنا على رسلك في القرآن .

الرابع : ربنا وآتانا ما وعدت المؤمنين على السنة رسلك ، فكل رسول يعد أتباعه وعامة المسلمين بأن الله سبحانه يثيبهم على إيمانهم وعملهم الصالحات .

(١) سورة آل عمران ٣٨ .

الخامس : الآية دعاء وتقديرها : ربنا تفضل علينا وآتنا ما وعدتنا على رسلك من نزول رحمتك علينا والثواب الجزيل على العمل الصالح .
وعن (أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : من وعده الله عز وجل على عمل ثوابا فهو منجز له رحمة ومن وعده على عمل عقابا فهو فيه بالخيار)^(١).

ويبين هذا الحديث النبوي رحمة عظمى من عند الله عز وجل ، فالوعد بالثواب على العمل الصالح ثابت وحق ، ويأتي كاملاً ، وفيه زيادة ، أما وعيد الله عز وجل بالعقاب على المعصية فقد يعفو الله عز وجل ويتجاوز عن العاصي بفضل منه تعالى وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿يَسْأَلُ اللَّهَ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعَدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾^(٢).
وقال الشاعر :

ولا يرهب ابن العم ما عشت صولتي ... ولا أخفني من خشية المتهدد
ولاني متى أوعدته أو وعدته ... لمخلف إيعادي ومنجز موعدتي^(٣).
إذ تضمن القرآن أخبار الرسل وبياراتهم بالنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وبالأجر والثواب لمن اتبع .

السادس : وآتنا ما وعدتنا في الكتب والوحي والحكمة التي منحتها للأنبياء ، قال تعالى ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ﴾^(٤).

فمن خصائص ميثاق الأنبياء قيامهم بتبليغ سنته وأحكامه ، فبلغت المسلمين بآيات القرآن والسنة النبوية ، فلجأوا إلى الله عز وجل لتحقيق ما

(١) تفسير القرطبي ٣٠٨/٤ .

(٢) سورة الرعد ٣٩ .

(٣) تفسير القرطبي ٣٠٨/٤ .

(٤) سورة آل عمران ٨١ .

وعدهم من الثواب بالنعيم الدائم في الجنة ، قال تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾^(١).

وعن الحسن البصري (قال : بلغنا أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : المؤمن إذا خرج من قبره صور له عمله في صورة حسنة وريح طيبة فيقول له : ما أنت . فوالله إني لأراك عين امرئ صدق . فيقول له : أنا عملك . فيكون له نوراً وقائداً إلى الجنة ، وأما الكافر فإذا خرج من قبره صور له عمله في صورة سيئة وريح متنتة ، فيقول له : ما أنت فوالله إني لأراك عين امرئ سوء ، فيقول : أنا عملك فينطلق به حتى يدخله النار)^(٢).

إحصاء ذكر الأنبياء في القرآن

يذكر في علم التفسير عدد المرات التي ذكر فيها الأنبياء في القرآن بلحاظ ورود اسم النبي ، فيقال مثلاً ذكر اسم آدم خمساً وعشرين مرة ، وذكر موسى مائة وستاً وثلاثين مرة ، وذكر هارون عشرين مرة ، فقد نال هارون النبوة بدعاء موسى عليه السلام ، كما أن موسى نبي رسول من الرسل الخمسة أولي العزم ، وذكر داود (١٦) مرة ، وذكر سليمان (١٧) مرة في القرآن .

ولقد ورد اسم إبراهيم تسعة وستين مرة في القرآن ، عدا ذكره بصيغة الضمير وصيغة الخطاب ، والقول الذي يتضمن حذف الفاعل ، فمثلاً قوله تعالى ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾^(٣) ، فقد ذكرت الآية اسم إبراهيم مرة واحدة ، بينما أشارت إليه

(١) سورة يونس ٩.

(٢) الدر المنثور ٢١٤/٥ .

(٣) سورة إبراهيم ٣٥.

بياء المتكلم ثلاث مرات في ﴿رَبِّ﴾ ﴿وَاجْنُبْنِي﴾ ﴿وَيَنِي﴾ مما يدل على أن ذكر أي نبي من الأنبياء في القرآن لا ينحصر بذكر اسمه بالذات بل يشمل الضمائر التي تدل عليه.

ليبان قانون عدم توقف ذكر كل نبي في القرآن على ذكر اسمه فقط ، بل يكون الإحصاء كالتالي مثلاً ذكر بخصوص إبراهيم عليه السلام :

الأول : عدد المرات التي ذكر فيها اسم إبراهيم عليه السلام في القرآن .
الثاني : عدد المرات التي ذكر فيها بصيغة الضمير الفاعل مثل ضمير الرفع للمفرد المذكر المخاطب الفاعل (أنت) في قوله تعالى ﴿قَالَ أَرَأَيْتَ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَنْ لَمْ تَنْتَ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا﴾^(١).

وفي هذه الآية أيضاً ورد اسم إبراهيم ، والضمير المستتر الفاعل في ﴿تَنْتَ﴾ ، وتقديره (أنت) والضمير المتصل (الكاف) في محل مفعول به ، والفاعل الضمير المستتر العائد لإبراهيم في ﴿وَاهْجُرْنِي﴾.

الثالث : الضمير المستتر الفاعل مثل ﴿قَالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجَلُونَ﴾ واسم كان في قوله تعالى ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾^(٢)، وقوله تعالى ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾^(٣).

(١) سورة مريم ٤٦.

(٢) سورة النحل ١٢٣.

(٣) سورة مريم ٤١.

الرابع : الضمير المستتر الفاعل في ﴿لَا تُوْحَلْ﴾ وتقديره (أنت) ، وبصيغة الضمير المفعول به مثل الكاف في قوله تعالى ﴿قَالُوا لَا تُوْحَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ﴾^(١).
الخامس : ياء المتكلم التي تدل على إبراهيم مثل الياء التي تكررت ثلاث مرات في قوله تعالى ﴿قَالَ أَبَشِّرْهُنِّي عَلَىٰ أَن مَّسِّنِي إِلِكْرَفِيمَ بُشْرُونَ﴾^(٢).

السادس : المضاف والمضاف إليه ، والاسم المجرور مثل الهاء في ﴿وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ﴾^(٣).

ومن خصائص الإحصاء القرآني استقراء المسائل والقوانين من أعداده وأرقامه وأقسامه ، وقد أقرحت بتاريخ الثالث شوال ١٤٢٤ وفي البحث الخارج على فضلاء الحوزة العلمية انشاء جامعة خاصة بعلوم القرآن وتكون منها كلية خاصة بعلم الإحصاء في القرآن والسنة.
ويمكن أن يتضمن منهاجها علوماً إحصائية عديدة في القرآن منها هذا العلم الذي يتناول ذكر كل نبي في القرآن بالاسم والدلالة والضمير المنفصل أو المتصل أو المستتر ، لتتجلى أرقام مذهلة .

ذكر النبي محمد (ص) أكثر من ألف مرة في القرآن

بينما ورد ذكر اسم موسى في القرآن (١٣٦) مرة ، وذكر اسم النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم أربع مرات ، والخامسة باسم أحمد ، كما في قوله تعالى ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَآئِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ

(١) سورة الحجر ٥٣.

(٢) سورة الحجر ٥٤ .

(٣) سورة الأنبياء ٧٠.

مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِيهِ مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿١﴾.

فان النبي محمداً ورد في القرآن بأسماء وصفات متعددة منها :
الأول : النبي : إذ ورد نحو واحدة وعشرين مرة في القرآن ، وكلها للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

الثاني : الرسول : قال تعالى ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ (٢) ، كما وردت صفة الرسول بالإضافة لله عز وجل رسوله ستاً وثمانين مرة في القرآن ، كلها للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم منها ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (٣).

الثالث : الأُمِّي .

الرابع : الاسم الموصول (الذي) .

وتجتمع هذه الأسماء الأربعة في قوله تعالى ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَاْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ (٤).

وهل يدل تقديم صفة الرسالة على النبوة في الآية أعلاه على أنها أعلى مرتبة من النبوة ، المختار نعم .

الخامس : الشاهد .

السادس : المبشر .

(١) سورة الصف ٦.

(٢) سورة التغابن ١٢.

(٣) سورة الأنفال ١٣.

(٤) سورة الأعراف ١٥٨.

السابع : النذير .

ويدل على الصفات الثلاثة أعلاه مجتمعة قوله تعالى ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾^(١) إلى جانب الضمير (الكاف) مفعول به في ﴿أَرْسَلْنَاكَ﴾ صفة رابعة.

الثامن : الضمائر المنفصلة التي يراد منها النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم مثل (انت) في قوله تعالى ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ * إِنْ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ﴾^(٢)، والضمير (هو) مثل ﴿مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جَنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾^(٣).

كما وردت صفة (صاحبكم) في الآية أعلاه خاصة للنبي ، ووردت مرة أخرى في قوله تعالى ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى﴾^(٤).

التاسع : الضمائر المتصلة مثل الكاف الذي ورد خاصاً للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ثلاث مرات بقوله تعالى ﴿مَا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرَّسُولِ مِنْ قَبْلِكَ إِنْ رَّبُّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ﴾^(٥).

العاشر : الضمير المستتر ، سواء كان فاعلاً ، أو مفعولاً به ، وفي قوله تعالى ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾^(٦)، سبّح : أمر مبني على السكون ، والفاعل ضمير مستتر تقديره أنت ، يعود إلى النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم اسم مفعول به منصوب .

(١) سورة الأحزاب ٤٥.

(٢) سورة فاطر ٢٢-٢٣.

(٣) سورة سبأ ٤٦.

(٤) سورة النجم ٢.

(٥) سورة فصلت ٤٣.

(٦) سورة الأعلى ١.

ليفوز النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بالسهم الأوفر في عدد المرات التي ورد فيها ذكره في القرآن مثلاً ورد لفظ (قل) (٣٣٢) مرة ، وباستثناء أربعة منها فان (٣٢٨) مرة كلها خطاب للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، وتقدير هذه الآية : قل يا محمد ، قل يا رسول الله .
 لتتجلى في هذا العلم من الإحصاء فوز النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بالذكر في القرآن أضعاف ما ذكر أي نبي أو رسول آخر في القرآن ، إذ تبلغ أكثر من ألف ، ولها دلالات ، وتستقرأ منها معاني متعددة .
 ويتجلى إعجاز قرآني ومواعظ في جهاد الأنبياء ، وإكرام الله لهم ، ومصدق لقوله تعالى ﴿وَبَرَكْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾^(١).

دلالة صيغة الجمع في آية البحث

جاءت الآية بصيغة الجمع ﴿رَبَّنَا﴾ و﴿مَا وَعَدْتَنَا﴾ و﴿وَلَا تُخْزِنَا﴾ لإرادة حب المسلمين لله الهأ ، وخالقاً ، ورباً ، ورجاء وعد الله عز وجل للمسلمين .
 وهل يصح تقدير الآية بصيغة المفرد (ربي وآتني ما وعدتني) الجواب نعم ، ولكن لصيغة الجمع في المقام دلالات منها :
الأولى : قانون انتفاع الجماعة من دعاء المفرد .
الثانية : قانون دلالة أدعية القرآن على وحدة المسلمين .
الثالثة : قانون الزجر عن الفرقة والخصومة بين المسلمين ، فالجميع يلتقون في صيغة الدعاء الجمعي ، قال تعالى ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾^(٢).

وهل الدعاء من حبل الله ، الجواب نعم ، لبيان قانون تلاوة المسلمين لآية ﴿وَأَتَيْنَا مَا وَعَدْتَنَا﴾ من الاعتصام بحبل الله .
الرابعة : قانون طرد الغفلة عن المسلمين والمسلمات .

(١) سورة النحل ٨٩ .

(٢) سورة آل عمران ١٠٣ .

الخامسة : توارث أجيال المسلمين طاعة الله ورسوله .

السادسة : تفقه المسلمين في الدين ، وإدراكهم أن صيغة الجمع في الدعاء أكثر نفعاً لهم في الدارين .

السابعة : قانون حاجة الناس للدعاء بصيغة الجمع لقضاء الحوائج ، ومن الآيات في المقام مجئ آية الإستجابة التي تلي هذه الآية بصيغة الجمع بقوله تعالى ﴿ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ نَسَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ نَوَافِلًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ ﴾^(١) ، مع صيغة الإطلاق في الذكور والإناث في حث المسلمات على الدعاء ، وقانون عدم الإستهانة بدعاء النساء .

الثامنة : صيغة الجمع في الدعاء تقرب لتحقيق الرغائب .

المراد من الرسل في آية البحث

لقد ذكر الله في القرآن خمسة وعشرين نبياً من بين مائة ألف وأربعة وعشرين ألفاً من الأنبياء ، وأخبر الله عز وجل على وجوب الإيمان والتصديق بهم جميعاً وإن لم نعرف أسماءهم ، وتأريخ بعثتهم ، والأماكن والبلدان التي بعثوا فيها .

مما ذكرته آية البحث من الوعد على السنة الرسل جهات :

الأولى : إرادة ما وعد الله عز وجل على السنة الرسل من بين الأنبياء ، وعدد الرسل هو ثلاثمائة وثلاثة عشر رسولاً .

الثانية : المراد ما جاء على السنة الأنبياء والرسل جميعاً ، وما نطقوا به من الوحي .

الثالثة : المراد ما وعد الله عز وجل المسلمين على السنة الرسل والأنبياء الذين ذكروا في القرآن وهم :

الأول : آدم عليه السلام أبو البشر .

لقد أكرم الله عز وجل الإنسان بخلافته في الأرض ، ومن خصائص هذه الخلافة الصلة بين الله عز وجل والناس بالوحي والنبوة .

فهبط آدم وحواء إلى الأرض بعد إقامة يسيرة في الجنة ، ليكون آدم هو النبي بعثه الله عز وجل لنفسه وحواء ولذريتهما ، ولقد كلم الله عز وجل آدم في الجنة ﴿وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾^(١) كما ورد قوله تعالى ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾^(٢) ، ومن مصاديق نبوة آدم قوله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾^(٣) .

وقد تقدم حديث أبي ذر عن النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم (أن آدم رسول نبي ، كلمه الله قبلاً).

وبالإسناد (عن الإمام الرضا عن آبائه، عن الحسين بن علي عليهم السلام قال: كان علي بن أبي طالب عليه السلام بالكوفة في الجامع إذ قام إليه رجل من أهل الشام فقال: يا أمير المؤمنين إني أسألك عن أشياء فقال: سل تفقها ولا تسأل تعنتاً، فأحدق الناس بأبصارهم فقال: أخبرني عن أول ما خلق الله تبارك وتعالى.

فقال: خلق النور.

قال: فمم خلق السماوات .

قال: من بخار الماء قال: فمم خلق الأرض .

قال: من زبد الماء قال: فمم خلقت الجبال .

قال: من الامواج قال: فلم سميت مكة ام القرى.

(١) سورة الأعراف ١٩.

(٢) سورة البقرة ٣١.

(٣) سورة آل عمران ٣٣.

إلى أن قال (وسأله كم كان عمر آدم . فقال : تسعمائة سنة وثلاثين سنة ، وسأله عن أول من قال الشعر فقال : آدم .

قال : وما كان شعره ؟ قال : لما انزل إلى الارض من السماء فرأى تربتها وسعتها وهواها وقتل قابيل هاويل .

قال آدم عليه السلام : تغيرت البلاد ومن عليها ♦ فوجه الارض مغبر قبيح تغير كل ذي لون وطعم ♦ وقل بشاشة الوجه المليح فأجابه إبليس : تنح عن البلاد وساكنيها ♦ ففي الفردوس ضاق بك الفسيح وكنت بها وزوجك في قرار ♦ وقلبك من أذى الدنيا مريح فلم تنفك من كيدى ومكري ♦ إلى أن فاتك الثمن الريح فلولاً رحمة الجبار أضحى ♦ بكفك من جنان الخلدريح وسأله كم حج آدم (عليه السلام) من حجة ؟ فقال له : سبعين حجة ماشياً على قدميه^(١) .

وهل يشمل قوله تعالى ﴿رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ .﴾^(٢) آدم عليه السلام ، وأنه جاء بالوعد من عند الله عز وجل بالنعيم المقيم في الآخرة لمن آمن وعمل الصالحات ، الجواب نعم ، بدليل قوله تعالى ﴿فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ * قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنْ بَيْنِ يَدَيْ هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾^(٣) .

وقد وردت كلمة ﴿اهْبِطُوا﴾ أربع مرات في القرآن ثلاثة في آدم وحواء وإبليس ، وواحدة في بني إسرائيل ، ورحيلهم إلى مصر .

(١) البحار ٧٦/١٠ .

(٢) سورة آل عمران ١٩٤ .

(٣) سورة البقرة ٣٧-٣٨ .

الثاني : الرسول إدريس عليه السلام ، وقيل هو أول من نال مرتبة النبوة بعد آدم وشيث ، وهو سبط شيث ، وبعثه الله في المدة بين آدم ونوح ، وكان الناس فيها يعبدون الله وحده لم تدب عبادة الأوثان لهم ، وهو جد نوح عليه السلام لأبيه .

وورد ذكره بالاسم مرتين في القرآن ، قال تعالى ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صَدِيقًا نَبِيًّا﴾^(١).

واثنى الله عز وجل عليه لصبره وعبادته الله في قوله تعالى ﴿وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾^(٢).

ليبان تحمل إدريس الأذى في جنب الله عز وجل ، وتدل الآية أعلاه على جواز تقديم النبي المتأخر في زمانه على المتقدم في زمانه لتقدم ذكر إسماعيل في الآية مع أن زمانه متأخر بقرون كثيرة عن زمان إدريس ، وكان إسماعيل نبياً رسولاً .

الثالث : الرسول نوح عليه السلام ، وهو أول الرسل الخمسة أولي العزم ، ووردت سورة في القرآن باسمه ، لبيان جهاده في دعوته لقومه ، والحاجة بالدعوة إلى الله ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر .
لقد رزق الله عز وجل نوحاً العمر المديد ليسخره في طاعة الله من غير ملل أو كلل ، قال تعالى ﴿وَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾^(٣).

وورد لفظ (فلبث) مرتين في القرآن ، والأخرى في بقاء يوسف عليه السلام في السجن بقوله تعالى ﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ

(١) سورة مريم ٥٦.

(٢) سورة الأنبياء ٨٥.

(٣) سورة العنكبوت ١٤.

رَبِّكَ فَأَنَسَاءُ الشَّيْطَانِ ذِكْرُ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴿١﴾ لبيان قانون اللبث في طاعة الله جهاد وصبر ، وفيه الأجر والثواب .

الرابع : الرسول هود عليه السلام ، والذي أرسله الله عز وجل إلى قومه عاد في الأحقاف في بلاد حضرموت ، وهود من الأنبياء العرب ، ويدل قوله تعالى ﴿كَذَبَتْ عَادُ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ قَالَ لَهُمُ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ (٢) .
لقد تفضل الله ببعث عدد من الأنبياء والمرسلين إلى عاد ، وتبين الآية أعلاه منهاجاً في القرآن وهو قانون ذكر الله لاسم رسول من عدة رسل متعاقبين بعثوا لقوم مخصوصين .

وقيل أن عاداً هم أول قوم عبدوا الأوثان بعد الإستقامة وسنن التوحيد التي ثبتها نوح عليه السلام في الأرض .

الخامس : الرسول صالح عليه السلام ، والذي أرسله الله عز وجل إلى قومه ثمود ، وهم من العرب من نسل سام بن نوح .

وكانوا في ضلال وعبادة للأوثان ، وأخبرهم صالح بأنه رسول من عند الله الذي تجب عبادته وحده ، فسألوه معجزة خارقة تدل على صدق رسالته ، فاشاروا إلى صخرة ، وطلبوا منه أن يخرج منها ناقة ، فصلى صالح لله عز وجل وسأله أن يخرج ناقة من تلك الصخرة على نحو التعيين ، فخرجت الناقة من الصخرة بآية عظيمة يعجز العلم إلى هذا الزمان عن الإتيان بمثله وان كانت دعوة للعلماء في الأزمنة اللاحقة لإخراج الخلايا الحية والهيئة الحية من الجماد ، قال تعالى ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُخَيِّبُ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْنِهَا وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ﴾ (٣) .

(١) سورة يوسف ٤٢ .

(٢) سورة الشعراء ١٢٣-١٢٤ .

(٣) سورة الروم ١٩ .

وعندما رأت ثمود المعجزة آمنت طائفة منهم برسالة صالح ، وبقت طائفة على الكفر ، وامتنعت عن ترك ما كان يعبد آباؤهم من الأوثان. ومن الآيات قانون المعجزة توليدية ، فقد قسمت ثمود ماء البئر إلى قسمين إذ تشرب الناقة ماء البئر كله في يوم ، وتشرب إبل وأنعام ثمود الماء في اليوم التالي وهكذا.

وفي اليوم الذي تشرب فيه الناقة ماء البئر تعطي لبناً للقرية كلها ، تكفيهم حاجتهم لبيان أمور :

الأول : قانون تعدد الإعجاز لآيات في المعجزة الواحدة .

الثاني : قانون من المعجزات الحسية تتجدد كل يوم .

الثالث : قانون ترشح إيمان طائفة من الناس مع كل معجزة ، إذ آمن جماعة من ثمود برسالة صالح عليه السلام ، قال تعالى ﴿ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَمِن خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ﴾ (١).

وفيه دعوة متكررة ومتعددة للناس للإيمان ، وهو من قانون تعدد معجزة الرسول رحمة بالناس ، وقانون المعجزة زاجر للناس عن إيذاء وقتل الرسول.

واجتمع تسعة نفر من ثمود على قتل الناقة ، وبعد أن قتلوها وتقاسموا لحمها وطبخوه وأكلوه توجه الملائكة إلى صالح واعتذروا إليه ، وقالوا إنما قتلها فلان وفلان ، فقال لهم عليكم بولدها فاحفظوه إن أدركتموه.

وقيل لعمر بن خارجه (حدثنا حديث ثمود . قال: أحدثكم عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن ثمود : كانت ثمود قوم صالح ، أعمرهم الله في الدنيا فأطال أعمارهم ، حتى جعل أحدهم يبني المسكن من المدر ، فينهدهم ، والرجل منهم حي.

فلما رأوا ذلك ، اتخذوا من الجبال بيوتاً فَرِهين ، ففتحوها وجأبوها وجوفوها ، وكانوا في سعة من معاشهم .

فقالوا : يا صالح ادع لنا ربك يخرج لنا آية نعلم أنك رسول الله ، فدعا صالح ربه ، فأخرج لهم الناقة ، فكان شربها يوماً ، وشربهم يوماً معلوماً . فإذا كان يوم شربها خلّوا عنها وعن الماء وحلبوها لبناً ، ملئوا كل إناء ووعاء وسقاء ، حتى إذا كان يوم شربهم صرفوها عن الماء ، فلم تشرب منه شيئاً ، فملئوا كل إناء ووعاء وسقاء .

فأوحى الله إلى صالح : إن قومك سيعقرون ناقتك ، فقال لهم ، فقالوا : ما كنا لنفعل ، فقال : إلا تعقروها أنتم ، يوشك أن يولد فيكم مولود يعقرها . قالوا : ما علامة ذلك المولود ؟

فوالله لا نجده إلا قتلناه !

قال : فإنه غلام أشقر أزرق أصهب ، أحمر .

قال : وكان في المدينة شيخان عزيزان منيعان ، لأحدهما ابن يرغب به عن المناكح ، وللآخر ابنة لا يجد لها كفواً ، فجمع بينهما مجلس ، فقال أحدهما لصاحبه : ما يمنعك أن تزوج ابنك . قال : لا أجد له كفواً .

قال : فإن ابنتي كفؤ له ، وأنا أزوجك . فزوجه ، فولد بينهما ذلك المولود . وكان في المدينة ثمانية رهط يفسدون في الأرض ولا يصلحون .

فلما قال لهم صالح : إنما يعقرها مولود فيكم ، اختاروا ثمانى نسوة قوابل من القرية ، وجعلوا معهن شرطاً كانوا يطوفون في القرية ، فإذا وجدوا المرأة تمخض ، نظروا ما ولدها إن كان غلاماً قلبته فنظرن ما هو وإن كانت جارية أعرضن عنها .

فلما وجدوا ذلك المولود صرخ النسوة وقلن : هذا الذي يريد رسول الله صالح ، فأراد الشرط أن يأخذه ، فحال جداه بينهم وبينه ، وقالوا لو أن صالحاً أراد هذا قتلناه ، فكان شر مولود ، وكان يشب في اليوم شباب غيره

في الجمعة، ويشبّ في الجمعة شباب غيره في الشهر، ويشب في الشهر شباب غيره في السنة.

فاجتمع الثمانية ﴿يُسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَكَأَيُّ ضُلُوفٍ﴾^(١)، وفيهم الشيخان، فقالوا: استعمل علينا هذا الغلام، لمنزلته وشرف جديده، فكانوا تسعة.

وكان صالح لا ينام معهم في القرية، كان في مسجد يقال له: مسجد صالح، فيه بيت بالليل، فإذا أصبح أتاهم فوعظهم وذكرهم، وإذا أمسى خرج إلى مسجده فبات فيه.

قال: فلما بلغ ذلك المولود، قالوا: لو كنا لم نقتل أولادنا، لكان لكل رجل منا مثل هذا، هذا عمل صالح، فأتمروا بينهم بقتله، وقالوا: نخرج مسافرين والناس يروننا علانية، ثم نرجع من ليلة كذا من شهر كذا وكذا، فنرصده عند مصلاه فنقتله، فلا يحسب الناس إلا أننا مسافرون، كما نحن فأقبلوا حتى دخلوا تحت صخرة يرصدونه، فأرسل الله عليهم الصخرة فرضختهم، فأصبحوا رَضَخًا. فانطلق رجال ممن قد اطلع على ذلك منهم، فإذا هم رَضَخٌ.

فرجعوا يصيحون في القرية: أي عباد الله، أما رضي صالح أن أمرهم أن يقتلوا أولادهم حتى قتلهم، فاجتمع أهل القرية على قتل الناقة أجمعون، وأحجموا عنها إلا ذلك الابن العاشر.

ثم رجع الحديث إلى حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، قال: وأرادوا أن يمكروا بصالح، فمشوا حتى أتوا على سَرَبٍ على طريق صالح، فاخبتاً فيه ثمانية، وقالوا: إذا خرج علينا قتلناه وأتيناه أهله، فيبيتناهم، فأمر الله الأرض فاستوت عنهم.

قال: فاجتمعوا ومشوا إلى الناقة وهي على حوضها قائمة، فقال الشقي لأحدهم: ائتها فاعقرها.

فأتاها ، فتعاضمه ذلك ، فأضرب عن ذلك ، فبعث آخر فأعظم ذلك .
فجعل لا يبعث رجلا إلا تعاضمه أمرها ، حتى مشوا إليها ، وتطاول فضرب
عرقوبيها ، فوقعت تركض ، وأتى رجل منهم صالحا .

فقال : أدرك الناقة فقد عمرت ، فأقبل ، وخرجوا يتلقونه ويعتذرون إليه
: يا نبي الله ، إنما عقرها فلان ، إنه لا ذنب لنا .

قال : فانظروا هل تدركون فصيلها ؟ ، فإن أدركتموه ، فعسى الله أن
يرفع عنكم العذاب ، فخرجوا يطلبونه ، ولما رأى الفصيل أمه تضطرب ،
أتى جبلا يقال له "القارة" قصيرا ، فصعد وذهبوا ليأخذوه ، فأوحى الله إلى
الجبلى ، فطال في السماء حتى ما تناله الطير .

قال : ودخل صالح القرية ، فلما رآه الفصيل بكى حتى سالت دموعه ،
ثم استقبل صالحا فرغا رغو ، ثم رغا أخرى ، ثم رغا أخرى .

فقال صالح لقومه : لكل رغو أجل يوم ﴿ تَسْتَغْفِرِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ
وَعْدُ غَيْرُ مَكْذُوبٍ ﴾^(١) ، ألا إن آية العذاب أن اليوم الأول تصبح وجوهكم
مصفرة ، واليوم الثاني محمرة ، واليوم الثالث مسودة .

فلما أصبحوا فإذا وجوههم كأنها طليت بالخلوق ، صغيرهم وكبيرهم ،
ذكرهم وأنثاهم . فلما أمسوا أصبحوا بأجمعهم : ألا قد مضى يوم من الأجل
، وحضركم العذاب ، فلما أصبحوا اليوم الثاني إذا وجوههم محمرة ، كأنها
خضبت بالدماء ، فصاحوا وضجوا وبكوا وعرفوا آية العذاب .

فلما أمسوا أصبحوا بأجمعهم : "ألا قد مضى يومان من الأجل
وحضركم العذاب .

فلما أصبحوا اليوم الثالث ، فإذا وجوههم مسودة كأنها طليت بالقار ،
فصاحوا جميعا : ألا قد حضركم العذاب ، فتكفئوا وتحنطوا ، وكان
حنوطهم الصبر والمقر ، وكانت أكفانهم الأنطاع ، ثم ألقوا أنفسهم إلى
الأرض ، فجعلوا يقلبون أبصارهم ، فينظرون إلى السماء مرة وإلى الأرض

مرة، فلا يدرون من حيث يأتيهم العذاب من فوقهم من السماء أو من تحت أرجلهم من الأرض ، جَشَعًا وَفَرَقًا..

فلما أصبحوا اليوم الرابع أتتهم صيحة من السماء فيها صوت كل صاعقة ، وصوت كل شيء له صوت في الأرض ، فتقطعت قلوبهم في صدورهم ﴿فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَائِمِينَ﴾^(١)^(٢).

وورد لفظ ﴿جَائِمِينَ﴾ خمس مرات في القرآن ، ثلاثة في ثمود قوم صالح ، واثنين في مدين قوم شعيب ، قال تعالى ﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجِيتَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَائِمِينَ﴾^(٣).

والصيحة أي صيحة جبرئيل بين السماء والأرض لا يسمعها إلا القوم الكافرون الذين نزل بهم العذاب ، وجائمين أي ميتين .

السادس : الرسول إبراهيم عليه السلام ، وهو من الرسل الخمسة أولي العزم ، وقد اثنى الله عز وجل عليه في القرآن ، وجعل الأنبياء من بعده من ذريته من ولديه إسماعيل وإسحاق ، ليكون هذا الحصر مقدمة لختم الأنبياء بالنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، الذي نزل القرآن على صدره من بين أجيال الناس المتعاقبة من آدم وإلى يوم القيامة ، وهو من ذرية إسماعيل.

(١) سورة الأعراف ٧٨.

(٢) تفسير الطبري ٣٧٤/١٥.

(٣) سورة هود ٩٤.

ولقد جاهد إبراهيم من أجل كلمة التوحيد (لا إله إلا الله) وجعلها إراثاً باقياً في ذريته ليكونوا أئمة للناس ، قال تعالى ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يُرجَعُونَ﴾^(١).

وقد أكرمه الله بالإمامة العامة بقوله تعالى ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾^(٢) ، لبيان نعمة بقاء هذه الإمامة للناس في ذريته ، لأن الله عز وجل إذا أنعم بنعمة على أهل الأرض فهو أكرم من أن يرفعها.

لقد جاء إبراهيم عليه السلام بالإسلام والاستقامة ، وهو منهاج كل نبي وبنى إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام البيت الحرام على القواعد التي وضعها آدم عليه السلام ، قال تعالى ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾^(٣).

وبين إبراهيم عليه السلام للناس مناسك الحج ، وحدود الحرم ، وصار مقامه محلاً للصلاة ، ومنها صلاة الطواف.

وقال تعالى ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾^(٤) ، ليكون من وجوه تفضيل النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم على الأنبياء السابقين قدوم ملايين المسلمين من أصقاع الأرض لحج بيت الله الحرام في كل سنة ، وملايين أخرى تأتي للعمرة وزيارة قبر النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، وفيه تجديد للبيعة والولاء ، والإقرار برسالته السابع : النبي لوط عليه السلام ، والذي ورد ذكره في القرآن سبعاً وعشرين مرة ، وهو عدد كثير ، ووردت أغلب الآيات التي ذكرته في ذم

(١) سورة الزخرف ٢٨.

(٢) سورة البقرة ١٢٤.

(٣) سورة البقرة ١٢٧.

(٤) سورة الحج ٢٧.

قومه الذين فعلوا القبائح باتيان الرجال دون النساء ، إذ ورد ﴿قَوْمُ لُوطٍ﴾^(١)
﴿إِخْوَانُ لُوطٍ﴾^(٢) ﴿وَأَمْرَأَتُ لُوطٍ﴾^(٣).

ونزل القرآن بالثناء على لوط وآل لوط بقوله تعالى ﴿إِلَّا آلَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ﴾^(٤) ، واستثنى الله عز وجل أمراًته .

وأخبرت آيات القرآن بأن لوطاً رسول من عند الله ، قال تعالى ﴿وَإِنَّ لُوطًا لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾^(٥).

وذكرت قصة لوط وقومه في سور متعددة منها : سورة الأعراف ، هود ، الحجر ، الأنبياء ، الشعراء ، النمل ، العنكبوت ، الصافات ، القمر .
وتضمنت التفصيل والإيجاز غير المخل ، وتدلل على إعجاز القرآن بمقاصده وغاياته السامية ، ولا يعلم كثرة الذين انتفعوا من قصة لوط في القرآن في التنزه عن اللواط واتيان الفاحشة إلا الله عز وجل ، وهذا الإنتفاع والكثرة في كل زمان وهي باب للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهو الآخر من إعجاز القرآن ، لبيان عدم إحصاء إعجاز القرآن ببلاغته .
ولوط هو ابن أخ الرسول إبراهيم عليه السلام ، وهاجر معه إلى الشام .
وبعث الله عز وجل لوطاً إلى أهل (سدوم) وما حولها من القرى في أرض فلسطين عند ضفة البحر الميت الجنوبية ، وقيل أن البحر الميت تكون بسبب العذاب الذي نزل بقوم لوط ، ولم يثبت هذا القول .
ويدل التمايز بين قوم لوط وآل لوط على قانون وجود أتباع لكل نبي في زمانه .

(١) سورة هود ٧٠ .

(٢) سورة ق ١٣ .

(٣) سورة التحريم ١٠ .

(٤) سورة الحجر ٥٩ .

(٥) سورة الصافات ١٣٣ .

ومن إعجاز القرآن صيرورة قصة لوط في القرآن مادة لتشريع الأحكام والقوانين بخصوص ارتكاب معصية إتيان الذكران ، وهو قبيح من الطرفين بذاته وأثره .

وتدل آيات القرآن على انشغال المسلمين بالدعاء وإظهار الخشية من الله ، ورجاء النجاة من الخزي يوم القيامة ، والذي يدل في مفهومها على تنزه المسلمين من فعل قوم لوط .

كما بين القرآن أن فعل قوم لوط محدود ومستحدث في زمانهم كما في قوله تعالى ﴿أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾^(١) . ولقد أظهر قوم لوط الإستهزاء والسخرية ثم التهديد والوعيد للوط وأصحابه الذين ينهون عن الفاحشة ، كما ورد في التنزيل ﴿أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَظْهَرُونَ﴾^(٢) .

وبذل لوط الوسع واجتهد في نصيح وإنذار قومه ، ولكنهم أصروا على إرتكاب الفاحشة ، ومخالفة الفطرة وأحكام الشرائع السماوية من أيام آدم عليه السلام لذا جاءت آية بصيغة الجمع في المرسلين في قوله تعالى ﴿كَذَبَتْ قَوْمٌ لُوطِ الْمُرْسَلِينَ﴾^(٣) .

فبعث الله عدداً من الملائكة لإنقاذه وأهله ، ونزول العذاب بقومه ، قال تعالى ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَلَىٰهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنُصُودٍ﴾^(٤) . لتكون قصتهم وسوء عاقبتهم عبرة وموعظة للأجيال ، ودعوة سماوية للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والتنزه عن فعل الفاحشة ، مع تشريع القوانين التي تزجر عن هذا الفعل.

(١) سورة الأعراف ٨٠.

(٢) سورة الأعراف ٨٢.

(٣) سورة الشعراء ١٦٠.

(٤) سورة هود ٨٢.

الثامن : الرسول إسماعيل عليه السلام ، وهو نبي رسول وابن رسول ،
 وذكر في القرآن اثنتي عشرة مرة ، في سورة البقرة ، آل عمران ، النساء ،
 الأنعام ، إبراهيم ، الأنبياء ، ص ، مريم .

منها صبره وجهاده مع أبيه إبراهيم عليه السلام في بناء البيت الحرام ،
 وتطهيرهما له ، قال تعالى ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ
 مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾^(١).

وفي قوله تعالى خطاباً لإبراهيم ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا
 وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾^(٢) ، لتأتي آية أخرى تشمل
 الترغيب بالعمرة ، والطواف بالبيت الحرام وإقامة الصلاة فيه بقوله تعالى
 ﴿وَعَهْدَنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنَّ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ
 السُّجُودِ﴾^(٣).

وتدل الآية أعلاه على أن الركوع والسجود من شريعة إبراهيم عليه
 السلام ، ومن الحنيفية الإبراهيمية .

ومع تقادم الأيام ضيع الناس الصلاة وكيفيتها ، قال تعالى ﴿فَخَلَفَ
 مِنْ بَعْدِهِمْ خُلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾^(٤) .

ولم يرد لفظ ﴿أَضَاعُوا﴾ ﴿غَيًّا﴾ في القرآن إلا في الآية أعلاه ، وكأنه يدل
 على البشارة بقانون رسالة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم مانع من
 ضياع الصلاة بركوعها وسجودها إلى يوم القيامة .

(١) سورة البقرة ١٢٧.

(٢) سورة الحج ٢٧.

(٣) سورة البقرة ١٢٥.

(٤) سورة مريم ٥٩.

لقد تزوج إبراهيم عليه السلام سارة ، ولم تلد مع تقدمها في العمر ، فاهدت له جاريتها هاجر التي ولدت إسماعيل فاحبه إبراهيم حباً جماً ، ففرست الغيرة أنيابها في نفس سارة خاصة وأن هاجر صارت تتطاول بولدها ، أو لا أقل لا ترضى بالذل والتبكي كجارية .

فطلبت من إبراهيم أن يبعد عنها هاجر وابنها ، فأوحى الله عز وجل إلى إبراهيم عليه السلام ليسكنها في مكة ، وفي التنزيل ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾^(١).

ويدل التبعض في ﴿مِنْ ذُرِّيَّتِي﴾ على وجود ولد أو أولاد لإبراهيم يوم نقل إسماعيل وأمه إلى جوار البيت الحرام أو أنه ينتظر أولاداً آخرين بما أوحاه الله له .

وليكون هذا النقل والوحي مقدمة لبعثة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بجوار البيت الحرام ، وهو من ذرية إسماعيل .

وبعد البعد والغربة التي عاشتها هاجر وإسماعيل أنعم الله عليهما بتدفق الماء من بئر زمزم لتأتي إلى جوار البيت قبيلة جرهم ، ثم ينزل أمر الله عز وجل لإبراهيم بذبح ولده ثم انجاه الله عز وجل بالفداء ، قال تعالى ﴿وَقَدْ يَتَنَاهَ بَذِيحٍ عَظِيمٍ﴾^(٢).

ولم يرد لفظ ﴿فَدَيْتَاهُ﴾ ﴿بَذِيحٍ﴾ في القرآن إلا في الآية أعلاه .
واختلف العلماء في الذبيح هل هو إسماعيل أم إسحاق ، والمختار هو إسماعيل .



(١) سورة إبراهيم ٣٧.

(٢) سورة الصافات ١٠٧.

تقسيم العرب من جهة القدم والنسب

يقسم العرب إلى ثلاثة طبقات :

الأولى : العرب البائدة مثل قوم عاد وثمود ومدين ، وجديس وجُرهم ، وأطلق عليهم البائدة لقدمهم ، ولتضاؤل أعدادهم قبل الإسلام ، ونزول عذاب الله بهم لجحودهم وتكذيبهم الرسل .

وفي الكافرين من مدين قوم شعيب ، وثمود قوم صالح ، قال تعالى ﴿وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِينَ * كَانُوا لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلَا بُعْدًا لِمَدِينٍ كَمَا بَعْدَتْ ثُمُودُ﴾^(١).

الثانية : العرب العاربة ، وهم اليمانيون القحطانيون ، ابناء قحطان بن عامر بن شامخ ، ومعروفون بالحضارة .

الثالثة : العرب المستعربة ، وهم أحفاد إسماعيل بن إبراهيم عليهم السلام ، وأصلهم من العراق ، ونقل إبراهيم عليه السلام ابنه إسماعيل وأمه إلى مكة ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾^(٢).

ويرجع نسب العدنانيين إلى (عدنان بن أدد بن مقوم بن ناحور، ابن تيرح، ين يعرب، بن يشجب، بن نابت، بن إسماعيل، بن إبراهيم الخليل)^(٣).

والإجماع على أمور :

الأول : نسب النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى عدنان .

الثاني : عدنان من ذرية إسماعيل .

(١) سورة هود ٩٤-٩٥.

(٢) سورة إبراهيم ٣٧ .

(٣) تاريخ الإسلام للذهبي ٢/١.

الثالث : لا خلاف في سلسلة النسب إلى عدنان (عن أنس قال : خطب النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال : أنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار).

وما افترق الناس فرقتين إلا جعلني الله في خيرهما ، فأخرجت من بين أبوي فلم يصبني شيء من عهد الجاهلية ، وأخرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح من لدن آدم ، حتى انتهيت إلى أبي وأمي ، فأنا خيركم نفساً وخيركم أباً^(١).

وعن (عن ابن عباس قال : كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا انتهى إلى معد بن عدنان أمسك .

ثم يقول : كذب النسابون قال الله تعالى { وقروناً بين ذلك كثيراً }^(٢) .
(و) عن أبي مجلز قال : قال رجل لعلي بن أبي طالب عليه السلام : أنا أنسب الناس .

قال : إنك لا تنسب الناس .

قال : بلى . فقال له علي عليه السلام رأيت قوله تعالى { وعاداً وثموداً وأصحاب الرس وقروناً بين ذلك كثيراً }^(٣) اقل : أنا أنسب ذلك الكثير .
قال : رأيت قوله { ألم يأتكم نبا الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم لا يعلمهم إلا الله } فسكت^(٤) .

(و) قال ابن عباس : بين عدنان وإسماعيل ثلاثون أباً لا يعرفون .

(١) الدر المنثور ١٩٧/٥ .

(٢) الدر المنثور ٣٥٤/٧ .

(٣) سورة الفرقان ٣٨ .

(٤) الدر المنثور ٣٥/٦ .

وكان ابن مسعود يقرأ : لا يعلمهم إلا الله كذب النسابون^(١) أي في قوله تعالى ﴿وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ﴾^(٢).

ووقع الخلاف في عدد الآباء بين عدنان وإسماعيل فعد بعضهم أربعين رجلاً ، وعد بعضهم سبعة .

ومن حديث (أم سلمة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: "مَعَدَّ، عَدْنَانُ بْنُ أَعْدَ بْنَ زَنْدَ بْنَ يَرَى بْنِ أَعْرَاقِ الثَّرَى K قالت أم سلمة فزَند هو: الهميسع، ويرى هو: نبت، وأعراق الثرى: هو إسماعيل.

وحكي أيضاً أن أعراق الثرى: إبراهيم. لأنهم لما رأوه لم تحرقه النار قالوا: ما هو إلّا أعراق الثرى)^(٣).

وقد ذكرت آية البحث الرسل الذين بعثهم الله عز وجل ، وهم سور الموجبة الكلية في الصلة بين الناس جميعاً ، وبين المسلمين وأهل الكتاب خاصة.

لماذا اختص إبراهيم (ع) بلفظ ﴿فَرَاغَ﴾

لم يرد لفظ (فراغ) في القرآن إلا ثلاث مرات ، وكلها في إبراهيم عليه السلام وهي:

الأولى : قال تعالى ﴿فَرَاغَ إِلَىٰ آلِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ﴾^(٤) في جهاده ضد قوم نمرود الذين كانوا يعبدون الأصنام ، ولحاق الخزي بالأصنام والذين يعبدونها .

الثانية : قوله تعالى ﴿فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ﴾^(٥) أي أنه كان يضرب الأصنام خفية وبسرعة ، واستثمر غياب قوم نمرود خارج البلد ، ليدل

(١) النكت والعيون ٣٢٤/٢.

(٢) سورة إبراهيم ٩ .

(٣) المنتظم ١٨٩/١.

(٤) سورة الصافات ٩١.

اختصاص إبراهيم عليه السلام بلفظ (راغ) وعلى نحو التعدد على أنه كان يسرع في قضاء حاجته وأمور الدعوة إلى الله ، ويميل إلى الخفية والخفة في الأداء ، وكأنه يتسابق مع الوقت .

الثالثة : قوله تعالى ﴿فَرَاحَ إِلَىٰ أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ﴾^(٢) لبيان مبادرة إبراهيم في إكرام ضيوفه ، والإبتداء الفوري بأعداد الطعام ، فهو لم يسألهم : أنعد ونهيئ لكم طعاماً .

ترى لو سألهم عن تهيئة الطعام ماذا يقول له الملائكة ، المختار أنهم يقولون له لا نأكل ﴿وَبَشِّرُوهُ بِنَافِلَةٍ عَلِيمٍ﴾^(٣) وهو لا يتعارض مع عدم منعه من ذبح عجل لهم .

وكذا في امثال إبراهيم لأمر الله عز وجل ، فلما رأى في المنام أنه يذبح ولده وأن هذا المنام شعبة من الوحي فلم يتمهل ويتنظر والمختار إنه توجه بالدعاء لمحو هذا الذبح ، وبادر إلى الفعل كما ورد في التنزيل ﴿قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَىٰ﴾ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنِ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ^(٤) .

لولا أن من الله عز وجل عليه بالفداء .
ليان قانون التخفيف عن الذي يسارع في الخيرات وطاعة الله ، وتحمل المشاق في سبيل الله سبحانه .

وكان مال إبراهيم عليه السلام البقر ، فاختار عجلاً سميماً إكراماً لهم مع أن عددهم ثلاثة ، وليس فيه تبذير أو إسراف أو تلف للطعام لأكل العيال ،

(١) سورة الصافات ٩٣ .

(٢) سورة الذاريات ٢٦ .

(٣) سورة الذاريات ٢٨ .

(٤) سورة الصافات ١٠٢ .

ورجحان توزيع الباقي على أهل البلدة بعد أكل الضيوف ، وإلى الآن يبادر أهل القرى في العراق بذبح خروف للضيف وإن كان شخصاً واحداً .
لقد شوى إبراهيم العجل على الحصى ، وفي إخدود أي شق غائر في الأرض أقرب إلى التنور الواطئ .

ولما قدم لهم إبراهيم عليه السلام الطعام يسيل منه الدسم وجلس معهم ، رأى أن أيديهم لا تصل إلى الطعام ولا يأكلون منه ، فتلطف معهم ، وقال ﴿أَلَا تَأْكُلُونَ﴾ بصيغة الرجاء والإستفهام ﴿فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً﴾^(١).

إذ خاف منهم لإعراضهم عن طعامه وكأن الذي لا يريد أن يأكل من الطعام إنما حضر لينتقم وييطش بصاحب الدار .

عندئذ رأفوا به وأبلغوه أنهم ملائكة من عند الله ، وبشروه بولادة إسحاق ، قال تعالى ﴿وَبَشِّرُوهُ بَغْلَامٍ عَلِيمٍ﴾^(٢) ، وسمعت سارة البشارة من الملائكة مباشرة ، أي لم ينقلها لها إبراهيم عليه السلام .

واختلف العلماء في الغلام العليم على قولين :

الأول : إسحاق .

الثاني : إسماعيل .

والمختار أنه يوسف عليه السلام لقانون تفسير القرآن بعضه لبعض ،
وورد على لسان يوسف في التنزيل ﴿اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾^(٣).

وتدل البشارة بيوسف على ولادة إسحاق ومن ثم يعقوب ، كما ورد في التنزيل

(١) سورة الذاريات ٢٨ .

(٢) سورة الذاريات ٢٨ .

(٣) سورة يوسف ٥٥ .

التاسع : النبي إسحاق عليه السلام ، وهو إسحاق بن إبراهيم بن تارخ بن ناخور.

وفي عدد وترتيب الأنبياء قال محمد بن السائب (أول نبي بعثه الله تبارك وتعالى في الأرض إدريس واسمه أخنوخ ثم انقطعت الرسل حتى بعث الله نوح بن ملك بن متوشلخ بن أخنوخ .

وقد كان سام بن نوح نبيا ، ثم انقطعت الرسل حتى بعث الله إبراهيم نبيا واتخذ خليلا وهو إبراهيم بن تارخ ، واسم تارخ آزر ثم بعث إسماعيل بن إبراهيم فمات بمكة .

ثم إسحاق بن إبراهيم فمات بالشام ثم لوط وإبراهيم عمه ثم يعقوب وهو إسرائيل بن إسحاق ثم يوسف بن يعقوب ثم شعيب بن يوب ثم هود بن عبد الله.

ثم صالح بن أسف ثم موسى وهارون ابني^(١) عمران .
ثم أيوب ثم الخضر وهو خضرون ثم داود بن إيشا ثم سليمان بن داود ثم يونس بن متى ثم إلياس .

ثم ذا الكفل واسمه عويدنا من سبط يهوذا بن يعقوب .
قال : وبين موسى بن عمران ومريم بنت عمران أم عيسى ألف سنة وسبعمائة سنة وليس من سبط .

ثم محمد بن عبد الله بن عبد المطلب النبي صلى الله عليه وآله وسلم^(٢) .
وفي أبي إبراهيم تارخ هل هو آزر أم لا خلاف .
ولم يذكر آدم في أسماء الأنبياء في الخبر أعلاه مع أنه نبي رسول لأن الخبر يخص الأنبياء الذين بعثوا في الأرض ، وقد نال آدم النبوة قبل أن يهبط

(١) في الأصل ابن .

(٢) تفسير القرطبي ١٦/٦ .

إلى الأرض ، قال تعالى ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾^(١).

وفي الدلالة على نبوته ورد عن أبي ذر (قلت يا رسول الله أرأيت آدم نبياً كان ، قال : نعم ، كان نبياً رسولاً كلمه الله قبلاً ، قال له ﴿يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾^(٢))^(٣).

ولادة إسحاق معجزة

إسحاق أخو إسماعيل لأبيه ، وأصغر منه ، وكانت سارة زوجة إبراهيم ، وقد ولدت جارياتها هاجر التي أهداها لها ملك مصر الظالم ، بينما لم تلد سارة حتى إذا بلغ عمرها نحو تسعين سنة طرق باب إبراهيم ثلاثة من الملائكة بهيئة الشباب الحسان ضيوفاً فاذن لهم ، ورأى إشراقة وجوههم ، وليس عليهم آثار وعشاء أو تعب السفر ومستلزماته .

فاندھش من الأمر ، ومع هذا سارع إلى إكرامهم ، وصنع الطعام لهم ، وفي التنزيل ﴿فَرَأَاهُ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ﴾^(٤).

وراع أي ذهب إلى اهله بالخفاء منهم وبسرعة زيادة في الكرم ، ولم يعلم أنهم ملائكة يعلمون لماذا ذهب ولكنهم لم يمنعوه .

وهل يمكن القول أنهم لم يعلموا بقصده لأنهم نزلوا بهيئة البشر ، ويحتاجون الوحي الخاص في المسألة ، الجواب لا ، إنما لم يمنعوا الكرم والإكرام وما لم يأكله الملائكة يومئذ يأكله غيرهم ممن حول إبراهيم عليه السلام .

(١) سورة البقرة ٣١.

(٢) سورة البقرة ٣٥.

(٣) الدر المشور ٧٧/١ .

(٤) سورة الذاريات ٢٦.

قال تعالى ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ﴾^(١)، وورد لفظ (نافلة) مرتين في القرآن أحدهما في الآية أعلاه بخصوص ولادة يعقوب عليه السلام والأخرى هبة صلاة الليل للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، قال تعالى ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾^(٢).

ليبيان عظيم شأن الصلاة في النبوة الخاتمة وحياة المسلمين ، لذا وصفها النبي صلى الله عليه وآله وسلم بأنها قرة عينه .
(و) عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : حُبَّ إِلَيَّ مِنْ دُنْيَاكُمْ النِّسَاءُ وَالطِّيبُ وَجَعَلْتُ قُرَّةَ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ)^(٣).
ولما سمعت سارة قول الملائكة ضحككت واندھشت لفوات أوان الحمل بعد تقدمها في العمر وسني اليأس ، قال تعالى ﴿وَأَمْرَأَتُهُ قَانِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ * قَالَتْ يَا وَيْلَتَىٰ أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ * قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ﴾^(٤).

ثم أخبر الملائكة إبراهيم بأنهم نزلوا لهلاك القوم الظالمين من قوم لوط ، ولما اطمن إبراهيم بأن ضيوفه ملائكة وفرح بالبشارة بولادة إسحاق ، صار يجادل الملائكة في قوم لوط رجاء الصبر عليهم وإمهالهم ، قال تعالى ﴿يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ﴾^(٥).

(١) سورة الأنبياء ٧٢.

(٢) سورة الإسراء ٧٩.

(٣) الدر المنثور ٢/٢٩٣.

(٤) سورة هود ٧١-٧٣.

(٥) سورة هود ٧٦.

لقد عاش إسحاق في كنف أبيه إبراهيم عليه السلام يقتبس من سنن النبوة ، وكما كان إسماعيل قد ساعد إبراهيم رفع قواعد البيت الحرام ، وإتمام بنائه ، ودعوة الناس للحج ، فان إسحاق كان يساعد أباه إبراهيم في الدعوة إلى الله عز وجل بين الكنعانيين في بلاد الشام ، ومنها فلسطين ، إذ لم يكن قد وجد اليهود فهم بنو إسرائيل الذي اسمه أيضاً يعقوب بن إسحاق.

العاشر : يعقوب عليه السلام : وهو يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم ، وأمه رفقة ، وهو نبي بعثه الله عز وجل في أرض فلسطين ، وكما ذكر القرآن يعقوب باسمه هذا فقد ذكره باسمه الآخر وهو إسرائيل ، ومنه سمي بنو إسرائيل نسبة إليه ، ومعناه عبد الله لأن (إسر) العبد في العبرية (إيل) هو الله ، وقيل إسرائيل لقب يعقوب .

وسمي يعقوب لأنه توأم أخيه عيسو (العيس) ، ونزل متعقباً له من غير مدة بينهما ، أو لكثرة نسله ، وقيل إنما يعقوب اسم أعجمي ممنوع من الصرف ، وورد اسم يعقوب ست عشرة مرة في القرآن ، جاء مرفوعاً مرة واحدة في قوله تعالى ﴿وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾^(١).

وكان صبوراً كثير البكاء من حزنه على فراق ابنه يوسف ، ثم لحقه ابنه الآخر بنيامين ، وهو شقيق يوسف من أمهما راحيل .

ووقع خلاف بين العيس ويعقوب وهدده وتوعده العيس فغادر يعقوب إلى خاله لابان بأرض حوران في العراق ، فاقام عنده سبع سنين ، وسأله أن يزوجه ابنته راحيل ، وكانت في غاية الحسن ، وأقام لابان وليمة العرس ، ودعا أهل القرية وعندما دخل يعقوب على عروسه وجدها البنت الكبيرة لياً ، وكانت دميمة ليست جميلة فرجع يعقوب إلى خاله وقال إنني سألتك

(١) سورة آل عمران ١٣٢.

الزواج من راحيل ، فقال له ليس من عادتنا أن نزوج الصغيرة قبل الكبيرة ، ولكن اخذمني سبع سنين أخرى وسأزوجك راحيل .

ولم يكن الجمع بين الأختين محرماً في شريعتهم إنما حرم في الإسلام ، في آية التحريم قال تعالى ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُمُ مِنَ الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَائِبُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَ فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾^(١).

فتزوج يعقوب راحيل ، ثم تزوج جاريتهما زلفا وبلها ، فانجب له أولاده كلهم في حران ، إلا بنيامين ، وقد وثق القرآن عددهم وهم اثنا عشر ولداً ومنهم يوسف بقوله تعالى ﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴾^(٢).

وبعد أن أقام يعقوب في أرض حوران أربع عشرة سنة ، وقيل عشرين سنة رجع إلى فلسطين ومعه أهل بيته وأمواله وأنعام كثيرة ، فلما رآها العيص رأى أنه لا سبيل إلى البطش بيعقوب ، ولا مناص من مصالحته وترك الشحنة والخصومة

وأمر الله عز وجل يعقوب أن يبني بيت المقدس .

(١) سورة النساء ٢٣ .

(٢) سورة يوسف ٤ .

وفي إسرائ النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم قال تعالى ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾^(١).

وكان يعقوب عليه السلام مدرسة في الصبر والتحمل ، لما لاقاه من فراق ابنه يوسف عليه السلام بعد أن ألقاه إخوته في بئر قل مأوها .
لتمر السنون ويدخل يوسف عليه السلام السجن ، ثم يرتقي لأرفع منصب في مصر والذي يلي ملك مصر والنوبة^(٢) والسودان .

وتجلت معالم النبوة في قول يوسف للملك ﴿اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾^(٣) ، وأرسل في طلب أبيه وأمه وأهلهم جميعاً في فترة مجاعة وقحط عم أرض مصر والشام وغيرهما .

وفي التنزيل ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مَصْرًا إِنِ شَاءَ اللَّهُ آمِينَ﴾ * وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾^(٤).

الحادي عشر : يوسف عليه السلام : من إعجاز القرآن أنه ليس من مسلم أو مسلمة إلا ويعلم بقصة يوسف وما لاقاه من الأذى الشديد ، وقد أختصت سورة كاملة بقصة يوسف ، وعدد آياتها (١١١) آية .

(١) سورة الإسراء ١.

(٢) بلاد النوبة : أي بلاد الذهب ، وتقع جنوب مصر .

(٣) سورة يوسف ٥٥.

(٤) سورة يوسف ٩٩-١٠٠.

وقد صدر والحمد لله قبل ثلاث وثلاثين سنة كتابي الموسوم (تفسير سورة يوسف) والمسجل بدار الكتب والوثائق في بغداد برقم ٢٧٢ لسنة ١٩٩١.

(وفي الحديث أن النبي صلى الله عليه واله قال : الكريم ابن الكريم بن الكريم بن الكريم يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم).

اسم يوسف

وفي اسم يوسف قولان :

الأول : أنه اسم عربي مشتق من الأسف ، والأسف لغة مرتبة أدنى من الحزن ، والنسبة بينها عموم وخصوص مطلق ، فكل حزن هو أسف وليس العكس .

الثاني : اسم عبري ومعناه منح وعطاء الله وقيل اسمه بالعبرية (يوزر سيف) .

والمختار أنه اسم عربي لقانون لو دار الأمر في اللفظ القرآني هل هو عربي أم أعجمي فالأصل هو عربي لقوله تعالى ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾^(١) ، ولييان أن الأسماء العربية موجودة عند الأنبياء السابقين يتوارثونها من أيام آيينا آدم عليه السلام .

و(قال ابن عباس : رأى هذه الرؤيا ليلة الجمعة وكانت ليلة القدر ، فلما قصها على يعقوب أشفق عليه من حسد إخوته فقال : يا بني هذه رؤيا الليل فلا يعول عليها ، فلما خلا به ﴿ قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴾^(٢) (٣).

(١) سورة يوسف ٢.

(٢) سورة يوسف ٥.

(٣) النكت والعيون ٢٣٩/٢.

وعن ابن عباس أن يوسف رأى في المنام ليلة الجمعة ليلة القدر أحد عشر كوكبا نزلت من السماء فسجدت له ورأى الشمس والقمر نزلا من السماء فسجدا له، قال: فالشمس والقمر أبواه، والكواكب إخوته الاحد عشر^(١).

(وقيل كان بين رؤياه وبين مصير أبيه وإخوته إلى مصر أربعين سنة)^(٢).
(وقال وهب: كان يوسف رأى وهو ابن سبع سنين أن أحد عشر عصا طوالا كانت مركوزة في الارض كهيئة الدائرة، وإذا عصا صغيرة وثبت عليها حتى اقتلعتها وغلبتها، فوصف ذلك لآبيه فقال له: إياك أن تذكر ذلك لآخوتك. ثم رأى وهو ابن اثنتي عشرة سنة أن أحد عشر كوكبا والشمس والقمر سجدن له ، فقصها على أبيه فقال له : لا تقصص... الآية)^(٣).
ووهب بن منبه من التابعين ، ولم يرفع الحديث وكان يكثر من الإسرائيليات .

لقد كان يعقوب النبي يحب يوسف حباً جماً ، ويظهر حنانه وعطفه عليه وعلى أخيه بنيامين مما تسبب في حسد إخوته له ، ثم بلغتهم رؤياه فصاروا يخططون للمكر به ، عسى أن يصرف أبوهم وجهه إليهم ، وقد صارت هذه الرؤيا سبباً لإزدياد محبة يعقوب له ، ولتأويله لها بنيل يوسف النبوة من بعده.

لقد كان إخوة يوسف يرون أنهم أحق بالمودة من أبيهم لأنهم يتولون أعماله ، ويعتنون بأمواله وأنعامه ، وهم عصبه ، فهم عشرة وعدد منهم أكبر من يوسف ، وكان يوسف وأخوه بنيامين صغيرين لا يسعيان في طلب

(١) البحار ٢١٨/١٢ .

(٢) البحار ٢١٩/١٢ .

(٣) البحار ٢١٩/١٢ .

الرزق ولا يقدران على الكسب ، وورد حكاية في التنزيل ﴿إِذْ قَالُوا لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِمَّا نَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾^(١).

تنزيه يوسف (٤)

ومن إعجاز القرآن تنزيه ساحة الأنبياء ، وبيان عصمتهم والدفاع هذه الخطوط خاصة باليوميات عنهم فالتبادر أن دخول السجن عقوبة عن معصية ومخالفة للأصول والقواعد العامة ، فنزل القرآن ببيان حقيقة وهي أنه قد يدخل السجن ظلماً البرئ وسجين الرأي والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

وأن يوسف أظهر آيات العصمة والتقوى طاعة لله عز وجل ، ودعوة إليه فقال تعالى ﴿ثُمَّ بَدَأْ لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ لَيْسَجُنَّهُ حَتَّى﴾^(٢) ، وفي سورة يوسف دعوة للحكام والملوك للنظر المتجدد في أحوال السجناء ، وسماع شكواهم بعين الرأفة والتخفيف .

ومن الآيات التي رأوها :

الأولى : الأمانة والنزاهة .

الثانية : عصمة يوسف من الزنا ، وشق المرأة لقميصه من الخلف ، وفي التنزيل قال ﴿إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدِّمَ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾^(٣).

الثالثة : قطع النساء أيديهن لجمال حسن وهيبة يوسف .

الرابعة : مراودة النسوة يوسف عليه السلام وإمتناعه عن المعصية .

(١) سورة يوسف ٨.

(٢) سورة يوسف ٣٥.

(٣) سورة يوسف ٢٦.

الخامسة : ميل الناس لدين يوسف وهو التوحيد لقانون الخصال الحسنة تجذب الناس ، أي أن القوم رأوا الآيات في أهلهم وعامة الناس بالميل إلى دين التوحيد ونبذ مفاهيم الشرك .

السادسة : قيام يوسف بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

ومن الإعجاز في المقام بيان عظيم مرتبة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، إذ أرادت قريش سجنه ، فتعذر عليها هذا الأمر ، قال تعالى ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرٌ الْمَاكِرِينَ﴾^(١).

وعن ابن عباس في الآية أعلاه (تشاورت قريش ليلة بمكة فقال بعضهم : إذا أصبح فأثبتوه بالوثاق - يريدون النبي صلى الله عليه وآله وسلم - وقال بعضهم : بل اقتلوه ، وقال بعضهم : بل أخرجوه.

فأطلع الله نبيه صلى الله عليه وآله وسلم على ذلك ، فبات علي عليه السلام على فراش النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وخرج النبي صلى الله عليه وآله وسلم حتى لحق بالغار .

وبات المشركون يحرسون علياً عليه السلام يحسبونه النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، فلما أصبحوا ثاروا إليه ، فلما رأوه علياً عليه السلام رد الله مكرهم فقالوا : أين صاحبك هذا؟

قال : لا أدري . . . ! فاقصوا أثره ، فلما بلغوا الجبل اختلط عليهم فصعدوا في الجبل ، فرأوا على بابه نسج العنكبوت فقالوا : لو دخل هنا لم يكن نسج العنكبوت على بابه ، فمكث فيه ثلاث ليال)^(٢).

وأختاروا قتله في فراشه ، فهاجروا إلى المدينة في ذات الليلة التي اجتمع عشرة من فتيان قريش بباب داره في مكة ، للهجوم عليه وقت السحر وبات

(١) سورة الأنفال ٣٠.

(٢) الدر المنثور ٤/٤٤١.

الإمام علي عليه السلام في فراشه ، ليغادر النبي صلى الله عليه وآله وسلم صاحبه مكة ويختفيا في غار ثور ، قال تعالى ﴿إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذَا أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّا اللَّهُ مَعَنَا فَاَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾^(١).

ومن الآيات أن الذين اختارتهم قريش لقتل النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم قالوا لم نهجم عليه بغتة ، إنما نوقظه كي يرى حرارة السيوف ، وسيل دمه ، فنهظ الإمام علي عليه السلام في وجوههم لينجو من القتل كما وعده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

وكان النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم قد رأى في المنام كأنه يهاجر من مكة إلى أرض ذات نخل وشجر .

(عن ابن عباس : ﴿ لما اشتد البلاء بأصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رأى في المنام أنه يهاجر إلى أرض ذات نخل وشجر وماء فقصها على أصحابه فاستبشروا بذلك ورأوا فيها فرجا مما هم فيه من أذى المشركين ثم إنهم مكثوا برهة لا يرون ذلك فقالوا : يا رسول الله متى نهاجر إلى الأرض التي رأيت ؟

فسكت النبي صلى الله عليه وآله وسلم فأنزل الله تعالى : { وما أدري ما يفعل بي ولا بكم }^(٢) أي لا أدري أخرج إلى الموضع الذي رأيته في منامي أم لا ثم قال : إنما هو شيء رأيته في منامي ما أتبع إلا ما يوحى إلي ﴿﴾^(٣).

ليبين أن الرؤيا للبشارة أو الإنذار، إنما المدار على الوحي والتنزيل .

(١) سورة التوبة ٤٠ .

(٢) سورة الأحقاف ٩ .

(٣) تفسير القرطبي ١٦/١٥٩ .

يوسف بين القرآن والتوراة

سورة يوسف هي السورة الوحيدة في القرآن التي اختصت بقصة نبي من الأنبياء ، ومجموع آياتها (١١١) آية وعدد كلماتها (١٧٩٥) كلمة ، وورد اسم (يوسف) سبعا وعشرين مرة في القرآن.

ومن خصائص آيات القرآن الإعجاز البلاغي ، واستنباط المسائل والأحكام من الآية القرآنية والصلة بين أولها وأوسطها وآخرها ، والصلة بينها وبين آيات القرآن الأخرى .

وقال تعالى ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ﴾^(١) ، ووردت الآية أعلاه في سورة يوسف لبيان أن ذكرها في القرآن من أحسن القصص في تأريخ التنزيل والإنسانية .

وذكرت قصة يوسف في التوراة على نحو التفصيل الخالي من البلاغة ودلالاتها منها ()

٤١:١ وحدث من بعد سنتين^(٢) من الزمان ان فرعون رأى حلما واذا هو واقف عند النهر .

٤١:٢ وهوذا سبع بقرات طالعة من النهر حسنة المنظر وسمينة اللحم فارفعت في روضة .

٤١:٣ ثم هوذا سبع بقرات اخرى طالعة وراءها من النهر قبيحة المنظر ورقية اللحم فوقفت بجانب البقرات الاولى على شاطئ النهر.

٤١:٤ فاكلت البقرات القبيحة المنظر والريقة اللحم البقرات السبع الحسنة المنظر والسمينة واستيقظ فرعون .

٤١:٥ ثم نام فحلم ثانية وهوذا سبع سنابل طالعة في ساق واحد سمينة وحسنة .

(١) سورة يوسف ٣.

(٢) أي بعد سنتين من تأويل يوسف عليه السلام لرؤيا الغلامين في السجن.

٤١:٦ ثم هوذا سبع سنابل رقيقة و ملفوحة بالريح الشرقية نابتة وراءها.
 ٤١:٧ فابتلعت السنابل الرقيقة السنابل السبع السمينة الممتلئة واستيقظ
 فرعون واذا هو حلم .

٤١:٨ وكان في الصباح ان نفسه انزعجت فارسل ودعا جميع سحرة
 مصر وجميع حكمائها وقص عليهم فرعون حلمه فلم يكن من يعبره
 لفرعون.

٤١:٩ ثم كلم رئيس السقاة فرعون قائلاً انا اذكرك اليوم خطاياي.
 ٤١:١٠ فرعون سخط على عبديه فجعلني في حبس بيت رئيس الشرط انا
 ورئيس الخبازين .

٤١:١١ فحلما حلما في ليلة واحدة انا وهو حلما كل واحد بحسب تعبیر
 حلمه .

٤١:١٢ وكان هناك معنا غلام عبراني عبد لرئيس الشرط فقصصنا عليه
 فعبّر لنا حلمينا عبر لكل واحد بحسب حلمه.

٤١:١٣ وكما عبر لنا هكذا حدث ردني انا الى مقامي واما هو فعلقه.
 ٤١:١٤ فارسل فرعون ودعا يوسف فاسرعوا به من السجن فخلق وابدل
 ثيابه ودخل على فرعون .

٤١:١٥ فقال فرعون ليوسف حلمت حلما وليس من يعبره وانا سمعت
 عنك قولاً انك تسمع احلاماً لتعبرها .

٤١:١٦ فاجاب يوسف فرعون قائلاً ليس لي الله يجيب بسلامة فرعون.
 ٤١:١٧ فقال فرعون ليوسف اني كنت في حلمي واقفا على شاطئ النهر.
 ٤١:١٨ وهوذا سبع بقرات طالعة من النهر سمينة اللحم وحسنة الصورة
 فارفعت في روضة.

٤١:١٩ ثم هوذا سبع بقرات اخرى طالعة وراءها مهزولة وقبيحة الصورة
 جدا ورقيقة اللحم لم انظر في كل ارض مصر مثلها في القباحة .

٤١:٢٠ فاكلت البقرات الرقيقة والقبيحة البقرات السبع الاولى السمينة.
 ٤١:٢١ فدخلت اجوافها ولم يعلم انها دخلت في اجوافها فكان منظرها

قبيحا كما في الاول واستيقظت.

٤١:٢٢ ثم رايت في حلمي وهوذا سبع سنابل طالعة في ساق واحد ممتلئة وحسنة .

٤١:٢٣ ثم هوذا سبع سنابل يابسة رقيقة ملفوحة بالريح الشرقية نابتة وراءها .

٤١:٢٤ فابتلعت السنابل الرقيقة السنابل السبع الحسنة فقلت للسحرة ولم يكن من يخبرني .

٤١:٢٥ فقال يوسف لفرعون حلم فرعون واحد قد اخبر الله فرعون بما هو صانع .

٤١:٢٦ البقرات السبع الحسنة هي سبع سنين والسنابل السبع الحسنة هي سبع سنين هو حلم واحد .

٤١:٢٧ والبقرات السبع الرقيقة القبيحة التي طلعت وراءها هي سبع سنين والسنابل السبع الفارغة الملفوحة بالريح الشرقية تكون سبع سنين جوعاً^(١).

عداوة الشيطان للإنسان

ترى ما المقصود من لفظ الإنسان في قوله تعالى ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾^(٢)، الجواب فيه وجوه :

الأول : إرادة عداوة إبليس لأدم حيث وسوس له بالأكل من الشجرة وقال له ﴿إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ﴾^(٣).

الثاني : المراد جنس الإنسان في كل زمان ، لأن الألف واللام في الإنسان للجنس والعموم الإستغراقي .

(١) سفر التكوين ١/١٠٢ .

(٢) سورة يوسف ٥ .

(٣) سورة القصص ٢٠ .

الثالث : عداوة الشيطان ليوسف عليه السلام .

لوجه الثاني للألف واللام وهو العهد ، فقد قسمت اللام في علم النحو والبلاغة إلى قسمين :

الأول : الجنس .

الثاني : العهد .

والمختار أن اللام قد تأتي في القرآن جامعة للوجهين أعلاه ، وهو من الموارد التي تتخلف فيه قواعد العلوم عن إعجاز القرآن .

الرابع : عداوة الشيطان للملك وأهل مصر في محاولة لمنع يوسف من تولي الوزارة في مصر ، وإنقاذ أهلها من الموت جوعاً .

الخامس : عداوة الشيطان ليعقوب عليه السلام لإيذائه في الكيد فيما بين أبنائه .

السادس : عداوة الشيطان لإخوة يوسف بابتلائهم بإيذاء يوسف والإضرار به .

السابع : عداوة الشيطان للأنبياء ، قال تعالى ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾^(١).

الثامن : عداوة الشيطان لكل إنسان .

ولا تعارض بين هذه الوجوه .

ومن أسماء الشيطان ابليس ، الوسواس ، والخناس ، الرجيم ، الملعون ، المطرود من رحمة الله ، الضال المضل ، قال تعالى ﴿وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾^(٢).

ترى أين تظهر عداوة الشيطان للإنسان في آية البحث ، فيه وجوه :

(١) سورة الأنعام ١١٢.

(٢) سورة النساء ٦٠.

الأول : مكر الشيطان بصرف الإنسان عن الدعاء ، واشغاله بأمور وحاجات يومية والرغائب الدنيوية .

الثاني : محاولة بعث اليأس في قلب الإنسان من الإستجابة ، وقد يكون هذا البعث والكيد على ألسنة أعوان للشيطان من الناس ، قال تعالى ﴿شَیَاطِینَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾^(١).

الثالث : الكيد للإنسان بترغيبه باللعب واللهو ، ونسيان يوم القيامة وأهواله .

الرابع : حجب الإنسان عن مقامات الأمر بالمعروف ومجالس الذكر ، والنهي عن المنكر.

ومن مصاديق قوله تعالى ﴿إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾^(٢)، قهر المسلم للشيطان بالصلاة خمس مرات في اليوم ، وبتلاوة آيات القرآن.

قانون الاجتناء

الاجتناء هو الاختيار والاصطفاء ومن معانيه في الإصطلاح القرآني أيضاً الإصلاح والصلاح.

فمثلاً بعد تحذير وإنذار يعقوب ليوسف عليهما السلام من إخبار إخوته بالرؤيا ذكر له أن الله عز وجل ينعم عليه باختياره واجتنائه ، ترى لماذا ذكر اسم الإشارة للبعيد (كذلك) الجواب لبيان اجتناء واختيار يعقوب وإسحاق وإبراهيم للنبوة والحكمة .

وهذا الاجتناء والاصطفاء دليل وراثه النبوة ، ففي آدم عليه السلام قال تعالى ﴿ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى﴾^(٣)، وقال تعالى ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ

(١) سورة الأنعام ١١٢.

(٢) سورة النساء ٧٦.

(٣) سورة طه ١٢٢.

عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ
وَإِسْرَآئِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا
وَبُكْيًا ﴿١﴾.

وقد اجتبى واختار الله عز وجل النبي محمداً للرسالة الخاتمة التي تبقى
شريعتها وأحكامها في الأرض إلى يوم القيامة ، ومن الشواهد على وراثة
المسلمين للأنبياء وتعاهدهم لمناهجهم اجتباء المسلمين بفضل من عند الله ،
إذ قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ
تُفْلِحُونَ﴾ * وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ
مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي ﴿٢﴾.

فكما ورد الاجتباء منزلة للأنبياء فانه جاء برفعة الشأن والعز للمسلمين ،
وفيه بشارة تعاهد المسلمين لطاعتهم لله ورسوله وحفظ القرآن وأداء
الفرائض العبادية إلى يوم ينفخ في الصور .

وإذا أنعم الله عز وجل على الناس بنعمة فانه أكرم من أن يرفعها .
وقد أنعم على الأنبياء بالاجتباء والاصطفاء ، فبقيت هذه النعمة تتوارثها
أجيال المسلمين بدليل قوله تعالى في خطاب وبشارة للمسلمين ﴿وَجَاهِدُوا
فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ
إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ
وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ
وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾ ﴿٣﴾.

(١) سورة مريم ٥٨.

(٢) سورة الحج ٧٧-٧٨.

(٣) سورة الحج ٧٧.

لينتفع من هذا الإجتباء المسلمون والناس جميعاً لإستدامة ذكر الله وأداء الصلاة والصيام والفرائض الأخرى وفيه دوام السموات والأرض ، وتوالي الرزق للناس جميعاً وهو من مصاديق الجمع بين قوله تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾^(١) ، و﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ﴾^(٢).

ومن الآيات مجئ الآية أعلاه بسورة الحج الذي هو أحد أركان الإسلام لبيان بشارة استدامة أداء المسلمين حج بيت الله الحرام .
ليبان مصاحبة قانون الاجتباء الحياة الدنيا فقد اجتبى الله الأنبياء ، وعندما انقطع الوحي وغادرت النبوة الأرض بانتقال النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم إلى الرفيق الأعلى انبسط هذا القانون على أمته لتتوارثه بالتقوى والصدور عن القرآن .

وهو من مصاديق اجتباء واختيار المسلمين بقوله تعالى ﴿هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾^(٣) ، لما في هذا الاجتباء من الرحمة والتراحم بين المسلمين وجميع الناس ، ونشر مفاهيم السلام بين الناس .

دعوة الملك للسجين يوسف (ع)

لقد بادر الملك إلى توجيه الدعوى ليوسف عليه السلام وأمر بإحضاره وبدأ معها بناء شأن وجاه ليوسف عليه السلام في البلاد وعند الملك، وبذلك إخبار عن قيمة العلم ومنه التعبير ومنافعه الاجتماعية والدينية والتربوية

(١) سورة الأنبياء ١٠٧.

(٢) سورة سبأ ٢٨.

(٣) سورة الحج ٧٨.

والاقتصادية والسياسية أيضاً .

لقد منع يوسف سلطان الملك من الزوال والتصدع، ورعيته من التفرق والفاقة ان فقهوا ما في الرؤيا من انذارات واخذوا بتأويله لها واحسنوا تنفيذ وتطبيق تفاصيل خططه واتبعوا حكمته. وأنى لهم ذلك إذا استمروا بالاستغناء عن يوسف وما أتاه الله من علم.

لقد رد يوسف عليه السلام رسول الملك ومبعوثه حتى يحترموا طلبه بإعلان ثبوت براءته ونزاهة عرضه إلى جانب أمانته.

وعن النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم: (لقد عجبت من يوسف وكرمه وصبره والله يغفر له حين سئل عن البقرات العجاف والسمان. ولو كنت مكانه ما أخبرتهم حتى اشترط ان يخرجوني من السجن.

ولقد عجبت منه حين أتاه الرسول فقال ارجع إلى ربك^(١)... ولو كنت مكانه ولبثت في السجن ما لبثت لأسرع الإجابة وبادرتهم الباب ولما ابتغيت العذر. ان كان لحليماً ذا أناة^(٢)).

وقد ورد مضمون هذا الحديث بطرق متعددة عن أهل البيت عليهم السلام، وكذا ورد في الدر المنثور بعدة طرق عن ابن عباس، وقيل: (وهذا النبوي لا يخلو من شيء فان فيه احد المحذورين، اما الطعن في حسن تدبير يوسف عليه السلام وتوصله الى الخروج من السجن وقد أحسن التدبير... وأما الطعن ... ﴿٣﴾).

أقول: ليس في النبوي موضوع للطعن بالنبوة مطلقاً ولكنه يحتاج الى تأويل باستحضار الكبرى الكلية وهي ان ما عند الانبياء هو عند النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم، بل هو أكثرهم صبراً، ولكنه صلى الله عليه وآله وسلم أراد

(١) سورة يوسف ٥٠.

(٢) البحار ١٢/٢٣٥.

(٣) تفسير الميزان ١١/٢٠٨.

البيان للأمة ومخاطبة الناس على قدر عقولهم لاظهار جهاد الانبياء وحلمهم وصبرهم وسعيهم الحثيث لاظهار الحق وعدم بخلهم بما ينفع الناس ولو كانوا بأشد الاحوال، فتراه اثناء تلقيه الاذى والظلم منهم يتقدم له باعظم نصيحة تأريخية.

لقد أراد النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم تأديب المسلمين بالتخفيف عن أنفسهم ، وعدم إختيار الطريق الصعب ، والصبر المقرون بالأذى مع مجئ الفرج والرحمة .

الإستجابة لطلب يوسف (ع)

لقد أجيب يوسف إلى مسأله في قوله تعالى ﴿...مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ﴾^(١) إكراماً لعلمه وبحشاً عن برهان لاعتماد تأويله في أمر بالغ الأهمية في شؤون المملكة وتصريف أعمالها ليتفق الجميع على صدقه وتأتي الأيام لتعزز وتوثق ذلك.

وقالوا ان الملك لما التقى بيوسف قال له: أيها الصديق اني احب ان اسمع رؤياي تلك منك فجاء يوسف بالرؤيا على الهيئة التي رآها الملك واصبح يوسف عليه السلام ذا تمكن في البلاد ووجاهة ومنزلة حصينة

ويتولى شؤون وزارة الأرض لقوله تعالى ﴿قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾^(٢). الآية التي تبث الاعتقاد - والعلم عند الله -

بأن يوسف هو بشارة إبراهيم عليه السلام في قوله تعالى ﴿إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ﴾^(٣) وهذا القول منا مخالف للإجماع المركب عند العلماء بورود قولين

(١) سورة يوسف ٥٠.

(٢) سورة يوسف ٥٥.

(٣) سورة الحجر ٥٣.

مختلفين لهم ودلالته على إنتفاء قول ثالث إذ اختلفوا في الغلام العليم على وجهين :

الأول : إنه إسحاق بن إبراهيم .

الثاني : إنه إسماعيل بن إبراهيم .

والمختار أنه يوسف بن يعقوب بن إسحاق .

وان ذلك كان عوناً له بأن رؤيا ذبح ابنه سوف لن تقطع نسله وذريته في الأرض ، وان كنت اخالف المفسرين في موضوع البشارة اذ انهم حصروا اقوالهم واختلافهم فيمن يكون هو البشارة اسماعيل او اسحاق والله واسع كريم^(١).

والآية ﴿ وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ ﴾^(٢) بيان لنعم الله على يوسف ومنافع ما علمه سبحانه من تأويل الاحاديث وتعبير الرؤيا ، وبشارة للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ودليل عمل للمسلمين . عن الصادق عليه السلام قال: قد كان يوسف بين أبويه مكرماً حتى صار عبداً حتى بيع بأجنس واوكس الأثمان ثم لم يمنع الله ان بلغ به حتى صار ملكاً.

قانون القصور في الشكر لله

يحتمل قول يوسف ﴿ وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴾^(٣) وجوهاً:

الأول : أكثر الناس في مصر آنذاك لا يشكرون .

الثاني : أكثر الناس في زمان يوسف عليه السلام .

الثالث : أكثر الناس في كل زمان لا يشكرون .

الرابع : أكثر الناس في نسبة إحصائية من مجموع أهل الدنيا في أزمنة وأماكن الإيمان والكفر .

(١) انظر التفصيل في تفسير سورة يوسف للمؤلف ٧٨ - ٧٩ .

(٢) سورة يوسف ٥٦ .

(٣) سورة يوسف ٣٨ .

المختار هو الأخير ، فحتى إذا صار أهل الأرض مؤمنين شاكرين لله عز وجل في زمان مخصوص فهم بالنسبة لمجموع الأزمنة الأقل ، فأكثر الناس لا يشكرون الله عز وجل على نعمه .

وفيه إشارة بأن القحط والجذب الذي سيحل بأهل مصر إنما هو بسبب الجحود وعبادة الأوثان .

ويتجلى الشكر لله عز وجل بطاعة الله والرسول ، وأداء الفرائض العبادية ، والإكثار من قول (الحمد لله) عند كل نعمة .

ثم توجه يوسف إلى الغلامين بالذم والتبكي على عبادتهم الأوثان والطواغيت ، وأنه لا أصل لما يعبدون مع تأكيده بوراثتهم الضلالة عن آبائهم ، وأن الحكم لله عز وجل وحده .

وفيه دعوة للذي يُعبر الرؤيا للناس بتذكيرهم بوجوب التوحيد وعبادة الله عز وجل وحده ، والإلتفات إن كانت الرؤيا تدل على وجوب أداء فريضة عبادية ، أو تقصير فيها ، وهو من عمومات قوله تعالى ﴿فَذَكِّرْ إِن نُّنَعَتِ الذِّكْرَى﴾^(١) ، لبيان قانون الرؤيا الصادقة وتعبيرها تنبيه وهداية .

ثم توجه يوسف عليه السلام لتعبير رؤيا الغلامين بأن ابتدأ قوله تعالى ﴿يَا صَاحِبِ السِّجْنِ﴾^(٢) ، لبيان موضوعية الصحبة وإن كانت في حال الشدة والتباين بالحال والإيمان أو الكفر ، وفيه دعوة للمسلمين لحسن صحبة الآخرين وموضوعية المواطنة ، ومحل العمل والوظيفة في الإحسان إلى الآخرين وإن كانوا من مذاهب وملل أخرى .

(١) سورة الأعلى ٩ .

(٢) سورة يوسف ٣٩ .

ثم قام يوسف بتعبير رؤيا الغلامين ، وقال لأحدهما انك ستعاد إلى مكانك في سقاية وشراب الملك ، وقيل المراد من ﴿أَرَأَيْتَ أَغَصِرُ خَمْرًا﴾^(١) اي عنياً بلغة أهل عمان يسمون العنب خمرأ ، ونزل القرآن بلغة قريش. والمختار أنه يصنع الخمر والنيذ والعصير للملك^(٢).

معجزة السنابل

وهل كان حفظ الحبوب بسنابلها للحفاظ على قيمتها الغذائية لسنوات ، ولمنع ديبب التسوس والآفات والتلف عنها أمراً معروفاً عند أهل مصر أم أنه جاء بالوحي رحمة عامة بالناس ، المختار هو الثاني ، ولم يعهد الناس في تلك الأزمنة إدخار الحبوب لأكثر من سنة .

إذ تحيط السنابل بالحبوب بعدد من الأغلفة التي تمنع من تأثر الحبوب بالبيئة ، كما انها تمنع وصول الحشرات إليها وتحافظ على حياة الجنين داخل حبة الحنطة والذي يساوي ٤٪ من وزن الحبة ، ويقبح في أحد زواياها ، ويكاد لا يرى بالعين المجردة .

وتتألف السنبلة الواحدة من عدد من الأزهار وترتبت بهيئة بدیعة باعجاز خارق ، ودعوة للناس للتدبر في الخلق ، واستقراء الناس في كل زمان وجوب عبادة الله عز وجل وحده ، قال تعالى ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرَّمَانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُشْتَبِهٍ انظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾^(٣).
ليبان حضور الآيات عند الإنسان مجتمعاً مع غيره ومنفرداً وهي تحضه على الإيمان ، واجتناب المعصية والإقتتال وسفك الدماء ، واتباع الشيطان.

(١) سورة يوسف ٣٦.

(٢) من كتابي الموسوم (فلسفة الرؤيا في الإسلام).

(٣) سورة الأنعام ٩٩.

وإلى جانب الآيات الكونية تتجلى بدائع الخلق في الأشجار والثمار وأوقات قطافها ، ليتفكر الناس في الخلق ، وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾^(١).

وجاء الخطاب والأمر في الآية أعلاه إلى الناس جميعاً للتدبر في النعم واتخاذها مادة وطريقاً للإيمان ، لذا خاطب يوسف عليه السلام صاحبيه في السجن ﴿قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ذَلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾^(٢).

فمن مصاديق الآية أعلاه من سورة البقرة أن الفاكهة والثمار من آيات الله ، ويجب زراعتها وأكلها بالحلال ، وعدم الظلم ، ومن الإعجاز في الآية بشارة الرزق الكريم للناس من خيرات الأرض في كل زمان ، وأن الحلال يسع الناس من غير حاجة إلى الحرام والسرقة والغصب ونحوه. والثمار وفوائدها على صحة الإنسان وإنشراح الصدر عند أكلها فضل من الله لخلفاء الأرض ، وهي مقدمة للهداية ، ومن مصاديق قوله تعالى ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾^(٣).

فآيات الثمار طرية ومجففة تذكير بيدع صنع الله ، وعظيم إحسانه على الناس ، ودعوة لهم للإيمان .

وإلى جانب معرفة الناس بالتجربة والوجدان لفوائد الفاكهة والثمار ، فقد أظهرت العلوم المخبرية والدراسات الطبية الحديثة فوائد مستحدثة للفاكهة على أعضاء البدن واحتوائها على المعادن والحديد ، وإذابتها للدهون وتنشيطها للكبد ، وتنظيفها للكليتين ووقايتها من أمراض الدم

(١) سورة البقرة ١٦٨.

(٢) سورة يوسف ٣٧.

(٣) سورة الفاتحة ٦.

وغيرها.

لتكون نعم الدنيا عوناً للإنسان في شكره لله عز وجل واجتهاده في الدعاء ، ومنه العمل بمضامين آية البحث.

الثاني عشر : أيوب عليه السلام : اتصف النبي أيوب بنزول البلاء الشديد في بدنه وتلف أمواله وموت أولاده .

لقد ابتلي بالجذام الذي انتشر في كل بدنه ، وهذا المرض يؤثر على الجلد والأعصاب الطرفية ، وابتعد عنه كل ذوي القربى والأصحاب إلا زوجته التي استمرت بالعناية به ، وصارت تخدم في بيوت الناس من أجل توفير لقمة العيش لها وله .

وهي ابنة نبي ، إذ ذكر أنها بنت يعقوب بن إسحاق ، وفي قول آخر أنها ابنة يوسف عليه السلام .

وأظهر أيوب أبهى مراتب الصبر في البلاء ، ولم ينقطع عن الدعاء ، وكان شاكراً لله عز وجل ولم يجزع ، ولم ييأس من رحمة الله ، قال تعالى ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾^(١).

وورد حكاية عن إبراهيم عليه السلام في التنزيل ﴿وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ﴾^(٢).

ومن أدعية أيوب ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾^(٣).

(١) سورة الزمر ٥٣.

(٢) سورة الحجر ٥٦.

(٣) سورة الأنبياء ٨٣.

فاستجاب الله عز وجل لدعاء أيوب ، ونزل أمر شفائه من الدرن وأعاد الله عز وجل له ماله ورزقه الأولاد .

إذ ورد عن أنس بن مالك (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إن نبي الله أيوب عليه السلام لبث به بلاؤه ثماني عشرة سنة فرفضه القريب والبعيد إلا رجلين كانا من أخص إخوانه به كانا يغدوان إليه ويروحان. فقال أحدهما لصاحبه : تعلم -والله- لقد أذنب أيوب ذنبا ما أذنبه أحد من العالمين.

قال له صاحبه : وما ذاك ، قال : من ثماني عشرة سنة لم يرحمه الله ، فيكشف ما به .

فلما راحا إليه لم يصبر الرجل حتى ذكر ذلك له. فقال أيوب: لا أدري ما تقول غير أن الله يعلم أنني كنت أمر على الرجلين يتنازعان فيذكران الله عز وجل ، فأرجع إلى بيتي فأكفر عنهما ، كراهية أن يذكر الله إلا في حق. قال : وكان يخرج إلى حاجته فإذا قضاها أمسكت امرأته بيده حتى يبلغ. فلما كان ذات يوم أبطأ عليها وأوحى الله تعالى إلى أيوب ، عليه السلام ، أن ﴿ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾^(١).

فاستبطأته فتلقته تنظر فأقبل عليها قد أذهب الله ما به من البلاء وهو على أحسن ما كان.

فلما رآته قالت : أي بارك الله فيك هل رأيت نبي الله هذا المبتلى ، فوالله على ذلك ما رأيت رجلا أشبه به منك إذ كان صحيحا.

قال : فإني أنا هو. قال: وكان له أندران أندرا للقمح وأندرا للشعير فبعث الله سحابتين فلما كانت إحداهما على أندرا للقمح أفرغت فيه الذهب حتى فاض وأفرغت الأخرى في أندرا الشعير حتى فاض)^(٢).

(١) سورة ص ٤٢.

(٢) تفسير ابن كثير ٧٥/٧ .

وهل في ذكر قصة أيوب في القرآن دعوة لأطباء الأبدان بالإجتهاد لاكتشاف علاج للجذام والأمراض الجلدية مطلقاً وهل فيها بشارة اكتشاف هذا العلاج ، الجواب نعم .

لأن شفاء أيوب من مرض مستعص نعمة ومعجزة ، ويأبى الله رفع النعم عن الناس ، لتأتي بالعلم والتحصيل في هذا الزمان والأزمة اللاحقة .
لقد ورد ذكر النبي أيوب في القرآن أربع مرات ، ولكن عند الإحصاء بالمعنى الأعم وشموله للضمان المتصلة والمستترة التي تدل عليه يكون العدد أكثر ، ومنه ﴿ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذَكَرَى لِلْعَابِدِينَ ﴾^(١) .

الثالث عشر: ذوالكفل عليه السلام : لقد ورد ذكر ذي الكفل مرتين في القرآن ، ومع عدد من الأنبياء ﴿ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴾^(٢) .

﴿ وَادْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِنَ الْأَخْيَارِ ﴾^(٣) .
وقيل بأن اقتران اسمه مع الأنبياء شاهد على نبوته ، ومشهور علماء الإسلام أنه نبي وفيه خبر عن الإمام الباقر عليه السلام .
وسمي ذا الكفل لأنه تكفل لبني قومه لهدايتهم ، وجذبهم لاتباع النبي ، والقضاء بينهم بالعدل .

و(عن أبي موسى الأشعري ، قال وهو يخطب الناس: إن ذا الكفل لم يكن نبيا ولكن كان عبدا صالحا ، تكفل بعمل رجل صالح عند موته ، كان يصلي لله كل يوم مائة صلاة ، فأحسن الله عليه الشئاء في كفالته إياه)^(٤) .

(١) سورة الأنبياء ٨٤ .

(٢) سورة الأنبياء ٨٥ .

(٣) سورة ص ٤٨ .

(٤) تفسير الطبري ٥١٠/١٨ .

و(عن ابن عمر قال : سمعت حديثاً للنبي صلى الله عليه وآله وسلم لو لم أسمعه إلا مرة أو مرتين لم أحدث به ، سمعته منه أكثر من سبع مرات ، قال صلى الله عليه وآله وسلم : كان في بني إسرائيل رجل يقال له ذو الكفل لا ينزع عن ذنب عمله ، فاتبع امرأة فأعطاهما ستين ديناراً على أن تعطيه نفسها ، فلما قعد منها مقعد الرجل من المرأة أرعدت وبكت فقال : ما ييكيك.

قالت : من هذا العمل .

ما عملته قط .

قال : أكرهتك .

قالت : لا ، ولكن حملتني عليه الحاجة .

قال : اذهبي فهو لك ، ثم قال : والله لا أعصي الله أبداً ، فمات من ليلته فقيل مات ذو الكفل ، فوجدوا على باب داره مكتوباً : إن الله قد غفر لذي الكفل^(١).

ونعت الله عز وجل ذي الكفل بأنه من الصابرين .

ترى ما هي النسبة بين الصبر والدعاء في آية البحث ، الجواب هو العموم والخصوص المطلق ، فالدعاء والإقامة عليه فرع الصبر .

ومن الشواهد على أن المسلمين ﴿أُولَى الْأَبَابِ﴾ دعاؤهم في آية البحث لأُمُور الدنيا والآخرة ، واختتام الآية بالثناء على الله عز وجل وبيان حبه له تعالى ، وفي التنزيل ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^(٢).

(١) الثعلبي / الكشف والبيان ١٥٤/٩ .

(٢) سورة آل عمران ٣١ .

الرابع عشر: **شعيب** عليه السلام : ورد ذكر النبي شعيب إحدى عشرة مرة في القرآن ، منها قوله تعالى ﴿وَالَّذِي مَدِينُ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾^(١)، وقوله تعالى ﴿كَذَّبَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ قَالَ لَهُمُ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾^(٢).
والأيكة : هي الشجر دلالة على الخصب عندهم .

ولعل النسبة بين مدين وأصحاب الأيكة هي لعموم والخصوص من وجه ، فقد أرسل الله عز وجل شعيباً إلى قومه مدين ، ولكن الأثرياء من قومه قابلوه بالتكذيب .

وذكر أن شعيباً بعث إلى أمتين أحدهما مدين فأخذتهم الصيحة ، والأخرى أصحاب الأيكة ، فأخذهم الله عز وجل بعذاب يوم الظلة .
وأخرج (عن ابن عمرو قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : ان مدين وأصحاب الأيكة ، أمتان بعث الله إليهما شعيباً)^(٣).

لقد اجتهد شعيب في دعوة قومه للتوحيد ، ومن نهج الأنبياء الذي تكرر الإخبار عنه في القرآن إخبارهم لقومهم عدم إرادتهم أجراً وعوضاً على الدعوة إلى الله مع أنها أعظم دعوة في تاريخ الإنسانية إذ أنهم يريدون الأجر من الله عز وجل كما في الأنبياء نوح ، وهود ، وصالح ، ولوط .

وقد خاطب شعيب قومه كما في التنزيل ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا * وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(٤).

وقد تكرر هذا المعنى في دعوة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم لقومه للإيمان ، واحتجاجه عليهم ، ليدل هذا التكرار والتعدد على اجتهد النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في الدعوة إلى الله ، ومنه قوله تعالى

(١) سورة الأعراف ٨٥ .

(٢) سورة الشعراء ١٧٦-١٧٧ .

(٣) الدر المنثور ١٠٧/٦ .

(٤) سورة الشعراء ١٧٩-١٨٠ .

﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنَّ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾^(١).

وشعيب من الأنبياء العرب .

و(عن أبي ذر قال : قلت : يا رسول الله كم الأنبياء ، قال : مائة ألف نبي وأربعة وعشرون ألفاً .

قلت : يا رسول الله كم الرسل منهم؟ قال : ثلثمائة وثلاثة عشر جم غفير . قال : يا أبا ذر أربعة سريانيون : آدم ، وشيث ، ونوح ، وخنوخ وهو إدريس ، وهو أول من خط بقلم .

وأربعة من العرب : هود ، وصالح ، وشعيب ، ونيك . وأول نبي من أنبياء بني إسرائيل موسى ، وآخرهم عيسى ، وأول النبيين آدم ، وآخرهم نبيك)^(٢).

وكان مدين بلاد ميرة يأتي الناس للتسوق والشراء منهم ، فكانوا يبخسون الناس أموالهم ، ويجلسون على الطريق لصد الناس عن الإنصات لشعيب في إخباره عن نبوته ، ودعوته إلى الله .

وفي حديث عن ابن عباس (يقولون : لا تسمعوا منه فإنه كذاب يفتنكم ، فذلك قوله ﴿وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ﴾^(٣) ، الناس أن اتبعتم شعيباً فتنكم ، ثم إنهم توعده وهددوه فقالوا : يا شعيب لنخرجنك من قريتنا أو لتعودن في ملتنا أي إلى دين آبائنا ، فقال عند ذلك ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنَّ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾^(٤)^(١).

(١) سورة سبأ ٤٧ .

(٢) الدر المنثور ٢٩٨/٣ .

(٣) سورة الأعراف ٨٦ .

(٤) سورة هود ٨٨ .

وقد قصد رجالات قريش في مداخل مكة لمنع الناس من الإنصات إلى النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم خاصة في موسم الحج ، وفي التنزيل ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ﴾^(٢).

الخامس عشر: موسى عليه السلام (وهو موسى بن عمران بن يصهر بن قاهث بن لاوي بن يعقوب إسرائيل الله بن إسحاق ذبيح الله ابن إبراهيم خليل الله)^(٣).

وموسى عليه السلام من الرسل الخمسة أولي العزم وهو صاحب شريعة مبتدأة ، وبدعائه أصبح أخوه هارون نبياً بفضل من الله .
واتصفت قصته في القرآن بذكره من حين ولادته المقرونة بالتهديد بقتله من قبل فرعون وجنوده في ظلم شديد لما أخبر السحرة فرعون بأن هلاكه وجيشه على مولود من بني إسرائيل ، والإيحاء من الله لأمه بالقائه في البحر ليكون التقاط آل فرعون له معجزة ، ويعود إلى أمه ، لأنه امتنع عن الرضاع من غيرها.

وقيل للإمام الباقر عليه السلام (فكم مكث موسى غائبا عن امه حتى رده الله عليها ؟ قال: ثلاثة أيام)^(٤).

واستغاث رجل من بني إسرائيل بموسى على رجل من الأقباط فدفع موسى القبطي لفك الإشتباك الشخصي بينهما ﴿فَوَكَرَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ﴾ * قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ^(٥).

(١) الدر المنثور ٢٦٩/٤ .

(٢) سورة فصلت ٢٦ .

(٣) تفسير الطبري ٦١/٢ .

(٤) البحار ٢٧/١٣ .

(٥) سورة القصص ١٥-١٦ .

ليان فتح باب المغفرة للمسلمين لمن يقتل غيره خطأ باللجوء إلى
الإستغفار إذ وكزه موسى أي دفعه في صدره بكفه .
(وقال قتادة : بعصاه) ^(١).

والصحيح أن موسى عليه السلام دفعه بجمع كفه ، وكان موسى يمتاز
بالقوة ، لذا حينما سقى لابنتي شعيب ، قالت احداهما ﴿يَا أَبْتَ اسْتَأْجِرْهُ
إِنْ خَيْرَ مَنْ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾ ^(٢).
ولم يرد لفظ (فوكزه) في القرآن إلا في الآية أعلاه .

وقوله ﴿هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾ أي الإقتال بين الإسرائيليين والقبطي
أوان حضور موسى عليه السلام للفتنة ويسعى آل فرعون في طلب موسى
لقتله ، فهرب إلى مدين خائفاً ، ليصبح خارج سلطان فرعون .

ولما تمادى فرعون في الطغيان والتجبر ، وخاطب الناس ﴿أَنَا رَبُّكُمْ
الْأَعْلَى﴾ ^(٣) ، وأراد أن الأصنام أرباب وهو ربها وربهم أمر الله عز وجل
موسى وهارون عليهما السلام أن يذهبا إلى فرعون رجاء توبته وهدايته إلى
عبادة الله وإقامة الحججة عليه وعلى الذين يتبعونه.
وبعث الله عز وجل موسى نبياً ، وأعطاه معجزة العصا التي انقلبت إلى
أفعى في قهر سحرة فرعون.

ودخولهم الإسلام عندما رأوا المعجزة ليقوم فرعون بسجن الذين آمنوا
برسالة موسى ، فابتلاه وقومه الله عز وجل بالطوفان وسألوا موسى عليه
السلام أن يصرفه عنهم ، ووعدوه بالإيمان برسالته والتخلى بينه وبين بني
إسرائيل ، فدعى الله ، ولكنهم لم يؤمنوا .

(١) النكت والعيون ٢٦٧/٣ .

(٢) سورة القصص ٢٦ .

(٣) سورة النازعات ٢٤ .

وفي السنة التالية ابتلاهم الله عز وجل بالجراد ، ثم القمل أصاب مزروعاتهم ، ثم الضفادع ، قال تعالى ﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِيهِ تِسْعَ آيَاتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾^(١).
ليخرج موسى عليه السلام بني إسرائيل خفية في الليل ، وعندما علم فرعون أمر بتعقيبهم لإعادتهم للذل والعمل في الزراعات ، والخدمة في البيوت ، فضرب موسى بحر القلزم وهو البحر الأحمر بعصاه ، فانشقت لهم الطرق في البحر ، ليعبروا إلى سيناء وهي الضفة الأخرى من الشاطئ. وأبى فرعون وجنوده إلا إقتحام البحر خلفهم بذات الطريق ، فاغرقهم الله ، قال تعالى ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾^(٢).

ورزق الله عز وجل موسى وبني إسرائيل المن والسلوى ، والسلوى طائر صغير ، وظلل عليهم بالغمام ، وتلقى موسى عليه السلام التوراة وأحكام الشريعة.

والتقى موسى عليه السلام بالعبد الصالح الخضر ، قال تعالى ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا﴾^(٣) ، ومع أن الخضر ليس نبياً ، فقد سأله موسى عليه السلام أن يتعلم منه المسائل والمواعظ.

وموسى عليه السلام أكثر الأنبياء ذكراً في القرآن بعد النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم إذ ورد اسم موسى مائة وستاً وثلاثين مرة لإستقراء المواعظ من قصته ، والهام المسلمين الصبر ، واللجوء إلى الدعاء.

(١) سورة النمل ١٢.

(٢) سورة البقرة ٥٠.

(٣) سورة الكهف ٦٥.

وموسى عليه السلام من الرسل الذين ذكرتهم آية البحث على نحو الإجمال بوعد الله عز وجل بواسطتهم للمؤمنين بالإقامة الدائمة في الجنة .
السادس عشر : هارون عليه السلام : من خصائص النبي جريان المعجزة على يديه ، أما هارون فقد نال مرتبة النبوة بمعجزة لموسى لذا فأعظم فضل أخ على أخيه فضل موسى على هارون إذ نال النبوة بدعاء موسى عليه السلام بقوله تعالى ﴿قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى﴾^(١).

ولكن تدل الآية أعلاه على أن الفضل في المقام لله عز وجل الذي استجاب لدعاء موسى عليه السلام .

وقيل هارون نبي رسول ، و(عن أسماء بنت عميس قالت : رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بإزاء ثبير وهو يقول : أشرق ثبير أشرق ثبير اللهم إني أسألك بما سألك أخي موسى أن تشرح لي صدري وأن تيسر لي أمري وأن تحل عقدة من لساني ﴿يَفْتَحُوا قَوْلِي﴾ * وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي * هَارُونَ أَخِي * اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي * وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي * كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا * وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا * إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا)﴾^(٢).

وعن أبي حفضر محمد بن علي عليه السلام قال : لما نزلت ﴿وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي * هَارُونَ أَخِي * اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي﴾^(٣) ، كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على جبل ، ثم دعا ربه وقال : اللهم اشدد أزرى بأخي علي فأجابه إلى ذلك^(٤).

(١) سورة طه ٣٦ .

(٢) سورة طه ٢٨-٣٥ .

(٣) سورة طه ٢٩-٣١ .

(٤) الدر المنثور ٧/٧ .

وهارون شقيق موسى ، أخوه لأمه وأبيه ، لذا ورد في التنزيل ﴿قَالَ
يَبْنَؤُمْ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي﴾^(١).

وهارون أكبر من موسى ، ولما ذهب موسى عليه السلام إلى الجبل لتلقي
الوحي ومعه سبعون من سادة ورؤساء بني إسرائيل ، ترك هارون يتولى
شؤون بني إسرائيل ، فقام رجل اسمه السامري بصنع عجل من ذهب
وقذف فيه قبضة من التراب من أثر فرس جبرئيل وورد حكاية عن السامري
في التنزيل ﴿فَقَبَضْتُ قُبْضَةً مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّكْتُ لِي نَفْسِي﴾^(٢) ،
لتفتن بعبادته طائفة من بني إسرائيل .

وكان مجموع بني إسرائيل ستمائة ألف ، وقيل افتتنوا بالعجل باستثناء
اثني عشر ألفاً منهم^(٣) ، ولم يذكر الثعلبي جهة الصدور .
لقد كان هارون عوناً لموسى عليه السلام في الإحتجاج على فرعون في
حضرته وسلطانه ، ليكون هذا الإحتجاج نوع جهاد ، ومات هارون قبل
موسى .

وقد خفف الله عز وجل عن المسلمين باللجوء إلى الدعاء وسؤال الله
عز وجل تنجز ما وعدهم من الأمن في النشاطين .
السابع عشر: إلياس عليه السلام : وهو من أنبياء بني إسرائيل ، وورد
ذكره في القرآن مرتين ، وأنه من الرسل ، قال تعالى ﴿وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ
الرُّسُلِينَ * إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ آلَا تَتَّقُونَ * أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ
الْخَالِقِينَ﴾^(٤).

(١) سورة طه ٩٤.

(٢) سورة طه ٩٦.

(٣) الثعلبي / الكشف والبيان ٨٦/٩.

(٤) سورة الصافات ١٢٣-١٢٥.

لقد بعثه الله عز وجل لقومه بعد أن عبدوا الأصنام ، وقيل بعثته في بعلبك.

وعن ابن عباس في الآية أعلاه ولفظ (بعلاً) (إنما سمي بعلبك لعبادتهم البعل ، وكان موضعهم البدء ، فسمي بعلبك)^(١).
وبالإسناد عن عبد الله بن مسعود قال (إلياس هو إدريس) وبه قال عكرمة^(٢).

ولكن هناك فترات طويلة بين إدريس واليسع .
(وقال ابن إسحاق : هو إلياس بن ياسين بن العيزار بن هارون بن عمران)^(٣).

لقد دب الفساد والشرك في بعض الطوائف من بني إسرائيل ، وكان لكل طائفة وأهل بلدة منهم ملك ، واختلطوا مع أهل الأوثان.
فعندما فتح يوشع بن نون أرض الشام قسمها بين بني إسرائيل ، وعن ابن إسحاق (فأحل سبطاً منهم بعلبك ونواحيها ، وهم سبط إلياس الذي كان منهم إلياس فبعثه الله إليهم نبياً ، وعليهم يؤمئذ ملك يقال له (أجب) قد ضل وأضل قومه.

وأجبرهم على عبادة الأصنام ، وكان يعبد هو وقومه صنماً يقال له : بعل ، وكان طوله عشرين ذراعاً ، وكانت له أربعة وجوه.
قال : فجعل إلياس يدعوهم إلى الله سبحانه)^(٤).

وكان عبادة طائفة من بني إسرائيل العجل أيام موسى عليه السلام إنذار بأن بعض أجيالهم سيعبدون الأوثان.

(١) الدر المنثور ٨/ ٣٥٣ .

(٢) الثعلبي / الكشف والبيان ١١/ ٢٣٩ .

(٣) الثعلبي / الكشف والبيان ١١/ ٣٢٩ .

(٤) الثعلبي / الكشف والبيان ١١/ ٣٢٩ .

وقد اجتهد إلياس بدعوة الملك (أجب) وقومه إلى عبادة الله ، ولكنهم أصروا على الضلالة والباطل ، فرفعه الله عز وجل وقطع عنه لذة المطعم والمشرب .

وقصد ملك آخر قوم الياس وباغتهم وقتل الملك (أجب) وزوجته الكافرة أزيل .

وورد بسند ضعيف عن أنس (قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : إن الخضر في البحر واليسع في البر ، يجتمعان كل ليلة عند الردم الذي بناه ذو القرنين بين الناس وبين يأجوج ومأجوج ، ويحجان ويعتمران كل عام ويشربان من زمزم شربة تكفيهما إلى قابل)^(١).

والخضر هو الذي ورد ذكره في قصة موسى ﴿فَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا﴾^(٢).

(واسمه بلياً بن ملكان بن يقطن ، والخضر لقب له)^(٣).

وزمان موسى متقدم على زمان اليسع .

الثامن عشر : اليسع عليه السلام : ابن أخطوب من بين مائة وأربعة وعشرين ألف نبي ذكر الله عز وجل خمسة وعشرين منهم ، وأحدهم اليسع الذي ذكر في القرآن مرتين مثلما ذكر إلياس .

وقد ذكر ثمانية عشر نبياً في أربع آيات متتالية ومنهم اليسع ، إذ قال تعالى ﴿وَلَكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ * وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ *

(١) الدر المنثور ٦/٣٩٩.

(٢) سورة الكهف ٦٥.

(٣) الثعلبي / الكشف والبيان ٨/١٥٦ .

وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِيلَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ * وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيُوسُفَ
وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَىٰ الْعَالَمِينَ ﴿١١﴾.

واليسع من أنبياء بني إسرائيل بعد موسى عليه السلام ، ومن عمل
بالتوراة .

واليسع بن أخطوب نشأ وتربى في كنف النبي الياس ، ثم رزقه الله عز
وجل النبوة .

وكان إلياس قد فرّ من قومه بعد أن دعا عليهم بثلاث سنوات من
القحط والجفاف ، واستجاب الله عز وجل لدعائه .

فمر على بيت امرأة من بني إسرائيل ، وسألها طعاماً فقدمت له شيئاً
من دقيق وزيت قليل ، وأخفت هذه المرأة أمر إلياس لأنه ضيفها ، وكان
قومه يجدون في طلبه ، وعندها ولد مريض هو (اليسع) هذا فدعا له إلياس
فعوفي ، فأمن بنبوة إلياس واتبعه ولزمه .

وعن الصادق عليه السلام (قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله :
عليكم بالكرفس ، فانه طعام إلياس واليسع ويوشع بن نون) (١).

وقد تتعدد الأنبياء في زمان وبلدة واحدة عند بني إسرائيل ، وتبين قصة
إلياس واليسع شدة محاربة الرؤساء للأنبياء ، وملاحقتهم بغية قتلهم مع
استجابة الله عز وجل للنبي اليسع في دعائه .

وهي خير مواساة له وللمؤمنين بنبوته ، وكذا للمسلمين ، ولتبقى نبوتهم
وأخبارها ضياءً ومناراً للمسلمين ، ودعوة لهم للصبر والتحمل ، وقد لاقى
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته وأصحابه أشد الأذى ،
فكانت حياة وقصص الأنبياء في القرآن والسنة النبوية مادة مباركة للصبر
والتحمل ، قال تعالى ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَأُولُو الْعِزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾ (٢).

(١) سورة النعام ٨٣-٨٦ .

(٢) البحار ٢٤٠/٦٣ .

(٣) سورة الأحقاف ٣٥ .

التاسع عشر: داود عليه السلام : وهو أحد أنبياء بني إسرائيل ، وذكر في القرآن ست عشرة مرة ، قال تعالى ﴿وَأَتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا﴾^(١).

وقال الزمخشري في نسب عيسى عليه السلام (موسى وهرون من عمران ، وعمران من يصهر ، ويصهر من فاهث ، وفاهث من لاوى ، ولاوى من يعقوب ، ويعقوب من إسحاق . وكذلك عيسى ابن مريم بنت عمران بن ماثان بن سليمان بن داود بن إيشا بن يهوذا بن يعقوب بن إسحاق)^(٢). والمختار تعدد وكثرة الآباء بين كل من عيسى وداود ، وبين داود ويهوذا .

وقال ابن عساكر (سليمان بن داود بن إيشا بن عويد بن عابر بن سلمون بن نحشون بن عمينا داب بن ارم بن حصرون بن فارص بن يهوذا بن يعقوب بن إسحق بن إبراهيم)^(٣).

لقد وقعت معركة كبرى فاصلة بين بني إسرائيل ، وبين العمالقة ، وكان ملكهم جالوت ، وظهر العمالقة على بني إسرائيل ، وفرضوا عليهم الجزية ، وصادروا التوراة .

وتوجه بنو إسرائيل إلى الدعاء ، وسألوا الله عز وجل أن يبعث لهم نبياً ، وقال السدي (وكان سبط النبوة قد هلكوا فلم يبق منهم إلا امرأة حبلى ، فأخذوها فحبسوها في بيت)^(٤).

خشية أن تلد بنتاً فتبدله بغلام لما تراه من رغبة بني إسرائيل في ولدها ، وصارت تدعو الله عز وجل أن يرزقها ولداً ، فولدت غلاماً وسمته شمعون ، وسلمته ليتعلم التوراة ، ولما كبر جاءه جبرئيل بالنبوة ، فسأله بنو إسرائيل أن يختار لهم ملكاً يقاتلون تحت لواءه ، إذ ورد في التنزيل ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلِكِ

(١) سورة الإسراء ٥٥.

(٢) الزمخشري / الكشاف ٢٦٩/١ .

(٣) البداية والنهاية ١٨/٢ .

(٤) الدر المنثور ١٣٥/٢ .

مِنْ بَنِي إِسْرَآئِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيِّهِمْ أُنَبِّئْنَا مَلِكًا يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿١﴾.

واختار بالمعجزة طالوت ملكاً وخرجوا لقتال جالوت وجيشه ، ولما اصطف الفريقان ، خرج جالوت وما برز له فارس إلا جندله وخر صريعاً ، فاحجم عنه الفرسان.

وكانت عدة أصحاب طالوت ، ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً ، بعد أن رجع ثلاثة آلاف وستمائة وبضعة وثمانون خوفاً وخشية من جالوت كما في التنزيل ﴿لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ﴾ (٢).

وأصحاب جالوت أضعافهم ، ومثله واقعة بدر ، إذ كان عدد صحابة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في الميدان يومئذ بمثل عدد أصحاب طالوت ، وكان إيشا والد داود هو وأولاده مع طالوت إلا داود كان صغيراً ، قصير القامة خلفه أبوه راعياً في غنمهم ، فجاءوا له فرأوه يحمل شاتين يجيزهما الماء رفقاَ بهما من خوض الماء .

(فقال له طالوت : هل لك أن تقتل جالوت وأزوجك ابنتي وأجري خاتمك في ملكي ، قال : نعم.

قال : وهل أنست من نفسك شيئاً تقوى به على قتله ، قال : نعم . أنا أرعى فيجيء الأسد والنمر والذئب فيأخذ شاة وأقوم له وأفتح لحية عنها وأخرقهما إلى قفاه ، فردّه إلى عسكره) (٣).

(١) سورة البقرة ٢٤٦.

(٢) سورة البقرة ٢٤٩.

(٣) الثعلبي / الكشف والبيان ٤٨/٢ .

فبرز داود بالمقلع ومخللة فيها أحجار وكان لا يخطئ وكان جالوت يغطي جسمه بالحديد ولا ينكشف منه إلا عيناه ، وتحدى كل منهما صاحبه . فجعل داود حجراً في المقلع ، ورماه فأصاب بين عينيه ، ونفذت إلى دماغه ، فصرخ جالوت وسقط صريعاً ، وانهزم أصحابه . وتزوج داود ابنة طالوت ، وأصبح بنو إسرائيل يحبون داود ، وحسده طالوت وأراد قتله ، ومملك داود بعد طالوت ، وجعله الله عز وجل نبياً ، قال تعالى ﴿وَأَنَّهُ اللَّهُ الْمَلِكُ وَالْحَكِيمُ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ﴾^(١) .

ولم يرد لفظ (المملك والحكمة) والجمع بينهما في القرآن إلا في هذه الآية ، ولم يرد في القرآن تقديم الحكمة (الحكمة والمملك) .

معجزات داود

لقد رزق الله عز وجل داود معجزات عديدة ، وفيه لطف ورحمة ببني إسرائيل لتقريبهم إلى مقامات الإيمان ، وقضاء حوائجهم ، وتخفيف عن داود في جذبهم لطاعة الله وطاعته ، وقد خاطب الله عز وجل داود بصفة الخلافة في الأرض ، إذ قال تعالى ﴿يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَكَاتَّبِعِ الْهُدَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾^(٢) .

وهل تختص الخلافة في الآية أعلاه بـداود ، الجواب لا ، إنما هي دلالة على اجتماع النبوة والحكم ، وقد رزق الله عز وجل النبي محمداً الخلافة في الأرض ، مع تثبيت أحكام شريعته في الأرض ليعمل بها العلماء والحكام من بعده ، وجاء قوله تعالى ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾^(٣) .

(١) سورة البقرة ٢٥١ .

(٢) سورة ص ٢٦ .

(٣) سورة الحشر ٧ .

لبعث المسلمين على تعاهد العمل بالشرعية الإسلامية إلى يوم القيامة ، وهل هذا التعاهد من وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، الجواب نعم .

ليان المائز الذي يختص به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو استدامة خلافته وأحكام شريعته في الأرض إلى يوم ينفخ في الصور، وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾^(١).

وهل يصح تقدير الآية أعلاه : يا محمد إنا جعلناك خليفة في الأرض ، الجواب نعم .

الأولى : أنزل الله عز وجل عليه كتاب الزبور ، وورد ذكر الزبور في القرآن ثلاث مرات ، قال تعالى ﴿وَأَنبِئَا دَاوُدَ زَبُورًا﴾^(٢).

وورد (عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قال إبليس لربه تعالى : يا رب قد أهبط آدم ، وقد علمت أنه سيكون كتاب ورسول ، فما كتابهم ورسولهم.

قال : رسلكم الملائكة والنبيون ، وكتبهم التوراة والإنجيل والزبور والفرقان . قال : فما كتابي.

قال : كتابك الوشم ، وقراءتك الشعر ، ورسلك الكهنة ، وطعامك ما لم يذكر اسم الله عليه .

وشرابك كل مسكر ، وصدقك الكذب ، وبيتك الحمام ، ومصائدك النساء ، ومؤذنتك المزمار ، ومسجدك الأسواق)^(٣).

ومن خصائص الكتب السماوية السابقة بشارتها برسالة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

(١) سورة الأنبياء ١٠٧ .

(٢) سورة النساء ١٦٣ .

(٣) الدر المنثور ١/١٠٠ .

الثانية : الصوت العذب في تلاوة الزبور ، وفيه دعوة للمسلمين لتلاوة القرآن بترقيق الصوت وحسن التلاوة ، وهو لا يتعارض مع التباكي عند قراءة القرآن .

و(عن عبدالله بن السائب قال : قدم علينا سعد بن أبي وقاص بعدما كفّ بصره ، فأتيته مسلماً عليه ، فانتسبني فانتسبت . فقال : مرحباً بابن أخي بلغني أنك حسن الصوت بالقرآن ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : هذا القرآن نزل بحزن فإذا قرأتموه فابكوا ، فإن لم تبكوا فتباكوا)^(١).

الثالثة : تسبيح الجبال والطير مع داود إذا سبّح ، قال تعالى ﴿إِنَّا سَخَرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعُشِيِّ وَالْأَشْرَاقِ * وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ﴾^(٢).
الرابعة : إلانة الحديد لداود ليصنع منه الدروع باتقان ، ويكون رزقه منه .

ليبان عصمة الأنبياء في التنزه عن الأخذ من المال العام ، ولتقوية المقاتلين وتهيئة أسباب حمايتهم عند القتال ، فقد رآهم داود عند ملاقة جالوت وجنوده من العمالقة كيف امتنعوا جميعاً عن مبارزة جالوت بما فيهم الملك طالوت ، فبرز له داود وقتله .

الخامسة : إجتماع النبوة والعلم والملك والحكم .
السادسة : إنقطاع داود للعبادة والذكر والتسبيح مع النعم العظيمة التي رزقه الله عز وجل .

العشرون : **سليمان** عليه السلام : وهو سليمان بن داود بن إيشا ، ويرجع نسبه إلى النبي يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم .

(١) الدر المنثور ٣٦/١٣ .

(٢) سورة ص ١٨-١٩ .

وذكره الله عز وجل سبع عشرة مرة في القرآن ، وجمع الله عز وجل سليمان الملك مع النبوة مثلما جمعهما لأبيه داود ، قال تعالى ﴿وَوَرَّثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ﴾^(١).

و(عن ابن عباس أنه قال لرجل عنده : أدن مني أحدثك عن الأنبياء المذكورين في كتاب الله . أحدثك عن آدم كان حراثاً ، وعن نوح كان نجاراً ، وعن إدريس كان خياطاً ، وعن داود كان زراداً . وعن موسى كان راعياً .

وعن إبراهيم كان زراعاً عظيم الضيافة ، وعن شعيب كان راعياً ، وعن لوط كان زراعاً .

وعن صالح كان تاجراً ، وعن سليمان كان ولي الملك ، ويصوم من الشهر ستة أيام في أوله ، وثلاثة في وسطه ، وثلاثة في آخره ، وكان له تسعمائة سرية ، وثلاثمائة مهيرة .

وأحدثك عن ابن العذراء البتول عيسى . إنه كان لا يخبىء شيئاً لغد ، ويقول : الذي غداني سوف يعشيني والذي غشاني سوف يغديني ، يعبد الله ليلته كلها ، وهو بالنهار يسبح ويصوم الدهر ويقوم الليل كله)^(٢).

الحادي والعشرون : يونس عليه السلام : وهو يونس بن متى ، ذكره الله في القرآن أربع مرات وشهد له بالرسالة ، قال تعالى ﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾^(٣).

ونزلت سورة باسم سورة يونس ، وعدد آياتها (١٠٩) آية ، وهي مقاربة لآيات سورة يوسف وهي (١١٠) آيات .

(١) سورة النمل ١٦.

(٢) الدر المنثور ١/ ٨٨ .

(٣) سورة الصافات ١٣٩.

وكان قوم يونس في نينوى من أرض الموصل في العراق.

ولما هاجر النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم هجرته الأولى إلى الطائف بعد وفاة أبي طالب الذي كان كافله والذاب عنه ، وقبل أن يهاجر إلى المدينة ، رأى من أهل الطائف الأذى الشديد وأوعزوا إلى صبيانهم وغلمانهم برميهِ بالحجارة فسال الدم من قدميه .

ولكن جاءه غلام نصراني اسمه عداس بقطف من عنب بأمر من عتبة وشيبة ابني ربيعة إذ تحركت عندهما الرحم.

ولما قدم عداس العنب بين يدي رسول الله ، وضع يده فيه و(قال بسم الله ، ثم أكل ، فنظر عداس إلى وجهه .

ثم قال : والله إن هذا الكلام ما يقوله أهل هذه البلدة. قال له رسول الله : ومن أي أهل البلاد أنت يا عداس ، وما دينك.

قال : أنا نصراني وأنا رجل من أهل نينوى

فقال له رسول الله : من قرية الرجل الصالح يونس بن متى .

قال له : وما يدريك ما يونس بن متى .

قال له رسول الله : ذاك أخي ، كان نبياً وأنا نبي .

فأكبَّ عداس على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقبل رأسه ، ويديه ، ورجليه .

قال : فيقول أبناء ربيعة أحدهما لصاحبه ، أما غلامك فقد أفسده عليك.

فلما جاءهم عداس ، قالوا له : ويلك يا عداس ما لك تقبل رأس هذا الرجل ، ويديه ، ورجليه .

قال : يا سيدي ما في الأرض خير من هذا ، لقد خبرني بأمر ما يعلمه إلا نبي .

فقال : ويحك يا عداس لا يصرفنك عن دينك ، فإن دينك خير من دينه^(١).

وكان يونس يدعو قومه إلى التوحيد ، وينذرهم من بطش الله ونزول عذابه ، وامتناز قوم يونس بأنهم لما رأوا مقدمات وأمارات وبوادر العذاب أنابوا إلى ربهم قبل أن يياشرهم العذاب ، فصرفه الله عز وجل عنهم ، قال تعالى ﴿ فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ أَمْنَتْ فَتَنْفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمُ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴾^(٢).

وكان من شريعتهم قتل الكذاب إذا لم يقم بينة على دعواه ، فخاف يونس على نفسه منهم لأن العذاب الذي توعدهم لم يحل بساحتهم إذ أنه عين لهم يوم نزول العذاب .

فهرب منهم غاضباً ، قال تعالى ﴿ إِذِ ابْتِغَىٰ الْفُلُكَ الْمَشْحُونِ * فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ ﴾^(٣).

والأصح أنه وعدهم بنزول العذاب بهم بعد ثلاثة أيام ، وتعجل وخرج من القرية ساخطاً عليهم ، وخشية أن يصيبه العذاب . ولم يرد لفظ (ابق) إلا في الآية أعلاه.

وكان في الآية نوع لوم ليونس لغضبه ومغادرته البلدة وركب في السفينة ، وهاج البحر وقال ربان السفينة القوا الحمولة التي معكم ، فالقوا الأحمال والبضائع التي معهم طلباً للنجاة والسلامة ، وبقي الماء يتسرب إلى السفينة وسط الأمواج العاتية ، فنادى الربان بتخفيف الحمل برمي أحدهم في البحر وقال أبقأ من سيده معكم ، فأجريت القرعة بينهم فخرجت على يونس ، وقيل أعادوها ثلاثاً

(١) الثعلبي / الكشف والبيان ١٦٧/١٢ .

(٢) سورة يونس ٩٨ .

(٣) سورة الصافات ١٤٠-١٤١ .

كل مرة تخرج على يونس ، فألقى نفسه في البحر فالتقمه الحوت وانشغل بالتسييح وهو في بطن الحوت .

وقوله تعالى ﴿فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ﴾^(١) ، أي لم يقضمه ويقطعه ، لذا ورد اسم آخر ليونس وهو (ذو النون) قال تعالى ﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾^(٢) ، والنون الحوت .

و(عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : لما ألقى يونس عليه سلام نفسه في البحر التقمه الحوت ، هوى به حتى انتهى إلى مفجر من الأرض أو كلمة تشبهها ، فسمع تسييح الأرض ﴿فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾^(٣) فأقبلت الدعوة تحوم العرش .

فقال الملائكة : يا ربنا إنا نسمع صوتاً ضعيفاً من بلاد غربة قال : وتدرؤن ما ذاكم؟ قالوا : لا يا ربنا .

قال : ذاك عبدي يونس قالوا : الذي كنا لا نزال نرفع له عملاً متقبلاً ، ودعوة مجابة ، قال : نعم .

قالوا : يا ربنا ألا ترحم ما كان يصنع في الرخاء ، وتنجيه عند البلاء . قال : بلى فأمر الحوت فحفظه^(٤) .

واختلف في مدة بقاء يونس في بطن الحوت ، قال ابن عباس (مكث يونس عليه السلام في بطن الحوت أربعين يوماً)^(١) .

(١) سورة الصافات ١٤٢ .

(٢) سورة الأنبياء ٨٧ .

(٣) سورة الأنبياء ٨٧ .

(٤) الدر المنثور ٣٥٨/٨ .

و(عن الشعبي قال : التقطه الحوت ضحى ، ولفظه عشية ، ما بات في بطنه).

و(عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : لما أراد الله سبحانه حبس يونس في بطن الحوت أوحى الله إلى الحوت أن خذه ولا تخدش له لحماً ولا تكسر له عظماً ، فأخذه ثم هوى به إلى مسكنه في البحر ، فلما انتهى به إلى أسفل البحر سمع يونس حساً.

فقال في نفسه : ما هذا ، فأوحى الله سبحانه إليه وهو في بطن الحوت : إن هذا تسييح دواب البحر.

قال : فسبح وهو في بطن الحوت ، فسمعت الملائكة تسيحه فقالوا : يا ربنا إنا لنسمع صوتاً ضعيفاً بأرض غريبة قال : ذاك عبيد يونس عصاني ، فحبسته في بطن الحوت .

قالوا : العبد الصالح الذي كان يصعد إليك منه في كل يوم وليلة عمل صالح .

قال : نعم ، فشفعوا له عند ذلك فأمر الحوت فقذفه في الساحل كما قال الله سبحانه ﴿وَهُوَ سَقِيمٌ﴾^(٢) ^(٣).

إن تسييح ودعاء يونس في بطن الحوت دعوة للمسلمين للإجتهد بالدعاء في السراء والضراء ، وقد أنعم الله عز وجل عليه بآية البحث للدعاء في الصلاة ، وخارجها ، فالدعاء في هذه الحال نعمة عظيمة .

الثاني والعشرون : زكريا عليه السلام : وهو أحد أنبياء بني إسرائيل ، من ذرية سليمان بن داود ، وهو (زكريا بن أزن بن برشيا)^(١).

(١) الدر المنثور ٣٦١/٨ .

(٢) سورة الصافات ١٤٥ .

(٣) الثعلبي / الكشف والبيان ١٦٠/٩ .

ورد ذكره في القرآن سبع مرات ، ثلاثة منها في آيتين متتاليتين ، بخصوص كفالته مريم ، ودعائه بطلب الولد ، قال تعالى ﴿فَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكَ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنْ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ * هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ٢١﴾ .

ووردت قصة زكريا في ثلاث سور من القرآن هي : سورة آل عمران ، سورة مريم ، سورة الأنبياء .

الثالث والعشرون : يحيى عليه السلام : هو يحيى بن زكريا بن أزن . ورد ذكره ست مرات في القرآن ، وفي سورة آل عمران ، الإنعام ، مريم ، الأنبياء .

وقد ولد باجتهاد أبيه النبي زكريا بالدعاء ، وانتفاعه من شواهد الإعجاز عند مريم عليها السلام بعد أن تقدم به العمر ، ويأس من الولد ، قال تعالى ﴿يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا ٣﴾ . وفيه إكرام ليحيى ، ودعوة للناس لإتباعه في سبل الصلاح ، وعدم التعدي عليه ، وقد نال النبوة في سن مبكرة .

وورد ذكره في أحاديث متعددة في السنة النبوية ، وورد (عن ابن عباس قال : كنا في حلقة في مسجد النبي صلى الله عليه وآله وسلم نتذاكر فضائل الأنبياء ، فذكرنا نوحاً وطول عبادته ، وذكرنا إبراهيم وموسى وعيسى .

(١) الثعلبي / الكشف والبيان ٢٥٦/٥ .

(٢) سورة آل عمران ٣٧-٣٨ .

(٣) سورة مريم ٧ .

فخرج علينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال : ما تذاكرون بينكم ، فذكرنا له ، فقال : أما إنه لا ينبغي أن يكون أحد خيراً من يحيى بن زكريا أما سمعتم الله كيف وصفه في القرآن ﴿يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ﴾^(١) إلى قوله ﴿وَكَانَ تَقِيًّا﴾^(٢) لم يعمل سيئة قط ولم يهمل بها^(٣).

وفي المرسل (عن يحيى بن جعدة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : لا ينبغي لأحد أن يقول : أنا خير من يحيى بن زكريا ، ما هم بخطيئة ولا حاكت في صدره امرأة)^(٤).

وأبو يحيى أعلاه هو جعدة بن هبيرة المخزومي ، ابن أخت الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام ، وابن عمه الحسن والحسين عليهما السلام ، وأمه أم هانئ بنت أبي طالب ، عينه الإمام علي عليه السلام والياً على خراسان.

واختلف في صحبته للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، قال ابن أبي الحديد بأنه من الصحابة ، إذ أدرك النبي صلى الله عليه وآله وسلم يوم فتح مكة حيث فر أبوه هبيرة يومئذ إلى نجران ، ومات فيها كافراً ، والمشهور أنه تابعي.

وكان يحيى أول من صدق برسالة عيسى ، ولما قال عيسى عليه السلام وهو المهد ﴿إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ﴾^(٥) ، وورد عن ابن عباس (فلما أن قالها ، ابتدأ يحيى وهو ابن ثلاث سنين ، فكان أول من صدق به فقال : إني أشهد أنك عبد الله ورسوله ، لتصديق قول الله ﴿مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ﴾^(٦))^(١).

(١) سورة مريم ١٢.

(٢) سورة مريم ١٣.

(٣) الدر المنثور ٤٤٤/٦.

(٤) الدر المنثور ٤٤٤/٦.

(٥) سورة مريم ٣٠.

(٦) سورة آل عمران ٣٩.

وقد خاطب الله عز وجل يحيى في القرآن واثنى عليه ، لبيان عظيم منزلته وليقتدى به ، قال تعالى ﴿يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا * وَحَنَانًا مِن لَّدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا * وَبَرًّا بِوَالَدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا * وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾ (٢).

والمراد من الكتاب في الآية أعلاه التوراة ، لتجديد العمل بأحكام الشريعة واصلاح يحيى لمقام النبوة ، إذ قام بها يحيى من صباه ، ليتجلى قانون الجمع بين العلم والعمل .

و(عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال الغلمان ليحيى بن زكريا : اذهب بنا نلعب ، فقال يحيى : ما للعب خلقنا ، اذهبوا نصلي ، فهو قول الله ﴿وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾ (٣).

ومن الإعجاز في ترجمة السنة النبوية لآيات القرآن قانون انتفاع المسلمين من قصص الأنبياء ووراثتهم لحسن سماتهم .
لييان فضل القرآن ، وترغيب المسلمين بتعليم أبنائهم القرآن ، وحفظهم لآياته .

وورد بخصوص يحيى (عن ابن عباس : عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في قوله ﴿وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾ (٤) قال : أعطي الفهم والعبادة وهو ابن سبع سنين) (٥).

(١) الدر المنثور ٤٥١/٦ .

(٢) سورة مريم ١٢-١٥ .

(٣) الدر المنثور ٤٤١/٦ .

(٤) سورة مريم ١٢ .

(٥) الدر المنثور ٤٤١/٦ .

معاني (حضوراً)

اختلف في وصف يحيى بقوله تعالى ﴿حَصُورًا﴾ على وجوه :

الأول : لا يأتي النساء ، وهو الوارد (عن ابن عباس وابن مسعود والحسن وقتادة وهو المروي عن أبي جعفر عليه السلام)^(١).

الثاني : (عن أبي هريرة : أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : كل ابن آدم يلقي الله بذنب قد أذنبه يعذبه عليه إن شاء أو يرحمه إلا يحيى بن زكريا ، فإنه كان ﴿سَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ﴾)^(٢) ثم أهوى النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى قذاة من الأرض فأخذها وقال : كان ذكره مثل هذه القذاة)^(٣).

والنسبة بين الوجه الأول والثاني أعلاه عموم وخصوص مطلق ، مقدم اتيان النساء أعم ويشمل الإختيار .

الثالث : انه يقدر على اتيان النساء وقيل هذا الوصف نقص لا يليق بمقام الأنبياء ولكن حبس نفسه عنها للإنقطاع لذكر الله عز وجل والصلاة والجهاد في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

الرابع : حبس النفس عن الشهوات أي أنه وصف اختياري .

الخامس : الحصور الذي لا ينزل الماء .

السادس : الحصور العنين ، وهذا بعيد ، لأنه عيب يتنزه مقام النبوة

عنه.

(١) البحار ١٧٠/١٤ .

(٢) سورة آل عمران ٣٩ .

(٣) الدر المنثور ٣١٩/٢ .

السابع : (حضوراً) بالعصمة من الذنوب والفواحش ، وقد يستفاد من قوله تعالى في دعاء زكريا ﴿قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾^(١) ، وجود النسل والأحفاد عند زكريا ، وهو يحتمل وجهين :

الأول : الأولاد والعقب من يحيى .

الثاني : العقب من أولاد لزكريا غير يحيى ، وإن ذكر القرآن خصوص ولادة يحيى ، وإن كان لفظ (الذرية) يطلق على المنفرد والجمع ، والذكر والأنثى ، وفي إبراهيم عليه السلام ﴿وَبَشَرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ﴾^(٢) ، ولد لإبراهيم إسماعيل وإسحاق ، وأولاد آخرون من زوجاته ، والقرآن حمال أوجه ، ولا مانع من تعدد معاني (حضوراً).

استقراء المسائل من قصة يحيى

من المسائل المستقرأة من قصة النبي يحيى عليه السلام أمور :

الأول : رحمة الله عز وجل بالعباد .

الثاني : الرزق الكريم بالأولاد بالدعاء والمسألة .

الثالث : الإجتهد في طاعة الله ، ومنها الصلاة والصيام وتلاوة آيات القرآن ، وما فيها من الدعاء وسؤال الحاجات الدنيوية والأخروية من الله عز وجل ، والإنتفاع من نهج الأنبياء وهو الذي جاءت به آية البحث ومضامين الدعاء فيها ﴿رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾^(٣) .

(١) سورة آل عمران ٣٨ .

(٢) سورة الذاريات ٢٨ .

(٣) سورة آل عمران ١٩٤ .

الرابع : سؤال المعجزة بالدعاء ، فلا تستعصي على الله مسألة ، وفي التنزيل ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾^(١).

الخامس : قانون تعدد مسائل الدعاء في الموضوع المتحد ، إذ سأل زكريا الله من جهات :

الأولى : أن يرزق الله عز وجل ولداً من فضله تعالى .

الثانية : تقييد سؤال الولد بأنه ذكر .

الثالثة : كون الولد ولياً لزكريا يقيه أذى قومه ، واستحواذهم على تركته ومقامه .

(وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : يرحم الله أخي زكريا ، ما كان عليه من ورثة ، ويرحم الله لوطاً ، إن كان ليأوي إلى ركن شديد)^(٢). وقد لقن الله عز وجل المسلمين الدعاء العام بهذا الخصوص ﴿وَجْعَلْنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا﴾^(٣).

الرابعة : ولد يرث النبوة ، رجاء بقاء النبوة في آل يعقوب .

الخامسة : ولد يرضي عمله الله عز وجل .

الرابع والعشرون : عيسى عليه السلام : لقد جعل الله عز وجل الدنيا دار المعجزات ، وتشمل خلق آدم وحواء في الجنة ومن غير أب أو أم ثم ولادة عيسى في الأرض من غير أب في آية وامتحان للناس بالتصديق بهذه المعجزة والولادة ورسالة عيسى .

ومن إعجاز القرآن ورود ﴿إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ﴾ ثلاث مرات ، واحدة بأمر من الله عز وجل إلى النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم باخبار الناس جميعاً أنه رسول الله إليهم ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا

(١) سورة يس ٨٢.

(٢) الدر المنثور ٤٣٧/٦ .

(٣) سورة النساء ٧٥.

الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبَعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١﴾.

والثانية في موسى عليه السلام في خطابه إلى بني إسرائيل عندما آذوه ، وجاءت الآية التالية لها في عيسى ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿٢﴾﴾ ، مع تضمنها البشارة برسالة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

كما ورد ﴿إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ﴾ مرتين خطاباً من موسى إلى فرعون لإقامة الحجة عليه ، ودعوة له ولقومه للإيمان وإبطال لإدعاء فرعون الربوبية. وانفرد عيسى عليه السلام بالكلام في المهد ، وإخباره بأنه نبي الله بكتاب نازل من عند الله ، كما ورد في التنزيل ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا * قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣﴾﴾. لقد نطق عيسى بحجته يوم ولادته .

أسماء عيسى (ع) في القرآن

لقد أكرم الله عز وجل عيسى عليه السلام بتعدد أسمائه وألقابه في القرآن :

الأول : عيسى : ورد هذا الاسم في القرآن خمساً وعشرين مرة ، وهو أكثر أسماء عيسى في القرآن عدداً .

الثاني : المسيح : ورد في القرآن إحدى عشرة مرة .

(١) سورة الأعراف ١٥٨.

(٢) سورة الصف ٦.

(٣) سورة مريم ٢٩-٣٠.

الثالث : ابن مريم : وفي هذا الاسم ثناء من الله عليه وعلى أمه ، لحفظها فرجها ، وولادته من غير أب ، ودعوة لبني إسرائيل والناس لإكرامها ، قال تعالى ﴿ مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ ۖ ﴾^(١).

ولم يرد لفظ (صديقة) في القرآن إلا بخصوص مريم ، كما ورد لفظ صديق في إدريس ، وإبراهيم ، ويوسف عليهم السلام .
وقد أكرم الله عز وجل المسلمين ، ورزقهم مرتبة الصديقين لإيمانهم بالله ورسله ، قال تعالى ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ ۖ ﴾^(٢).

لتكون آية البحث شاهداً على نيل المسلمين هذه المرتبة لإخبارها بالدلالة التضمنية عن إيمان المسلمين ببعثة الرسل بقوله تعالى ﴿ رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ ۖ ﴾^(٣).

الرابع : رسول الله : وعيسى نبي رسول ويجمعها قوله تعالى ﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ ۖ ﴾^(٤).

الخامس : عبد الله : كما في التنزيل حكاية عنه ﴿ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ۖ ﴾^(٥).

(١) سورة المائدة ٧٥.

(٢) سورة الحديد ١٩.

(٣) سورة آل عمران ١٩٤.

(٤) سورة النساء ١٥٧.

(٥) سورة مريم ٣٠.

السادس : كلمة الله : قال تعالى ﴿ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ ﴾^(١).

ومن بركة عيسى عليه السلام ﴿ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ ﴾^(٢) ، تعليمه الخير والصلاح ، ودعوته بني إسرائيل لعبادة الله عز وجل وحده ، وبشارته بالنبي محمد ، قال تعالى ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴾^(٣) .

فصارت الكلمة جسداً بالقائها إلى مريم .

ولعيسى أسماء أخرى في العهد القديم ، والعهد الجديد منها (يسوع) أو (يشوع) ومعناها المخلص ، أي الذي يخلص شعبه من خطاياهم .
ولعل هذا اللقب ينصرف إلى أسباب الهداية للحق والشفاعة يوم القيامة .

بشارة الإنجيل بالنبي محمد (ص)

لقد أخبرت آيات القرآن بأن عيسى رسول من عند الله ، فقد جاء بشريعة مبتدأة ، وهو من الرسل الخمسة أولي العزم ، وهم :

الأول : نوح عليه السلام .

الثاني : إبراهيم عليه السلام .

الثالث : موسى عليه السلام .

الرابع : عيسى عليه السلام .

الخامس : محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

(١) سورة النساء ١٧١.

(٢) سورة مريم ٣١.

(٣) سورة الصف ٦.

لقد أعلن عيسى عليه السلام إيمانه بالتوراة ، ونزل عليه الإنجيل .
وقد ذكر الإنجيل في القرآن اثنتي عشرة مرة ، ومثلما بشر عيسى عليه السلام برسالة النبي محمد فان الإنجيل بشر بها وبالمسلمين ، واتصافهم بالتقوى ، وتعاهدهم للصلاة وأركانها ومنها الركوع والسجود .
وأُذِرَ الإنجيل من محاربة نبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم والإسلام ، قال تعالى ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَرَزَعٍ أُخْرِجَ شَطَآءُ فَازَرُهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوْقِهِ يُعْجِبُ الزَّرَّاعَ لِيَغِيْظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾^(١).

وهل بشارة عيسى عليه السلام والإنجيل برسالة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم من مصاديق آية البحث ﴿رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾^(٢) ، الجواب نعم ، بالإضافة إلى البشارات والوعود الكريمة التي جاء بها عيسى عليه السلام .

خطاب الأنبياء إلى قومهم

لقد ذكر القرآن خطابات الأنبياء إلى قومهم ، وفي موسى عليه السلام ﴿وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ﴾^(٣).
أما عيسى فليس له قوم لأن القوم بالنسب الأبناء من الأب ، ومن معجزات عيسى عليه السلام أنه ليس له أب ، لذا خاطبهم ﴿يَا بَنِي

(١) سورة الفتح ٢٩.

(٢) سورة آل عمران ١٩٤.

(٣) سورة الأعراف ١٤٢.

إِسْرَآئِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُّصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١﴾.

وعند اليهود أن المسيح المنتظر ملك من نسل داوود ، ويحكم بالتوراة الشريعة المكنوية ، وبالتلحود وفيه تعليم ديانة اليهودية ، وعند بعثة عيسى عليه السلام أخبر أنه المسيح المخلص الذي ينتظرون ، فكذبه كثير منهم . وآمن الحواريون بعيسى عليه السلام ، وكانوا يسيحون منه في الأرض .

طلب الحاكم لعيسى (ع) لصلبه

في الليلة التي طلب الحاكم عيسى لصلبه ، فرق عيسى عليه السلام الحواريين في الآفاق ، وبقي معه واحد منهم ، وهو الذي ألقى عليه شبهه . ورفع عيسى عليه السلام (وروي أن الشبه ألقى على اليهودي الذي دلّ عليه ، فُصِّلَ) (٢).

واختلف في عدد الحواريين ، وقيل ثلاثة عشر ، وقول أنهم تسعة عشر رجلاً .

والنسبة بين القتل والصلب عموم وخصوص مطلق ، فقد يصلب الإنسان ولكنه لا يموت ولا يقتل ، ويأتيه العفو وأسباب فك وثاقه من خشبة الصלב ، قال تعالى ﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ (٣).

والصلب ربط الجسم على خشبة منتصبة أو دقه عليه بمسامير . لقد وشوا بعيسى عليه السلام عند الوالي الروماني (بيلاطس النبطي) الذي لم ير سبياً لقتله ، كما أرسلت إليه امرأته : إياك ودم ذاك الصديق .

(١) سورة الصف ٦ .

(٢) تفسير الثعالبي ٣٧٦/١ .

(٣) سورة المائدة ٣٣ .

ولكنهم ادعوا أنه يهيج الناس للإقتضاض على الحكومة ، وأنه مشعوذ ، ومع أن بيلاطس وثني فانه تبرء من دم عيسى عليه السلام ، وصاروا يصيحون : اصلبه اصلبه .

ومن معجزات عيسى وجود امة عظيمة من النصارى تتبعه ، وهل هو من الشواهد على صدق رسالته ، الجواب نعم ، لأنه توفيق وهداية عامة من عند الله عز وجل .

عيسى (ع) في السنة النبوية

وردت أحاديث كثيرة في السنة النبوية عن عيسى عليه السلام تتضمن إكرامه ، وشهادة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم له بالنبوة والرسالة ، مع بيان عدد من معجزاته ، لتكون عوناً للمسلمين في الإقرار برسالته وعصمته وأمه ، قال تعالى ﴿وَمَرْيَمُ ابْنَتْ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا﴾^(١).

أي احصنت فرجها مطلقاً من الحلال والحرام .

وعن عبد الله بن عباس (قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أفضل نساء أهل الجنة خديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد صلى الله عليه وآله وسلم ومريم بنت عمران وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون آسية بنت مزاحم).

أخبرنا قتبية بن سعيد قال أنا غندر قال أنا شعبة عن عمرو بن مرة عن مرة الهمداني عن أبي موسى عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا مريم بنت عمران وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون^(٢).

ومنها (قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : قال أخي عيسى : معاشر الحوارين احذروا الدنيا لا تسحركم ، لهي والله أشد سحراً من

(١) سورة الملك ١٢.

(٢) النسائي / السنن الكبرى ٩٣/٥ .

هاروت وماروت ، واعلموا أن الدنيا مدبرة والآخرة مقبلة ، وإن لكل واحدة منهما بنين فكونوا من أبناء الآخرة دون بني الدنيا ، فإن اليوم عمل ولا حساب ، وغداً الحساب ولا عمل^(١).

و(عن ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : رأيت موسى وعيسى وإبراهيم ، فأما عيسى فأحمر جعد عريض الصدر، وأما موسى فأدم جسيم سبط، كأنه من رجال الزط)^(٢).

وعن أبي سعيد الخدري (قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة إلا ابني الخالة عيسى بن مريم ويحيى بن زكريا)^(٣).

وجاء وفد نصارى نجران إلى النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم عام الوفود وهو التاسع للهجرة فنزلت الآيات الأولى من سورة آل عمران إلى رأس الثمانين منها .

ولقد رزق الله عز وجل عيسى إحياء الموتى وإبراء الأكمه ، وفي عيسى قال تعالى ﴿ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَآئِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطَّيْرِ فَتَخُفُّ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُخَيِّبُ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَكُلُونُ وَمَا تَدْخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنْ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴾^(٤).

الخامس والعشرون : الرسول محمد صلى الله عليه وآله وسلم : وهو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب.

(١) الدر المنثور ١/١٨٦.

(٢) تفسير ابن كثير ١/١٨٦ .

(٣) النسائي / السنن الكبرى ٥/٥٠ .

(٤) سورة آل عمران ٤٩.

و(عن أنس قال : خطب النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال : أنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار .

وما افترق الناس فرقتين إلا جعلني الله في خيرهما ، فأخرجت من بين أبوي فلم يصبني شيء من عهد الجاهلية ، وأخرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح من لدن آدم ، حتى انتهيت إلى أبي وأمي ، فأنا خيركم نفساً وخيركم أبا^(١)).

والنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم معجزة الإنسانية في تأريخها الطويل وليس من حصر لمعجزاته العقلية والحسية المتجددة في كل يوم بهداية أمته للإيمان بالله والملائكة والرسول واليوم الآخر ، واتباعهم نهجه في إقامة الصلاة في بلدانهم خمس مرات في اليوم .

ولا تصح النيابة في الصلاة والصيام والحج الواجب عن الحي ، فيقف الملك والعبد في صف الصلاة ، ويصومان شهر رمضان بالتعاون على الأداء ، ويشترك المسلمون والمسلمات بتلقي الخطاب والأمر ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾^(٢).

وقد لاقى النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في تبليغه الرسالة أشد الأذى من قومه ، وقابلهم بالدعاء لهم بالهداية.

و(عن ابن عباس قال : سئل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أي آية أنزلت من السماء أشد عليك .

فقال : كنت بمنى أيام موسم واجتمع مشركوا العرب وافناء الناس في الموسم ، فنزل عليّ جبريل فقال ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ

(١) الدر المنثور ١٩٧/٥ .

(٢) سورة البقرة ١٨٣ .

تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ^(١)، قال : فقامت عند العقبة ، فناديت : يا أيها الناس من ينصرني على أن أبلغ رسالة ربي ولكم الجنة ، أيها الناس قولوا لا إله إلا الله ، وأنا رسول الله إليكم ، وتنجحوا ولكم الجنة .

قال : فما بقي رجل ولا امرأة ولا صبي إلا يرمون عليّ بالتراب والحجارة ، ويبصقون في وجهي ويقولون : كذاب صابئ ، فعرض عليّ عارض.

فقال : يا محمد ، إن كنت رسول الله فقد آن لك أن تدعو عليهم كما دعا نوح على قومه بالهلاك .

فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون ، وانصرني عليهم أن يجيئوني إلى طاعتك^(٢).

ثم جهزت قريش الجيوش لقتال النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في معركة بدر ثم أحد ، ثم الخندق ، وقد انتصر عليهم بالمعجزة والمدد من الملائكة ، قال تعالى ﴿بَلَىٰ إِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾^(٣).

و(عن ابن عباس : إن يهود أهل المدينة قالوا لما هزم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المشركين يوم بدر : هذا والله النبي الأمي الذي بشرنا به موسى ونجده في كتابنا بنعته وصفته ، وأنه لا ترد له راية ، وأرادوا تصديقه وأتباعه ، ثم قال بعضهم لبعض : لا تعجلوا حتى إلى وقفة أخرى به.

(١) سورة المائدة ٦٧.

(٢) الدر المنثور ٤١٨/٣ .

(٣) سورة آل عمران ١٢٥.

فلَمَّا كَانَ يَوْمَ أَحَدِ وَنَكَبَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ شَكُّوا وَقَالُوا : لَا وَاللَّهِ مَا هُوَ بِهِ فَغَلَبَ عَلَيْهِمُ الشَّقَاءُ وَلَمْ يَسْلَمُوا^(١).

قانون شهادة آية ﴿رَبَّنَا وَآتِنَا﴾ عَلَى الْإِيمَانِ

تدل آية البحث على إيمان كل مسلم ومسلمة في أجيالهم المتعاقبة ، من وجوه :

الأول : الإقرار بربوبية الله المطلقة (ربنا) في أول الآية ، ودلالته على عصمتهم من الشرك .

الثاني : آية البحث حصن من الضلالة والنفاق ، وباعث للخشية من الله عز وجل في النفوس .

ومن أسرار مجيئ واو العطف والإستئناف في ﴿رَبَّنَا وَآتِنَا﴾ أن النداء ربنا موضوع وحكم مستقل لذاته تستقرأ منه الدروس والمواعظ .

ولبيان أن نداء (ربنا) في آية البحث لا يختص بمضامين الدعاء فيها ، فهو أعم وشهادة يومية متعددة على إيمان المسلمين ومقدمة للسؤال في آية البحث.

الثالث : من إعجاز هذه الآية قانون تقديم الثناء على الله ، والإقرار بربوبيته على المسألة والحاجة .

ليصدر الدعاء من منازل العبودية لله عز وجل .

قانون القرآن نور في الدنيا والآخرة

لم تنحصر البشارة بالنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بعيسى عليه السلام بل جاءت على لسان موسى عليه السلام ، وفي التوراة والإنجيل ، قال تعالى ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ يُجِزِلْ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ

وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ ۙ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١﴾.

ترى ما هو النور الذي أنزله الله عز وجل ، الجواب هو القرآن ومطلق الوحي ، وهذا الإطلاق بلحاظ المعية في ﴿أُنْزِلَ مَعَهُ﴾ ليكون من أسماء القرآن النور ، ولييان وجوه :

الأول : اتصال نور القرآن في كل زمان .

الثاني : قانون نفاذ نور القرآن إلى شغاف القلوب .

الثالث : قانون القرآن نور لأنه كلام الله .

الرابع : قانون نور القرآن من رشحات نور الله ، قال تعالى ﴿اللَّهُ نُورُ

السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نَوْرِهِ كَمِثْكَاهٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢﴾.

الخامس : قانون حاجة الناس لنور وضياء القرآن في الدنيا والآخرة .

السادس : قانون اقتباس المسلمين من نور القرآن .

السابع : قانون أحكام الحلال والحرام في القرآن نور ساطع .

ومن مصاديق الدعاء في آية البحث سؤال الفوز بالنور يوم القيامة ، قال

تعالى ﴿يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتِمِّمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣﴾.

(١) سورة الأعراف ١٥٧.

(٢) سورة النور ٣٥.

(٣) سورة التحريم ٨.

ليان قانون نور الآخرة نجاة من الخزي الذي ذكرته آية البحث للتضاد بين النور والخزي .

وقد ورد لفظ ﴿رَبَّنَا آتِنَا﴾ من غير واو ثلاث مرات في القرآن منها في آيتين متتاليتين ﴿فَإِنَّ النَّاسَ مِنْ يُقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَقٍ * وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾^(١).

واختصت هذه الآية بمجئ حرف الواو بينهما ، ولا بد له من دلالات.

قانون بعث الرسل رحمة

الرسل جمع رسول مأخوذ من الفعل أرسل .
والرسول في الإصطلاح إنسان اختاره الله تعالى من بين الناس ليوحي إليه ويكون واسطة بينه وبين البشر ، يبلغهم أحكام الدين .
فمن وجوه الإبتلاء والإمتحان في الدنيا أن الرسل من جنس البشر ولكنهم جاءوا بالبينات والمعجزات التي تدل على صدق بعثتهم من الله عز وجل .

وليس من حصر للنعم التي صاحبت رسالة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، وفي حال السلم والدفاع ضد جيوش المشركين ومنها نزول النعاس أمنة على المؤمنين يوم بدر وأحد وبصيغة إضمار الفاعل بقوله تعالى ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ﴾ وفيه نكتة من جهات:

الأولى : عطف الآية أعلاه على خاتمة الآية السابقة التي تتضمن ذكر الله عز وجل باسم الجلالة وعلى نحو النص الصريح بقوله تعالى ﴿وَاللَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾^(٢)

(١) سورة البقرة ٢٠٠-٢٠١.

(٢) سورة آل عمران ١٥٣.

الثانية : لا تنزل النعم أو النقم من إلا الله ، ويدل إقتران الأمانة بالنعاس على أن النعاس النازل على الصحابة يوم بدر وأحد نعمة وخير محض .

الثالثة : ومن إكرام الله عز وجل للناس أنه جعل الرسل منهم ، نشأوا بين ظهرانيهم ، ثم رزقهم الله عز وجل المعجزة وصاروا يدعون إلى الله بكرأ وعشياً .

طوائف من الناس الرسل كما ورد في التنزيل ﴿إِن أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأَتُونَا بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾^(١) ، أجابهم الرسل بالتصديق بأنهم بشر مثلهم ولكن الله عز وجل اصطفاهم للرسالة ، أما المعجزة والبرهان المتعدد على صدق دعواهم فهو أمر بيد الله عز وجل كما ورد في التنزيل ﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾^(٢) .

والنسبة بين الأنبياء والرسل عموم وخصوص مطلق ، فكل رسول هو نبي وليس العكس .

إذ ورد (بسند ضعيف عن الحكم بن عمير وكان من أصحاب النبي قال : قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : إن الأمانة والوفاء نزلا على ابن آدم مع الأنبياء ، فأرسلوا به فمنهم رسول الله ، ومنهم نبي ، ومنهم نبي رسول الله ، ونزل القرآن وهو كلام الله ، ونزلت العربية والعجمية ، فعلموا أمر القرآن ، وعلموا أمر السنن بألستهم ، ولن يدع الله شيئاً من أمره مما يأتون ، ومما يجتنبون ، وهي الحجج عليهم إلا بينت لهم . فليس أهل لسان إلا وهم يعرفون الحسن من القبيح .

(١) سورة إبراهيم ١٠ .

(٢) سورة إبراهيم ١١ .

ثم الأمانة أول شيء يرفع ، ويبقى أثرها في جذور قلوب الناس ، ثم يرفع الوفاء والعهد والذمم ، وتبقى الكتب لعالم يعلمها ، وجاهل يعرفها وينكرها ، ولا يحملها حتى وصل إلي وإلى أمتي ، فلا يهلك على الله إلا هالك ، ولا يغفله إلا تارك.

والحذر أيها الناس ، وإياكم والوسواس الخناس ، فإنما ييلوكم أيكم أحسن عملاً^(١).

وموضوع آيات القرآن عام ، فقد يأتي لفظ الرسل ، ويراد منه الأنبياء والرسل ، ومنه آية البحث وتقديرها : ربنا وآتينا ما وعدتنا على أنبيائك ورسلك.

فليس من نبي إلا وقد جاء بالوعد من عند الله عز وجل بلبث المؤمنين الدائم في النعيم الآخروي ، نعم جاء الرسل بالشرائع المبتدأة ، وكل نبي يتبع رسول زمانه ، إلى أن ختمت النبوة بالنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم فهو نبي رسول .

ومع هذا لم يقل المسلمون ربنا وآتينا ما وعدتنا على رسولك ، إنما ذكروا وعود الرسل مجتمعين ومتفرقين .

ليان قانون بعث الرسل رحمة لأهل زمانهم والأزمة اللاحقة ، ومنهم المسلمون ، فلم يكن في زمانهم وإلى يوم القيامة إلا رسول واحد وهو الرسول محمد صلى الله عليه وآله وسلم ولكنهم سألوا الله عز وجل بالوعد التي أوحى بها للرسول من أيام آدم عليه السلام والذي كان نبياً ورسولاً في آن واحد .

و(وقال أبو ذر : قلت : يا رسول الله كم الأنبياء ، قال : مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً ، قال : قلت : يا رسول الله كم المرسلون منهم . قال : ثلاثمائة وثلاثة عشر وبقيتهم أنبياء ، قلت : أكان آدم نبياً .

قال : نعم كلمه الله سبحانه وخلقه بيده ، يا أبا ذر أربعة من الأنبياء
عرب : هود وصالح وشعيب ونبيك .
قلت : يا رسول الله كم أنزل الله من كتاب ، قال : مائة وأربع كتب ،
منها على آدم عشر صحف ، وعلى شيث خمسين صحيفة ، وعلى
أخنوخ ، وهو إدريس ثلاثين صحيفة وهو أول من خط بالقلم .
وعلى إبراهيم عشر صحائف ، والتوراة والإنجيل والزبور والفرقان^(١) .
ليبان قانون مصاحبة رحمة الله بالرسالة للناس من حين هبوط آدم إلى
الأرض ، وكل رسول يبشر بالوعد من الله للمؤمنين بخير الدنيا والآخرة ،
لذا نزل القرآن في الثناء على المؤمنين الذين يدعون بالرزق الأحسن والأعم
والسلامة في النشاطين ، بقوله تعالى ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً
وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾^(٢) .

قوانين قرآنية في الأخلاق الحسنة

لقد اثنى الله عز وجل على النبي صلى الله عليه وآله وسلم بقوله تعالى
﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾^(٣) ، ويمكن تقدير الآية على وجوه :
الأول : وإنك لعلى خلق عظيم بالوحي .
الثاني : وإنك والرسول السابقين على خلق عظيم .
الثالث : وإنك لعلى خلق عظيم ليقتدي بك المؤمنون .
ليبان بلوغ الأنبياء مراتب الكمال وفيه دعوة للناس لتهديب السلوك ،
ومن حسن خلق الأنبياء التواضع واللين والكرم واجتناب الغضب
والعادات المذمومة ، قال تعالى ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظًا

(١) الثعلبي / الكشف والبيان ٨٠/١٤ .

(٢) سورة البقرة ٢٠١ .

(٣) سورة القلم ٤ .

الْقَلْبَ لَا نَفْضُوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١﴾ (٢).

وتدل نسبة رحمة النبي بالمسلمين إلى الله عز وجل على حضور الوحي ، وتجليه في قول وفعل النبي لبيان مسائل :

الأولى : قانون اتصاف الأنبياء باللين والسماحة .

الثانية : قانون تنزه الأنبياء عن غلظة القلب .

الثالثة : قانون استغفار الأنبياء للذين آمنوا .

ليكون هذا الإستغفار نوع طريق للفوز بما وعدهم الله عز وجل من الثواب يوم القيامة .

الرابعة : قانون مشاوراة الأنبياء لأصحابهم ، مع أن القرار في الخاتمة بيد النبي لأنه من الوحي .

الخامسة : قانون توكل الأنبياء على الله عز وجل في أمورهم كلها .

السادسة : قانون حب الله للذين يتوكلون عليه .

والنسبة بين المتوكلين على الله وبين الأنبياء عموم وخصوص مطلق ، فالمؤمنون والمسلمون متوكلون على الله ، بتفويض الأمور له سبحانه ، والاستعانة به في جميع الأمور ورجاء جلب المصالح ودفع المضار ، مع السعي والعمل والجد في مرضاة الله ، ونحو تحقيق الغايات الحميدة .

وهل تلاوة آية البحث من الجدل في مرضاة الله ، الجواب نعم ، فهي نوع عبادة وقصد القربة إلى الله عز وجل وباعث على العمل الجاد في سبل الفلاح ، وطرق بلوغ الإقامة الدائمة في الجنة ، قال

(١) سورة آل عمران ١٥٩ .

(٢) أنظر الجزء الخامس والأربعين بعد المائة من هذا السفر الذي اختص بتفسير هذه الآية الكريمة .

تعالى ﴿أَفَمَنْ أَتَّبَعَ رِضْوَانُ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبُشِّرَ الْمَصِيرُ﴾^(١).

قوله تعالى ﴿وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾

تحتمل الآية وجوهاً :

الأول : إرادة القضية الشخصية ، فكل مسلم يسأل الله عز وجل نجاته من خزي يوم القيامة .

الثاني : العصمة من الخزي في فضح الجانب المظلم من الأعمال ، إذ تتضمن هذه الآيات سؤال الله عز وجل العفو والستر ومحو الذنوب والسيئات فلا تطلع عليها الملائكة وعامة الخلائق .

وعن (عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : يصاح برجل من أمتي يوم القيامة على رؤوس الخلائق فينشر عليه تسعة وتسعون سجلاً كل سجل مد البصر .

ثم يقول الله تبارك وتعالى هل تنكر من هذا شيئاً فيقول لا يا رب فيقول أظلمتك كتبتي الحافظون .

فيقول لا ثم يقول ألك عذر ألك حسنة فيهاب الرجل فيقول لا .
فيقول بلى إن لك عندنا حسنات وإن لا ظلم عليك اليوم .
فتخرج له بطاقة فيها أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله .
فيقول يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات فيقول إنك لا تظلم فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة^(٢)).

(١) سورة آل عمران ١٦٢ .

(٢) تفسير القرطبي ١٤٧/٧ .

وهل يتعارض مع هذا الحديث ما ورد عن (ثوبان عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : لأَعْلَمَنَّ أَقْوَامًا مِنْ أُمَّتِي يَأْتُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِحَسَنَاتٍ أَمْثَالِ جِبَالِ تِهَامَةَ بِيضًا فَيَجْعَلُهَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ هَبَاءً مَنثورًا .

قال ثوبان : يَا رَسُولَ اللَّهِ صَفْهُمْ لَنَا جَلْهُمْ لَنَا أَنْ لَا نَكُونَ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَا نَعْلَمُ . قَالَ : أَمَّا إِنَّهُمْ إِخْوَانُكُمْ وَمَنْ جِلْدَتْكُمْ وَيَأْخُذُونَ مِنَ اللَّيْلِ كَمَا تَأْخُذُونَ وَلَكِنَّهُمْ أَقْوَامٌ إِذَا خَلَوْا بِمَحَارِمِ اللَّهِ انْتَهَكُوهَا^(١) .

الجواب ليس من تعارض لوجوه منها :

الأول : موضوعية فضل الله عز وجل بعد الحساب والميزان .

الثاني : قانون الثواب العظيم على صدق الإيمان ، قال تعالى ﴿يَوْمَ تُبْلَى

السَّرَائِرُ﴾^(٢) ، أي تنكشف وتبدد خفايا النفس والنوايا والرغائب يوم القيامة ، ويصبح السر علانية ، ولم يرد لفظ (تبلى) في القرآن إلا في الآية أعلاه .

الثالث : سعة رحمة الله عز وجل يوم القيامة ، ومنها في الميزان

ورجحان الحسنة القليلة على السيئة ، قال تعالى ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾^(٣) .

وعن (أبي هريرة : أن رسول الله صلى الله عليه وآله ولم قال : أتدرون من المفلس ، قالوا : المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع فقال : إن المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ويأتي قد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرح عليه ثم طرح في النار)^(٤) .

(١) سنن ابن ماجه ٤٥٠/١٢ .

(٢) سورة الطارق ٩ .

(٣) سورة الأنعام ١٦٠ .

(٤) تفسير القرطبي ٢٦٠/٤ .

الثالث : تقدير الآية (ولا تخزننا يوم القيامة بفضح ابائنا وإخواننا).

الرابع : ولا تخزننا برد دعائنا في هذه الآيات .

الخامس : ولا تخزننا بنقل حسناتنا إلى غيرنا ممن استئنا لهم .

من شرائط الإيمان الإقرار باليوم الآخر ، وأن الله عز وجل جامع الناس جميعاً في المحشر للحساب والجزاء .

وهل يدل قول المسلمين ﴿وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾^(١) ، على إقرارهم باليوم

الآخر والمعاد ، وهل هو من مصاديق قوله تعالى ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾^(٢) .

الجواب نعم ، إذ بين ويشهد القرآن للمسلمين إيمانهم ، ومن خصائص التسليم بيوم القيامة ووقوع الخزي فيه لشطر من الناس الإستعداد له ، والإمتناع عن فعل المعاصي التي تؤدي إلى هذا الخزي لبيان وجوه :
الأول : قانون الآية القرآنية تأديب .

الثاني : قانون الآية القرآنية تعليم ، وآية البحث من مصاديق قوله تعالى ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾^(٣) .

الثالث : قانون الآية القرآنية هداية ورشاد .

الرابع : قانون تلاوة القرآن تثبيت للإيمان في النفوس .

ومن معاني الخزي الفضيحة المخجلة ، وانكشاف ما فيه الصغار .

وعن جابر بن عبد الله الأنصاري (أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : العار والتخزية يبلغ من ابن آدم يوم القيامة في المقام بين يدي الله ما يتمنى العبد أن يؤمر به إلى النار)^(٤) .

(١) سورة آل عمران ١٩٤ .

(٢) سورة النحل ٨٩ .

(٣) سورة الجمعة ٢ .

ليبان شدة عذاب الخزي بين الخلائق لذا تفضل الله عز وجل على المسلمين وأنزل آية البحث لتكون تلاوة المسلم لها دعاءً لنجاته والمؤمنين من الخزي يوم القيامة.

وهل هذه التلاوة سبب للإذن له بالشفاعة أو قبول الشفاعة له فيكون مشفوعاً له ، المختار نعم.

ليبان قانون تلاوة المسلم للآية القرآنية نجاة وثواب له ولغيره ، وقانون سؤال المسلم النجاة من الخزي بصيغة الجمع ﴿وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ نوع طريق لستره ، ومقدمة لشفاعته لإخوانه المؤمنين ، قال تعالى ﴿يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا﴾^(١).

علم المناسبة (لا تخزنا)

لم يرد لفظ ﴿تُخْزِنَا﴾ ﴿وَلَا تُخْزِنَا﴾ في القرآن إلا في آية البحث ليبان سلامة المسلمين من الخزي يوم القيامة ، وهل الخزي يومئذ من الكلي المتواطئ الذي يكون على مرتبة واحدة ، أم هو من الكلي المشكك الذي يكون على مراتب متفاوتة شدة وضعفاً.

المختار هو الثاني مثلما هو الظلم على مراتب متفاوتة لقانون الخزي يوم القيامة عقوبة وعذاب .

نعم وردت مادة (الخزي) في آيات متعددة من القرآن ، ويدل قوله تعالى ﴿يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتِمِّمْ لَنَا نُورَنَا وَآغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(٢) ، ليبان تفسير

(١) الدر المنثور ١٩/٣ .

(٢) سورة طه ١٠٩ .

(٣) سورة التحريم ٨ .

القرآن بالقرآن إذ تدل الآية أعلاه على الوعد والعهد من عند الله عز وجل للمؤمنين بالأمن والنجاة من الخزي يوم الحشر .

وروي في معنى قوله تعالى ﴿يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ﴾^(١) ، أن محمداً صلى الله عليه وآله وسلم تضرع في أمر أمته فأوحى الله إليه : إن شئت جعلت حسابهم إليك ، فقال : يا رب أنت أرحم بهم فقال الله تعالى : إذا لا أخزيك فيهم ، فهذا معنى قوله ﴿يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ﴾^(٢) .

ولم يثبت هذا القول ولم يرفع في سنده . ولم يرد لفظ (يخزي) و(لا يخزي) في القرآن إلا في الآية أعلاه لبيان أن سلامة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم والمسلمين الذين عملوا ويعملون الصالحات من الخزي .

ويدل قوله تعالى ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مِنْ يُحَادِدِ اللَّهِ وَرَسُولَهُ فَأَنْ لَهُ نَارُ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ﴾^(٣) ، على ترتب الخزي على مخالفة وخصومة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، ويشمل الخزي يوم القيامة الذين كفروا بالله ورسوله واليوم الآخر من الأولين والآخرين ، قال تعالى ﴿قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾^(٤) لقانون نزول الهوان والذل والفضيحة يوم القيامة بالكافرين ، ومنه شدة عذابهم .

وتبين الآية التي بعدها صفة الكافرين الذين ينزل بهم العذاب ، وهم الذين ماتوا على الكفر ، وامتنعوا عن اختيار التوبة لقوله تعالى ﴿الَّذِينَ

(١) سورة التحريم ٨ .

(٢) المحرر الوجيز ٦/٣٨١ .

(٣) سورة التوبة ٦٣ .

(٤) سورة النحل ٢٧ .

تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ فَأَلْقَوْا السَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ بَلَى إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ
بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١﴾.

و(عن ابن عباس قال ﴿الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ﴾^(٢) إلى قوله
﴿وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ قال : كانوا قوماً من المسلمين بمكة ، فخرجوا مع قومهم من
المشركين في قتال ، فقتلوا معهم ، فنزلت هذه الآية ﴿إِلَّا الْمُسْتَضْعِفِينَ مِنَ
الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ﴾^(٣) فعذر الله أهل العذر منهم ، وهلك من لا عذر
له قال ابن عباس : وكنت أنا وأمي ممن كان له عذر^(٤) .

وموضوع الآية أعم لذا نزلت بصيغة المضارع ﴿تَوَفَّاهُمْ﴾ لبيان أمور :

الأول : قانون هداية القرآن للناس إلى التوبة والإنابة .

الثاني : قانون إنذار القرآن للناس من الخزي يوم القيامة .

الثالث : قانون التخويف من قبض الملائكة الروح على الكفر .

الرابع : قانون الكفر ظلم للنفس .

وهل ينحصر موضوع الظلم في الآية بالقضية الشخصية ، ويكون
تقديره: الذي تتوفاه الملائكة ظالماً نفسه ، الجواب لا ، إذ يشمل ظلم الكافر
نفسه وغيره من ولده ودويرته وأعم منها خاصة مع شبكات التواصل
الاجتماعي عالمياً ، وسرعة نقل الأخبار والترجمة بين اللغات المختلفة ،
وتقدير الآية أيضاً : الذي تتوفاه الملائكة ظالماً لنفسه ولغيره .



(١) سورة النحل ٢٨ .

(٢) سورة النساء ٩٧ .

(٣) سورة النساء ٩٨ .

(٤) الدر المنثور ٢/٢١٥ .

قوله تعالى ﴿إِنَّكَ لَا تَخْلَفُ الْمِيعَادَ﴾

الميعاد مفعال من الوعد .

لم يرد هذا اللفظ وصيغة الخطاب في آية قرآنية أخرى مع ورود ذات المعنى في ثلاث آيات أخرى بصيغة الغائب منها ﴿لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِنْ فَوْقِهَا غُرَفٌ مُنِيَّةٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَعَدَ اللَّهُ لَا يَخْلِفُ اللَّهُ والقرآن يفسر بعضه بعضاً لذا تضمنت آية البحث سؤال المسلمين والمسلمات لوعد الله الذي تذكره الآية أعلاه ، والتي ذكرت أيضاً صفة التقوى بقوله ﴿الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ﴾ .

فهل تلاوة آية البحث وما فيها من الدعاء والتضرع والإيمان بالله ، والإقرار باليوم الآخر من مصاديق التقوى في الآية أعلاه ، الجواب نعم .
لذا نسبت الآية لتلقي المسلمين الوعد من عند الله بالمغفرة واللبث الدائم في النعيم ، فمع أنهم لم يسمعوا من نبي غير النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم إذ بعثه الله عز وجل على فترة من الرسل ، وبين عيسى عليه السلام وبينه نحو ستمائة سنة ، مع هذا فإن المسلمين ناجوا الله عز وجل بأن الرسل بشروهم بالوعود الكريمة في الآخرة .

عصمة آيات القرآن من التفسير الخاطئ

لم ير ولم يسمع المسلمون من الرسل إلا من النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ومع هذا شهدوا للرسل بتبليغ الأحكام والبشارات والإنذارات من عند الله عز وجل ، لأن القرآن أخبر عن هذا التبليغ ، والقرآن ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾^(١) .

(١) سورة الزمر ٢٠ .

(٢) سورة فصلت ٤٢ .

ولم يرد لفظ (لا يأتيه) في القرآن إلا في الآية أعلاه ، لبيان أمور من إعجاز القرآن :

الأول : قانون عصمة القرآن من الزيادة والنقصان .

الثاني : قانون سلامة القرآن من سوء التأويل .

الثالث : قانون منع آيات القرآن من تفسيرها خطأ وباطلاً .

فذاث القرآن أخبر عن نزولها من عند الله ، وتفصح وتكشف آيات القرآن التفسير الذي لا ينطبق على مضامينها القدسية ، وهو من إعجاز القرآن الغيري ، قال تعالى ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾^(١).

ولم يرد لفظ (اختلافاً) في القرآن إلا في الآية أعلاه وبصيغة التحدي الإعجازي للقرآن وفيه شاهد على أن العرب في حال كفرهم ورقي البلاغة والشعر والرجز عندهم عجزوا عن الإتيان بمثل سورة من القرآن ، فحتى إذا غابت البلاغة وضعفت مع تقادم الزمان وانشغال الناس بالصناعات والتجارات ، فإن هذه الآية دليل على ثبوت إعجاز القرآن ، وهي موعظة لغير العرب وعند ترجمة القرآن في معانيه.

لبيان قانون استدامة ذكر الرسل في الدنيا ، فقد انقطعت أيامهم ، ومعجزاتهم الحسية ولكن ذكرهم باق في القرآن وعلى السنة المسلمين ، وفي الكتب السماوية السابقة كالطورا والإنجيل .

آية البحث المناجاة

ومن فضل الله عز وجل فتحه باب مخاطبته ومناجاته للمسلمين في القرآن ، ويتطلب إحصاء الخطاب من المسلمين لله عز وجل دعاء ورجاء وتوسلاً تتبع آيات القرآن آية آية ، ومن هذه المناجاة أربعة في آية البحث مع قلة كلماتها ، وهي :

(١) سورة النساء ٨٢.

الأولى : النداء ﴿رَبَّنَا﴾ في أول آية البحث ، وفيه تنمية للملكة المناجاة مع الله عز وجل .

الثانية : ﴿وَأَتَيْنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ﴾ وما فيه من الشكر لله عز وجل على نعمة الوعد على لسان الرسل .

الثالثة : قانون التسليم بأن الأنبياء والرسل لم يكذبوا على الله عز وجل ، وأنهم يخبرون عن الوحي .

الرابعة : ﴿وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ فيه إعلان المسلمين بالإقرار باليوم الآخر ، وهو من ذكر الله عز وجل عن قيام وقعود واضطجاع كما في قوله تعالى ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾^(١).

ترى ما هي الصلة بين التفكير في خلق السموات والأرض وبين سؤال النجاة من خزي يوم القيامة.

الجواب خلق الله السموات والأرض نعمة على الناس والخلائق ، وفيها خزائن ومنافع مسخرة لهم ، وهي تحضر يوم القيامة للشهادة للمؤمنين ، وفيها تبيكت للكافرين .

قال تعالى ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ﴾^(٢) وقيل في تفسير هذه الآية : السجل اسم كاتب للنبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو بعيد ، ولم يعرف وجود كاتب للنبي صلى الله عليه وآله وسلم اسمه السجل ، وتفسر الآية على معناها الظاهر ، والقرآن يفسر بعضه بعضاً ، قال تعالى ﴿وَالسَّمَاءَ أَتُطَوَّيَاتٌ بِيَمِينِهِ﴾^(٣).

وعن جابر قال (قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إن الناس يمرون يوم القيامة على الصراط : والصراط دحض مزلة يتكفأ بأهله .

(١) سورة آل عمران ١٩١ .

(٢) سورة الأنبياء ١٠٤ .

(٣) سورة الزمر ٦٧ .

والنار تأخذ منهم ، وإن جهنم لتتطف عليهم مثل الثلج إذا وقع لها زفير وشهيق .

فبينما هم كذلك إذ جاءهم نداء من الرحمن : عبادي من كنتم تعبدون في دار الدنيا.

فيقولون : رب أنت تعلم انا إياك كنا نعبد .

فيجيبهم بصوت لم يسمع الخلائق مثله قط : عبادي حق علي أن لا أكلكم اليوم إلى أحد غيري فقد عفوت عنكم ، ورضيت عنكم .

فتقوم الملائكة عند ذلك بالشفاعة ، فينحون من ذلك المكان فيقول الذين

تحتهم في النار ﴿فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ﴾ * وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ * فَلَوْلَآ أَنْ لَّنَا كَرَّةٌ

فَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿^(١)﴾ قال الله ﴿فَكُبِّكُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ﴾ ^(٢) ^(٣) .

وهل تتضمن آية البحث مناجاة واحدة أم عدة مناجاة ، الجواب هو

الثاني ، فمثلاً ذات كلمة (ربنا) وحدها مناجاة ، وكل دعاء مناجاة.

وعن (بلال بن الحارث المزني قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله

وسلم : إن الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله تعالى ما يظن أن تبلغ ما

بلغت ، يكتب الله له بها رضوانه إلى يوم يلقاه) ^(٤) .

قانون خاتمة الآية أعم من أولها

ابتدأت آية البحث بنداء الاستغاثة (ربنا) وأختتمت بقانون من الإرادة

التكوينية ﴿إِنَّكَ لَا تَخْلِفُ الْعِيعَادَ﴾ والنسبة بينهما هي العموم والخصوص المطلق

، لقانون موضوع خاتمة الآية أعم من أولها ، وكذا في أغلب آيات القرآن ،

فاذ ابتدأت الآية بتوسل المسلمين بالله عز وجل بتنجز ما وعد لهم الله على

(١) سورة الشعراء ١٠٠-١٠٢.

(٢) سورة الشعراء ٩٤.

(٣) الدر المنثور ٧/٤٠٠.

(٤) تفسير ابن كثير ٧/٣٩٨.

السنة والرسول ، وما جاءت به الكتب السماوية المنزلة وخاتمتها القرآن أختتمت الآية بصيغة الإطلاق في ﴿إِنَّكَ لَا تُخَفُّ الْبِعَادَ﴾ ليشمل أموراً :

الأول : الحساب الابتدائي في القبر من الملكين منكر ونكير ، إذ ينقطع عالم العمل ، ويبدأ عالم الحساب والجزاء ، وعن (عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال ان أحدكم إذ مات عرض على مقعده بالغداة والعشي إن كان من أهل الجنة

فمن أهل الجنة وإن كان من أهل النار فمن أهل النار يقال له هذا مقعدك حتى يبعثك الله يوم القيامة)^(١) لبيان أن عالم القبر والبرزخ بين موت الإنسان إلى يوم ينفخ في الصور .

الثاني : الموت حق والبعث والنشور من القبور حق ، قال تعالى ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾^(٢).

وقد تضمنت آيات البعث والنشور الإنذار للناس جميعاً ، ووردت السنة النبوية بالبيان والتفسير والتأكيد لهذه الآيات و(عن ابن عباس قال : جاء أبي بن خلف الجمحي إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعظم نحر فقال : أتعدنا يا محمد إذا بليت عظامنا ، فكانت رميماً أن الله باعشنا خلقاً جديداً ، ثم جعل يفت العظم ويذره في الريح فيقول : يا محمد من يحيي هذا .

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : نعم .
يميتك الله ، ثم يحييك ، ويجعلك في جهنم ، ونزل على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم { وضرب لنا مثلاً ونسي خلقه }^(٣)^(١).

(١) النسائي / السنن الكبرى ٦٦٤/١ .

(٢) سورة التغابن ٧ .

(٣) سورة يس ٧٨ .

من مصاديق قوله تعالى ﴿إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ ، لقوله تعالى ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ﴾ * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾^(٢) إذ يود الكافر الرجوع إلى الحياة الدنيا ليتوب ويجتهد في عمل الصالحات ، فيتوسل بالملائكة ليردوه إلى الدنيا ، والله يعلم أنه ليس صادقاً فيما يدعيه ، ولو علم الله عز وجل منه صلاحاً لأرجاء الموت عنه ، رحمة به.

الثالث : من مصاديق خاتمة آية البحث تغشي رحمة الله عز وجل للناس في الحياة الدنيا وإمهالهم ، ومضاعفة حسناتهم وكتاب السيئة بمثلها ، قال تعالى ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَلِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلُهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾^(٣).

ولم يرد لفظ ﴿عَشْرُ أَمْثَلِهَا﴾ في القرآن إلا في الآية أعلاه لبيان موضوعية فعل الحسنة في عالم الدنيا والآخرة ، وهو مما وعد الله عز وجل الناس جميعاً ، ولكن الذين كفروا أعرضوا عن هذا الفضل من عند الله ، والإمتناع بالإختيار لا ينافي الإختيار .

الرابع : مما وعد الله عز وجل به الناس استجابة الدعاء ، قال تعالى ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾^(٤).

(١) الدر المنثور ٨/ ٣١٩.

(٢) سورة المؤمنون ٩٩/ ١٠٠.

(٣) سورة الأنعام ١٦٠.

(٤) سورة غافر ٦٠.

والنسبة بين العبادة والدعاء في الآية أعلاه هي العموم والخصوص المطلق ، فالعبادة أعم ، ومنها فريضة الصلاة والصيام والزكاة والحج والخمس .

النسبة بين الميعاد والوعد

هل إخبار آيات القرآن بدخول الكفار جهنم من الميعاد الذين تذكره آية البحث ، أم أن القدر المتيقن منه هو الوعد الإلهي للمؤمنين بدخول الجنة ، المختار هو الأول ، قال تعالى ﴿وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِنْ دَارِهِمْ حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾^(١) لتكون النسبة بين الميعاد والوعد عموم وخصوص مطلق ، فالميعاد أعم .
لقد ورد لفظ الميعاد ست مرات في القرآن ، منها بخصوص الوعد الإلهي وهي :

الأولى : قال تعالى ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنِّي شَرَكَاؤُكُمْ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾^(٢) ، وهذا الميعاد عام وشامل للناس جميعاً ، وليس المؤمنين وحدهم .

الثانية : آية البحث وهي مناجاة من المسلمين والمسلمات ، وجاء فضل الله عز وجل بنجاتهم من الخزي يوم القيامة .

الثالثة : الآية أعلاه من سورة الرعد ، وفيها وعيد لكفار قريش والذين كفروا من الأحقاب المتعاقبة .

الرابعة : قوله تعالى ﴿قُلْ لَكُمْ مِيعَادُ يَوْمٍ لَا تَسْأَلُونَهُ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ﴾^(٣) ، لبيان تعيين الله عز وجل لليوم الآخر من قبل أن يخلق آدم آدم ، وهو محدود بالساعة والدقيقة ، وإن كانت سنينه بعشرات الآلاف .

(١) سورة الرعد ٣١ .

(٢) سورة الأنعام ٢٢ .

قانون حشر الناس يوم القيامة حق

تتعاقب أجيال الناس على الأرض في الحياة الدنيا ومادة الإتصال بينهم عبادة الله ، وبعث الأنبياء والتنزيل ، ويتوارث الناس السكن والمال والإنتماء في العقيدة أو البلد ، أما في الآخرة فإن الناس يحشرون جميعاً مع اختلاف أجيالهم وإن كان بينها آلاف السنين والأحقاب وفيه وجوه :

الأول : جمع الناس من الأولين والآخرين في المحشر ، قال تعالى ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾^(٢).

روى في المرسل (عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : من قرأ هذه الآية على شيء ضاع منه رده الله عليه ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾^(٣) اللهم يا جامع الناس ليوم لا ريب فيه اجمع بيني وبين مالي إنك على كل شيء قدير)^(٤).

الثاني : الوعد بنزول رحمة الله على الذين يذكرونه ، ومنهم أهل آية البحث بلحاظ جهات :

الأولى : قانون الدعاء طريق نجاة في المحشر ، قال تعالى ﴿قُلْ مَا يَعْبَأُكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ﴾^(٥).

ولو دار الأمر في موضوع الآية أعلاه هل هو خاص بعالم الدنيا وقضاء الحاجات فيها ، أم يشمل الآخرة ، فالمختار هو الثاني ، لأصالة الإطلاق ،

(١) سورة سبأ ٣٠.

(٢) سورة آل عمران ٩.

(٣) سورة آل عمران ٩.

(٤) الدر المنثور ٢/٢٨٩.

(٥) سورة الفرقان ٧٧.

وسعة رحمة الله عز وجل ، ولأن المراد من قوله تعالى ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾^(١) ، هو أدعوني لأُمُور الدنيا والآخرة .

الثانية : قانون الدعاء ذكر ، ويتجلى وعد الله عز وجل للعباد على ذكرهم له بقوله تعالى ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾^(٢).

الثالثة : قانون تلاوة آيات القرآن ذكر لله عز وجل ومنه آية البحث .

الثالث : تفضل الله عز وجل بالعفو والمغفرة عند الإستغفار ، قال تعالى ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾^(٣).

ومن الإعجاز في آيات الإستغفار قانون العموم بقبول التوبة ، فباب الإنابة والتوبة مفتوح للناس جميعاً ، ومع المغفرة العامة تأتي النعم والخصب والبركة ، كما في ترغيب نوح عليه السلام لمقدمة الثواب ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا * يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا * وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا﴾^(٤) وفيه نكتة وهي وعد الرسول لقومه من الوحي.

ومن الإعجاز في السنة النبوية تعليم النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم أهل بيته وأصحابه كيفية الإستغفار ، وكان يجتهد بالإستغفار لنفسه مع عصمته ، لتنمية ملكة الخشوع والإستكانة لله عز وجل عند أجيال المسلمين والمسلمات .

(١) سورة غافر ٦٠.

(٢) سورة البقرة ١٥٢.

(٣) سورة النساء ١١٠.

(٤) سورة نوح ١٠-١٢.

(عَنْ أَبِي مُوسَى قَالَ كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يَدْعُو بِهَؤُلَاءِ الدَّعَوَاتِ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي خَطَايَايَ وَجَهْلِي وَإِسْرَافِي فِي أَمْرِي وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي جَدِي وَهَزْلِي وَخَطِيئِي وَعَمْدِي كُلَّ ذَلِكَ عِنْدِي) ^(١).
وعن عبد الله بن مسعود (قال : قال رسول الله : من قال أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم ثلاثاً غفرت ذنوبه وإن كان فر من الزحف) ^(٢).

الرابع : السعي في مرضاة الله وطلب رضاه بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وبالعمل الصالح وقد يفوز العبد برضا الله بفعل مخصوص بقصد القرية إليه تعالى ويتغني فيه رضوان الله ، قال تعالى ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ ^(٣).

الخامس : الوعد بالأمن من أهوال يوم القيامة ، وهو وعد عظيم ، ولا يعلم كثرة عدد الذين ينالونه إلا الله عز وجل ، ولا ينالونه باستحقاق ، بل بلطف ورحمة وكرم من عند الله عز وجل ، قال تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ ^(٤).

السادس : العصمة من الخزي يوم القيامة ، قال تعالى ﴿يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا

(١) مسند أحمد ٤٠ / ٢٢١.

(٢) الدر المنثور ٤ / ٤٢٨.

(٣) سورة النساء ١١٤.

(٤) سورة البقرة ٦٢.

نُورًا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ»^(١) وتدل آية البحث على الفوز بهذه النعمة بالإيمان والعمل الصالح والدعاء .

السابع : الفوز بشفاعة الرسل والأنبياء والملائكة ومن يأذن الله له بالشفاعة الخاصة ، قال تعالى ﴿إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُسْتَفِقُونَ﴾ * وَمَنْ يُقِلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهُ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٢﴾ إذ تدل الآية أعلاه على تحقق لشفاعة في الآخرة .

وقد وردت نصوص عديدة بالشفاعة ، ومنها شفاعة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وهي الشفاعة الكبرى ، إذ ورد (عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر ، وييدي لواء الحمد ولا فخر ، وما من نبي يومئذ - آدم فمن سواه - إلا تحت لوائي ، وأنا أول من تنشق عنه الأرض ولا فخر . . . فيفزع الناس ثلاث فرعات فيأتون آدم عليه السلام فيقولون : أنت أبونا فاشفع لنا إلى ربك .

فيقول : إني أذنبت ذنباً أهبطت منه إلى الأرض ، ولكن ائتوا نوحاً . فيأتون نوحاً فيقول : إني دعوت على أهل الأرض دعوة فأهلكوا ، ولكن اذهبوا إلى إبراهيم . فيأتون إبراهيم فيقول : ائتوا موسى .

فيأتون موسى عليه الصلاة والسلام فيقول : إني قتلت نفساً ، ولكن ائتوا عيسى . فيأتون عيسى عليه السلام فيقول : إني عبدت من دون الله ، ولكن ائتوا محمداً صلى الله عليه وآله وسلم .

فيأتوني فأطلق معهم فأخذ بحلقة باب الجنة فأقعقعها ، فيقال : من هذا . فأقول : محمد .

فيفتحون لي ويقولون : مرحباً .

(١) سورة التحريم ٨.

(٢) سورة الأنبياء ٢٩.

فآخر ساجداً فيلهمني الله عز وجل من الشاء والحمد والمجد ، فيقال :
ارفع رأسك . . . سل تُعْطَ ، واشفع تُشَفَّعْ ، وقل يسمع لقولك . فهو المقام
المحمود الذي قال الله {عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً} (١).

الثامن : الوعد الأعظم ، واللفظ الأكرم ، والهيئة الأسنى
بالوعد بدخول الجنة ، وتنجز هذا الوعد في الآخرة ، ومن
خصائص دخول الجنة قانون الذي يدخل الجنة يلبث فيها مؤبداً ولا
يخرج منها ، لقانون الآخرة عالم الخلود ، قال تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ
آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ * خَالِدِينَ فِيهَا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا وَهُوَ الْعَزِيزُ
الْحَكِيمُ﴾ (٢).

علم المناسبة

ورد قوله تعالى ﴿لَا يُخْلِفُ الْمِعَادَ﴾ بصيغة المضارع والغائب ، عدة مرات
في القرآن منها ﴿لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِنْ فَوْقَهَا غُرَفٌ مَبْنِيَّةٌ تَجْرِي
مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ﴾ (٣) ، ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ
إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ (٤).

ولم ينحصر ورود هذه العهد من الله عز وجل بخصوص الإنذار
والوعيد ، إنما شمل البشارة في الدنيا ، قال تعالى ﴿بَنَصْرَ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ
وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ * وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٥).

(١) الدر المنثور ٦/٣٠٩ .

(٢) سورة لقمان ٨/٩ .

(٣) سورة الزمر ٢٠ .

(٤) سورة آل عمران ٩ .

(٥) سورة الروم ٥-٦ .

كما يشمل الإنذار والوعيد في الدنيا أيضاً ، قال تعالى ﴿وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّنْ دَارِهِمْ حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾^(١).

وورد لفظ (الميعاد) خمس مرات في القرآن ، كلها فيها وعد الله عز وجل الناس إلا مرة واحدة بخصوص معركة بدر في قوله تعالى ﴿إِذْ أَنتُم بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُمْ بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لِاخْتَلَقْتُمْ فِيهِ الْمِيعَادِ وَلَكِنَّ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾^(٢).

ليبان عدم استعداد الصحابة للقتال يوم بدر ، ولكنهم فوجئوا بجيوش قريش قادمة من جهة مكة ليصروا على المبارزة والقتال ، بينما قافلة أبي سفيان القادمة من الشام قريبة منهم وقد توجهت إلى مكة بأمان .

ليكون نصر النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه في معركة بدر بفضل من الله وفيه جذب للناس للإيمان ، وبداية انحسار الكفر ومفاهيم الضلالة ، وعبادة الأوثان في الجزيرة العربية .

ومن معاني ﴿الْمِيعَادِ﴾ المواعدة بين طرفين على أمر ، أما الميعاد في آية البحث فهو من الله عز وجل لعباده ، والله سبحانه بيده مقاليد الأمور ، وهو الرؤوف الرحيم الذي تتغشى رحمته الخلائق كلها ، والذي لا تنفد خزائنه ، وتفضل وأخبر عن سعة الجنة بما يعجز الناس عن إحصاء طولها وعرضها ومساحتها وقطرها ، قال تعالى

(١) سورة الرعد ٣١.

(٢) سورة الأنفال ٤٢.

﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾^(١).

بدليل أن العلم ومع إرتقائه في هذا الزمان ، وسياحة الإنسان في الكواكب فان الناس عاجزين عن اكتشاف أجزاء وآفاق السماوات فلو كان عمر الحياة الدنيا آلاف وملايين السنين ، وكثافة الناس فيها عالية وغالب أهل الأرض في كل زمان من أهل الإيمان والتقوى لاستوعبتهم الجنة وقصورها وفيها فائض وزيادة .

وهل يمكن القول أن من معاني خلود أهل الجنة صيورتهم ملائكة ، ويقومون بوظائف مخصوصة ، الجواب لا ، لأن الآخرة دار ثواب جزاء ، وليس فيها عمل ، وهو من مصاديق خاتمة آية البحث وتضرع المسلمين لله عز وجل ﴿إِنَّكَ لَا تَخِفُّ الْمِعَادَ﴾^(٢).

عطف الخاص على العام – بحث بلاغي عقائدي

هل يشمل الوعد الإلهي للمؤمنين سلامتهم من الخزي ، ونجاتهم من دخول النار ، أم أن حرف العطف الواو في ﴿وَلَا تَحْزَنَ﴾ يدل على التعدد بين الوعد الإلهي وسؤال النجاة من النار.

المختار هو الأول ، وشمول الوعد الإلهي للمسلمين الذين يقيمون الصلاة جماعة وفرادا ، وقياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ، وهو من عطف الخاص على العام ، فاللفظ الخاص مندرج في اللفظ العام بدلائل متعددة ، ولكن يعطف عليه الخاص لبيان أهميته والعناية الخاصة به ، ومن الأمثلة عليه ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾^(٣).

(١) سورة آل عمران ١٣٣.

(٢) سورة آل عمران ١٩٤.

(٣) سورة البقرة ٩٨.

فقوله تعالى ﴿وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ﴾ عطف على الملائكة مع أنهما من جملة وسادة الملائكة ، خص الله جبرئيل في الآية لأنه يأتي بالوحي من عند الله عز وجل للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم فهو ملك حياة القلوب ، وخص ميكال لأنه الملك الذي ينزل بالرزق الذي فيه حياة الأجساد ، ومن هذا الباب قوله تعالى ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾^(١) ، فالتفضيل من النعمة التي هي اسم جنس ، ولم يرد اسم الملك ﴿مِيكَالَ﴾ في القرآن إلا في الآية أعلاه .

وهل منه شفاعة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم للمسلمين يوم القيامة ، الجواب نعم .

و(عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : أُعْطِيتَ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ نَبِيٌّ قَبْلِي مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَجُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ طَهُورًا وَمَسْجَدًا وَلَمْ يَكُنْ نَبِيٌّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ يَصْلِي حَتَّى بُلُغَ مُحْرَابِهِ . وَأُعْطِيتَ الرَّعْبَ مَسِيرَةَ شَهْرٍ يَكُونُ بَيْنِي وَبَيْنَ الْمُشْرِكِينَ شَهْرٌ فَيَقْذِفُ اللَّهُ الرَّعْبَ فِي قُلُوبِهِمْ وَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يَبْعَثُ إِلَى خَاصَّةِ قَوْمِهِ ، وَبَعَثَ إِلَى الْجَنِّ وَالْإِنْسِ .

وكان الأنبياء يعزلون الخمس فتجيء النار فتأكله ، وأمرت أن أقاسمها في فقراء أمتي ولم يبق نبي إلا قد أعطي سؤله وأُخِرَتْ شفاعتي لأمتي)^(٢) .

الواو حرف عطف واستئناف في آن واحد

اجتماع معنى ودلالات العطف والاستئناف أمر مستحدث في تفسيرنا هذا بلحاظ أمور :

الأول : سعة وتعدد معاني اللفظ القرآني .

(١) سورة البقرة ٤٧ .

(٢) الثعلبي / الكشف والبيان ٧٤/٦ .

الثاني : تقسيم حرف (الواو) إلى حرف عطف وإستئناف إستقراء من علماء النحو والبلاغة ، والقرآن أعم في موضوعه ودلالته.

الثالث : لو دار الأمر بين الإنفرد والجمع في معنى الحرف القرآني ، فالجمع هو الأولى والأفضل ما دام يسعه اللفظ والمعنى.

الرابع : لزوم عدم تفويت معنى بياني للفظ القرآني ومصادق من رشحات علم التفسير، نعم، قد ينحصر معنى الحرف بالعطف أو الإستئناف مع القرينة.

ويحتمل الأصل في معنى الحرف (الواو) في لغة القرآن وجوهاً:

الأول : الإطلاق وتعدد المعنى.

الثاني : الحصر بمعنى واحد هو العطف أو الإستئناف .

الثالث : إرادة المعنى الأعم الجامع للوجهين أعلاه، إلا مع الدليل أو القرينة على أحدهما.

والصحيح هو الأول فالأصل في حرف الواو الذي يتوسط بين اسمين في القرآن هو العطف والإستئناف إلا أن تدل قرينة أو أمانة صارفة إلى أحدهما دون الآخر، وفيه فتح لأبواب من علوم وذخائر القرآن .

وتبين مضامين آيات القرآن أن علم التفسير أوسع وأعم من مفردات الصناعة النحوية ، والتقسيمات الإستقرائية فيها ، خاصة وأن نزول القرآن سابق زماناً لتأسيس علم النحو ، وفيه نكتة وهي التوسعة والزيادة في علم النحو بلحاظ ما يترشح عن القرآن من العلوم ، والمندوحة في ضوابط وقواعد النحو العربي .

ويستلزم قانون موضع الحرف والكلمة القرآنية أعم من قواعد النحو والبلاغة أموراً :

الأول : إعادة كتابة التفسير في آيات متعددة من القرآن ، ومنها مثلاً اجتماع الحقيقة والمجاز في الكلمة القرآنية الواحدة.

الثاني : التوسعة وإعادة كتابة بعض مفردات النحو بحسب لغة القرآن ، لقانون علم النحو فرع علوم القرآن.

ولم يشرع به إلا في الإسلام بتعليم الإمام علي عليه السلام لأبي الأسود الدؤلي أبجديات النحو .

وإذا كان معنى الحرف الواو يستوعب معنى العطف والإستئناف ، فتفسر الآية أولاً بأنه حرف عطف ثم تفسر مرة أخرى بأنه حرف إستئناف من غير تعارض بينهما .

وعن النبي محمد (عليه السلام : القرآن ذلول ذو وجوه ، فاحملوه على أحسن الوجوه)^(١).

و(قال أبو الدرداء : إنك لا تفقه كل الفقه حتى ترى للقرآن وجوهاً)^(٢). ومن أحسنها تعدد معنى اللفظ القرآني مع إمكانه وظهوره ، قال تعالى ﴿الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُ فَضَّلَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةً لَّاتَّبَعُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا قَلِيلًا﴾^(٣)، ولم يرد لفظ (يستنبطونه) في القرآن إلا في الآية أعلاه.

قانون بشارات الرسل

يتسالم المسلمون على قانون مصاحبة المعجزة للرسول ، فكل نبي ورسول يأتي بمعجزة متحدة أو منفردة تدل على بعثته من الله عز وجل للتبليغ والدعوة إلى التوحيد.

ونزلت آية البحث لتبين قانون كل رسول يأتي بالبشارة والوعد من عند الله عز وجل ، فصحيح أنها وردت بصيغة ﴿وَأَتْنَا مَا وَعَدْنَاهُ عَلَىٰ رُسُلِكَ﴾^(٤)، إلا أن الآية إنحلالية وتقديرها : وأتينا ما وعدتنا على كل رسول من رسلك. وهل أخبر القرآن عن بشارات الرسل مجتمعين ومتفرقين ، الجواب نعم ، وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾^(٥).

(١) الذهبي / التفسير والمفسرون ١٥٢/٤.

(٢) الدر المنثور ١٠/١ .

(٣) سورة النساء ٨٣.

(٤) سورة آل عمران ١٩٤.

(٥) سورة النحل ٨٩.

ومن الشواهد عليه آية البحث لدلائلها على معرفة المسلمين بما وعد به الرسل من البشارات والרגائب .

وهل البشارة التي يأتي بها الرسول شاهد على صدق رسالته ، الجواب إنما المعجزة هي الدليل على صدق رسالته ، وبعده يكون ما يخبر به من الله عز وجل حق وصدق ، قال تعالى ﴿ ذَلِكَ بَأْنَهُ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَبَشَرُ يَهُدُونَنَا فَكُفِّرُوا وَتَوَلَّوْا وَاسْتَغْنَى اللَّهُ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴾^(١).

فليس الأمر بالأمني والبذل والإغراء ، إنما تأتي البشارة فضلاً من الله ، وعوضاً عن اعتقاد سليم ، وعمل صالح .

وتحتل بشارات الأنبياء والرسل وجوهاً :

الأول : إتحاد بشارات الأنبياء والتشابه بينها .

الثاني : كل رسول يأتي ببشارة تختلف عن البشارة التي جاء بها غيره من الرسل .

الثالث : نسبة العموم والخصوص المطلق بين بشارات الأنبياء ، فبعضهم جاء بالأكثر من البشارات ، وبعضهم جاء بشطر منها ، حسب الوحي والتنزيل .

والمختار هو الثالث : مع وجود جامع مشترك بين الرسل في البشارات الأخرية .

وقد تفضل الله عز وجل بتبليغ هذه البشارات إلى الناس ، وصيرورة أمة من الدعاة لنشرها ، وهي من مصاديق رحمة الله عز وجل بالناس ، فأبى الله عز وجل ترك الخلائق وشأنها .

ومن مصاديق قوله تعالى ﴿ بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾^(٢) ، الصلة الخاصة بين الله عز وجل وأي فرد من الناس وكذا من الخلائق ، فتصل بشارات الرسل إلى الناس بالكيفية التي ينتفعون منها ، وتكون حجة عليهم ، وسبيل هداية .

(١) سورة التغابن ٦ .

(٢) سورة البقرة ١١٧ .

ونزلت آية البحث لبيان إنتفاع المسلمين من هذه البشارات ، بالتصديق بها أولاً ، والذي تدل عليه آية البحث .

وهل يترتب الثواب على هذا التصديق ، الجواب نعم :

الأول : قانون التصديق ببشارات الرسل اعتقاد سليم .

الثاني : قانون ترتب العمل الصالح على الإعتقاد ببشارات الرسل الأخروية وتنجزها .

الثالث : قانون التصديق ببشارات الرسل شاهد على الإقرار بالربوبية المطلقة لله عز وجل .

الرابع : الإيمان باليوم الآخر واجب ، ويتجلى مصداقه بالتسليم بالبشارات التي جاء بها الرسل من عند الله ، قال تعالى ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِّئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾^(١).

خاتم سليمان

لقد ورد تقديم الإنس على الجن في ثلاث آيات ﴿الْإِنْسُ وَالْجِنُّ﴾ بينما تقدم الجن في تسع آيات ولا بد من دلالة ومائز في كل آية لهذا التقديم ، فمثلاً قوله تعالى ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾^(٢).

لبيان الإعجاز في تسخير الجن ، ولأن وظائفهم خارقة تفوق طاقة البشر. وروى محمد بن إسحاق عن بعض العلماء عن وهب بن منبه قصة طويلة في الآية أعلاه وأن سليمان خرج تحمله الريح إلى جزيرة يقال لها صيدون لا يصله جيش ، فقتل الملك واصاب ابنته (يقال لها : جرادة ، لم

(١) سورة النساء ١٦٥.

(٢) سورة النمل ١٧.

يرَ مثلها حسناً وجمالاً ، واصطفها لنفسه ودعاها إلى الإسلام ، فأسلمت على جفاء منها وقلة ثقة ، وأحبها حباً لم يحبه شيئاً من نساءه^(١). وكانت دائمة الحزن على أبيها وطلبت من سليمان أن تضع الشياطين تمثالاً لآبيها تراه فيخف حزنها ففعل فصارت تسجد له هي وجواريتها أربعين يوماً .

وعندما علم سليمان كسر الصنم بإشارة من آصف بن برخيا وهو صديق ولكن سليمان فقد خاتمه الذي كان به يسخر الجن والإنس والطير ، وتغيرت هيئته ، وصار يقف على أبواب بني إسرائيل ويقول أنا سليمان فيعذبونه ويقولون مجنون .

وحاز الشيطان البحر واسمه (صخر) خاتم سليمان من زوجته التي يدع الخاتم عندها لا يكون طاهراً حتى يتطهر ، فحكم أربعين يوماً بدل سليمان وأنكر بنو إسرائيل حكمه .

ودخل آصف بن برخيا على نساء سليمان (فقال : ويحك هل أنكرتن من أمر ابن داود ما أنكرناه .

فقلن : أشده ما يدع امرأة منا في دمها ، ولا يغتسل من جنابة .

فقال : إنا لله وإنا إليه راجعون إن هذا لهو البلاء المبين^(٢) .

وطار الشيطان بعد أربعين يوماً والقى الخاتم في البحر ، فوجده سليمان في سمكة ولبسه .

ومضمون هذا الخبر لا أصل له ، ولم يرفعه وهب بن منبه ، ولا يصل الشيطان إلى نساء سليمان والله أكرم من أن يجعل الحكم المطلق للنبي بالحصص بخاتم يلبسه في يده ، وتعجز الشياطين عن التلبس أربعين يوماً بشخص النبي واصدار الأحكام العامة .

(١) الثعلبي / الكشف والبيان ٣٨٨/١١ .

(٢) الثعلبي / الكشف والبيان ٣٩١/١١ .

وقد اكرم الله عز وجل النبي محمداً ، وجعل الوحي مصاحباً له لم يغادره في أي ساعة من ساعات اليوم واللييلة ، فان قلت حتى إذا كان على جنابة ، الجواب نعم .

لأن الوحي أعم من نزول القرآن ، وليخبر النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم المسلمين عن وعدهم الله من النعيم على كل حال .

بحث بلاغي

من مصاديق البلاغة حسن رصف التراكيب وجزالة المعاني ، وعذوبة جرس الكلمات ، وهل من مصاديق قوله تعالى ﴿وَنَخَفِيهِ مِنْ رُوحِهِ﴾^(١) ، الذوق الفطري عند الناس لبلاغة القرآن ، الجواب نعم ، لأنها تفوق فصاحة وبلاغة العرب وشعرائهم بمراتب .

وينقسم علم البلاغة تقسيماً استقرائياً إلى :

الأول : علم البيان : وهو الإتيان بالكلام واضحاً يتضمن ظهور المراد والمعنى مع اجتناب التعقيد .

الثاني : علم المعاني : وهو الإحتراز من الخطأ في صياغة الكلام المراد إيصاله إلى ذهن السامع لإفادة المعنى .

الثالث : علم البديع : وهو تحسين الكلام مع وضوحه لفظاً ومعنى .

وبما يزيده طراوة وحلاوة مع جزالة اللفظ .

وسمي البديع لاجتهاد الأدباء والشعراء بابتداع الصور والمحسنات

اللفظية ، وينقسم علم البديع إلى قسمين :

الأول : المحسنات اللفظية .

الثاني : المحسنات المعنوية ، التي يرجع التحسين فيها إلى المعنى والدلالة ، قال تعالى ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانٍ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾ (١).

ومن إعجاز الآية القرآنية جمعها لعلوم البلاغة الثلاثة أعلاه بما يفوق تركيب البشر للجمل ، مع لغة القرآن العربية ، قال تعالى ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (٢).

ويجتمع في اللفظ القرآني التحسين اللفظي والمعنوي ، وتجدد هذا التحسين في كل زمان لإقتباس الدروس واستنباط المسائل منه. لقد كانت بلاغة القرآن حجة على العرب إذ ارتقى الشعر والخطابة عند العرب في أيام البعثة النبوية ، فنزل القرآن ببهاء تأليف خارق للمعارف من أساليب البلاغة ، وجزالة وسلاسة تركيب ألفاظه. وهل سهولة حفظ آيات القرآن من إعجاز القرآن وبلاغته ، الجواب نعم.

فهذا الحفظ بتوفيق من عند الله عز وجل ، لذا تفضل الله عز وجل وجعل السور المكية الأولى التي نزلت على النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم قصيرة وقليلة الكلمات ولكنها تتضمن الإنذار الذي تدركه الأذهان قبل أن تسمعه الأذان ، فتناقلتها الركبان مع التسليم بأنها أرقى وأسمى من كلام البشر .

ومن الإعجاز تجدد دقائق تفسير آيات القرآن في كل زمان ، ومنها بلوغ هذا السفر (معالم الإيمان) مائتين واثنين وستين جزءاً ولا زلت في سورة آل عمران في دعوة للعلماء لاستخراج كنوز القرآن .

(١) سورة الزمر ٢٣.

(٢) سورة يوسف ٢.

قانون تلاوة آية البحث فقاهاة

لقد تزينت آية البحث بالإبتداء بالنداء (ربنا) وتقدير الآية : الذين آمنوا قالوا (ربنا).

وهل يشمل النداء المنافقين لأنهم نطقوا بالشهادتين وحضروا الصلوات اليومية ، الجواب نعم ، ولكن قوله تعالى بعد النداء ﴿وَأَتَيْنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ﴾ يخرجهم من موضوع الآية ، فلم يأت وعد من الله لهم بالجنة إنما أُنذِرهم وأخزاهم الله ، وقال تعالى ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَهُمْ صَرِيحًا﴾^(١).

ولم يرد لفظ (الدرك) و(الأسفل) في القرآن إلا في الآية أعلاه .
وهل منه حرمان المنافقين والضلال أنفسهم من نعمة وثواب آية البحث ، وهل فيه دعوة لهم للتوبة والإنابة ، الجواب نعم ، لذا ترى أعداد المنافقين والمنافقات في تضاؤل وضعف كلما نزلت آية في النفاق وإخفاء الكفر مع إظهار الإيمان تخلص جماعة من هذا الدرن ، وهو من الإعجاز في نزول القرآن على نحو التدرج والنجوم .
ليكون من خصائص القرآن قانون بعث الآية القرآنية الواحدة على التوبة في منطوقها ودلالاتها.

ومنه آية البحث لما فيها من صدق المناجاة ولدلالة مفهومها على الخشية من الله سبحانه والجزع عن المعاصي ، قال تعالى ﴿إِنَّ تَجَنَّبُوا كِبَارَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلَكُمْ مُدْخَلَ كَرِيمًا﴾^(٢).

(١) سورة النساء ١٤٥.

(٢) سورة النساء ٣١.

لقد أخبرت آية البحث عن بلوغ ما وعد الله به الأنبياء إلى المسلمين والمسلمات وهو من قانون وحدة موضوع التبليغ في تنقيح المناط ، وفيه شاهد على أمور :

الأول : قيام النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بتبليغ أحكام الرسالة.

الثاني : بيان النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم لأحوال يوم القيامة.

الثالث : نزول القرآن بالبشارة للمسلمين والمسلمات بالأجر والثواب.

الرابع : بيان مضامين رسالة الرسل ، واجتهادهم بالتبليغ عن أهوال يوم القيامة ، وحال الفرع والذعر عند عامة أهل المحشر يومئذ.

الخامس : بعث السكينة والطمأنينة في نفوس المسلمين من أهوال يوم القيامة ، لتكون الحياة الدنيا موطن البشارة للمؤمنين ، ودار الإنذار للذين كفروا.

قانون تجلي إعجاز القرآن في تلاوته

تتجلى حكمة الله وبديع صنعه في كل جزء وجنس ونوع من الخلائق ، وكل فرد منها يدعو الناس للتفكير والتدبر واتخاذ طريقاً للإيمان ، والتسليم بالربوبية المطلقة لله عز وجل لبيان قانون عجز الناس عن إحصاء كثرة طرق هدايتهم للإيمان ، وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾^(١).

ولم يرد لفظ (الحجة) و(البالغة) في القرآن إلا في الآية أعلاه ، لبيان قانون الحجة لله وحده في الدنيا والآخرة .

ومن إعجاز القرآن ورود لفظ (حجة) ثلاث مرات في القرآن ، وكلها بصيغة النفي ، وهي :

(١) سورة الأنعام ١٤٩.

الأولى : قوله تعالى ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِّئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلَا تَمْنَعِيْكُمْ عَلَيْهِمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾^(١).

الثانية : قوله تعالى ﴿رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِّئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾^(٢).

الثالثة : قوله تعالى ﴿فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَّاهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمْ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾^(٣).

ومن إعجاز القرآن أمور :

الأول : قانون كل آية قرآنية حجة على الناس .

الثاني : قانون كل آية قرآنية ضياء في طريق الإستقامة ، لذا يتلو كل مسلم ومسلمة قوله تعالى ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾^(٤) سبع عشرة مرة في الصلاة اليومية .

الثالث : قانون تلاوة الآية القرآنية نجاة من الخزي يوم القيامة .

ومن فضل الله عز وجل على المسلمين والمسلمات وجوب التلاوة في الصلاة ، واستحبابها خارج الصلاة .

الرابع : قانون ترغيب الله عز وجل المسلمين والمسلمات بتلاوة القرآن .

(١) سورة البقرة ١٥٠+.

(٢) سورة النساء ١٦٥.

(٣) سورة الشورى ١٥.

(٤) سورة الفاتحة ٦.

فمن إعجاز القرآن بعثه المسلمين على تلاوته ، والسكينة عند التلاوة ، وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾^(١).

الخامس : الصدور عن القرآن في القول والفعل ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

السادس : قانون الآية القرآنية حجة وبرهان ليكون من مصاديق قوله تعالى أعلاه ﴿فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ﴾.

نزول القرآن جامعاً للأحكام الشرعية ، ووجوب تلاوته وقانون صيرورة التدبر في القرآن نوع طريق للتفكر في بديع صنع الله في عالم الأكوان لقانون الذين يتلون القرآن هم الذين ورد ذكرهم في قوله تعالى ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾^(٢).

إذ علموا بالخزي وعذاب النار بواسطة آيات القرآن وسنة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم القولية والفعلية ، والوعد الكريم الذي جاء به الأنبياء والرسل من عند الله ، قال تعالى ﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾^(٣).

فاستجاروا بالله في آية البحث من عذاب النار بسؤالهم السلامة من الخزي يوم القيامة ، لقانون السوق إلى النار أشد ضروب الخزي في النشأتين.

(١) سورة الرعد ٢٨.

(٢) سورة آل عمران ١٩١.

(٣) سورة الأنعام ٤٨.

من قوانين يوم القيامة

ذكر القرآن والسنة النبوية طول يوم القيامة ، وكثرة أهواله مع التخفيف عن المؤمنين ، وقال تعالى ﴿يَوْمَ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾^(١) في عروج الملائكة ، والأمر الإلهي من الأرضين إلى فوق السموات ، وهو لا يتعارض مع المشيئة بالكاف والنون لقوله تعالى ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾^(٢).

وعن الإمام الصادق عن آبائه عليهم السلام (لما نزلت هذه الآية: "والذين يكتزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم" قال رسول الله صلى الله عليه وآله: كل مال يؤدي زكاته فليس بكنز، وإن كان تحت سبع أرضين، وكل مال لا تؤدي زكاته فهو كنز وإن كان فوق الأرض)^(٣).

ومن قوانين يوم القيامة :

الأول : قانون النفخ في الصور ، وقانون سماع الموتى في القبور لهذا النفخ ، قال تعالى ﴿فَإِذَا تُقْرِفِي النَّاقُورَ * فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ عَسِيرٌ * عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُيسِيرٍ﴾^(٤).

و(عن ابن عباس في قوله سبحانه ﴿فَإِذَا تُقْرِفِي النَّاقُورَ﴾ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : كيف أنعم وصاحب القرن قد التقم القرن وحتى جبهته يستمع متى يؤمر فينفخ .

(١) سورة السجدة ٥.

(٢) سورة يس ٨٢.

(٣) البحار ١٣٩/٧٠.

(٤) سورة المدثر ٨-١٠.

وقال أصحاب رسول الله كيف نقول ، قال : قولوا : حسبنا الله ونعم الوكيل ، على الله توكلنا ﴿فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ * عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ﴾^(١) (٢).

الثاني : قانون خروج الأولين والآخرين من قبورهم دفعة واحدة عند نفخ إسرافيل في الصور ، قال تعالى ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ﴾^(٣).

والأجداث : القبور ، وينسلون : أي يخرجون سراعاً .
(والتَّسْلَانُ : الإسراع في المشي)^(٤).

و(عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : كَيْفَ أَنْعَمُ وَصَاحِبُ الْقَرْنِ قَدْ اتَّقَمَ وَحَنِ الْجَبَّةَ ، وَأَصْنَعِي بِالْأُذُنِ مَتَى يُؤْمَرُ ، فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَى أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ : قُولُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا ، وَلَوْ اجْتَمَعَ أَهْلُ مَنَى مَا أَقَالُوا ذَلِكَ الْقَرْنَ ، كَذَا قَالَ ، وَإِنَّمَا هُوَ مَا أَقَالُوا)^(٥).

لإعلان بداية يوم القيامة وعالم الحساب في ذهول وفزع من الناس ، قال تعالى ﴿وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَارَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾^(٦).

الثالث : شدة العطش يوم القيامة ، وحاجة الإنسان إلى شرب الماء ، والانتظار لسنوات في المحشر ، وهل ينجو المؤمنون من شدة العطش ،

(١) سورة المدثر ٩-١٠ .

(٢) الثعلبي / الكشف والبيان ٤١٨/١٣ .

(٣) سورة يس ٥١ .

(٤) تفسير الطبري ٥٣١/٢٠ .

(٥) تفسير الطبري ١٢١/١٨ .

(٦) سورة الحج ٢ .

الجواب نعم ، وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾^(١).

الرابع : الورود على الحوض .

ومن حديث أبي بن كعب أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال (وأنا على الحوض قيل : وما الحوض يا رسول الله ، قال : والذي نفسي بيده ، إن شرابه أبيض من اللبن ، وأحلى من العسل ، وأبرد من الثلج ، وأطيب ريحا من المسك . وآنيته أكثر من عدد النجوم ، لا يشرب منه إنسان فيظماً أبداً ، ولا يصرف فيروى أبداً)^(٢).

ومن موارد وسؤال المسلمين الله عز وجل ما وعدهم من الشرب من حوض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والأمن من الخزي الذي يترتب على المنع منه ، وتقدير الآية : ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك بالشرب من الحوض ، ولا تخزنا يوم القيامة بالحجب عن حوض رسولك الكريم محمد صلى الله عليه وآله وسلم مع شدة العطش يومئذ .

و(عن ابن عباس قال : خطب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال : يا أيها الناس إنكم محشورون إلى الله حفاة عراة غرلاً ، ثم قرأ ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نَعِيدُهُ وَعَدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾^(٣)).

ثم قال : ألا وإن أول الخلائق يكسى يوم القيامة إبراهيم ، ألا وإنه يجاء برجال من أمتي فيؤخذ بهم ذات الشمال ، فأقول : يا رب أصحابي أصحابي ، فيقال : إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك ، فأقول كما قال العبد

(١) سورة الأحقاف ١٣.

(٢) تفسير ابن كثير ٤٥٥/٧ .

(٣) سورة الأنبياء ١٠٤.

الصالح ﴿وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ﴾^(١)،
فيقال : أما هؤلاء لم يزلوا مرتدين على أعقابهم مذ فارقتهم^(٢).

الخامس : الحشر وهو لغة : الجمع ، وإخراج جماعة من مقرهم على كراهة منهم ، أما في الإصطلاح فهو جمع الخلائق للحساب ، قال تعالى ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ * وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾^(٣).

السادس : نشر صحائف الأعمال ، وإعطاء الناس كتبهم ، قال تعالى ﴿وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ﴾^(٤) ، وكما جاء كل نبي بمعجزة حسية لهداية الناس لسبيل الإيمان ، فتجلى آية حسية يوم القيامة بأن يعطى المؤمنون كتبهم بايمانهم ، وفيه بشارة تخفيف الحساب ، ويعطى الكفار كتبهم في شمائلهم ، قال تعالى ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ * فَسَوْفَ يَحَسْبُ حِسَابًا سِيرًا * وَيَتَقَلَّبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مُسْرُورًا * وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ * فَسَوْفَ يَدْعُو بُرُورًا * وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا﴾^(٥).

والمراد من وراء ظهره تجعل يده الشمال من وراء ظهره فيأخذ كتابه بها لبيان تعدد الآية الحسية الظاهرة ، فلا تنحصر باعطاء الكافر كتابه بيده الشمال ، إنما تغل يده اليمنى ويستلم بيده اليسرى كتابه من وراء ظهره .

(١) سورة المائدة ١١٧.

(٢) الدر المنثور ٢٦/٤ .

(٣) سورة الحجر ٢٤-٢٥.

(٤) سورة التكوين ١٠ .

(٥) سورة الإنشقاق ٧-١٢.

و(عن أبي أمامة عن أبيّ بن كعب قال : قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ سورة انشقت أعاذه الله سبحانه أن يعطيه كتابه وراء ظهره)^(١).

ويكون تقدير آية البحث : ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك باعطائنا كتابنا في أيامنا ولا تخزننا يوم القيامة باعطائنا الكتاب وراء ظهورنا إنك لا تخلف الميعاد .

السابع : الحساب التفصيلي لكل إنسان على أقواله وأفعاله ، ما دق منها وما كبر ، وعرض صفائح الأعمال ، ومع أن عدد الناس في المحشر بمئات المليارات فانهم يحاسبون في آن واحد ، وهو من عظيم قدرة الله ، ولذا ابتدأت آية البحث بقوله تعالى ﴿ رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ . ﴾^(٢) لحضور الرسل مع عامة الناس ، ورجاء ما وعدوا به المؤمنين ، والتوجه لهم بالسؤال لنا بالشفاعة التضاد بين الشفاعة والخزي يوم القيامة الذي تذكره آية البحث .

الثامن : وضع ميزان الأعمال ، ورجحان أحدى كفتيه ، وورد ذكر ﴿المِيزَانِ﴾ تسع مرات في القرآن ، وكلها في ميزان الدنيا ، منها ثلاث مرات في ثلاث آيات متتالية ﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ * أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ * وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾^(٣) . ومن معاني الميزان في الآيات أعلاه العدل .

(١) الكشف والبيان للثعلبي ٤٢/١٤ .

(٢) سورة آل عمران ١٩٤ .

(٣) سورة الرحمن ٧-٩ .

وعن جابر بن عبد الله (قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوضع الميزان يوم القيامة فيوزن الحسنات والسيئات ، فمن رجحت حسناته على سيئاته دخل الجنة ، ومن رجحت سيئاته على حسناته دخل النار)^(١) ليكون من معاني آية البحث ﴿وَلَا تُخْزَنَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ سؤال عدم رجحان كفة السيئات في ميزان أعمالنا .

التاسع : الصراط ، والصراط لغة الطريق ، وفي الإصطلاح ، صراط في الدنيا ، وصراط في الآخرة ، وفي التنزيل ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾^(٢) لبيان قانون العبور على صراط الآخرة بالإستقامة في الحياة الدنيا .

(عن أبي الدرداء : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : يؤتى بصاحب المال الذي أطاع الله فيه وماله بين يديه كلما تكفاً به الصراط قال له ماله : أمض فقد أديت حق الله في .

ثم يُجاء بصاحب المال الذي لم يطع الله فيه وماله بين كتفيه كلما تكفاً به الصراط قال له ماله : ويلك ألا أديت حق الله في؟! فما يزال كذلك حتى يدعو بالويل والثبور)^(٣) .

ومن الخزي يوم القيامة ضيق الصراط عند العبور ، والهوي إلى النار ، فجاءت آية البحث لسؤال الله عز وجل أن يكون الصراط لنا عريضاً ، والعبور عليه بسرعة .

و(عن بريدة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : من قال عشر كلمات عند كل صلاة غداة وجد الله عندهن مكفياً مجزياً : خمس للدنيا ، وخمس للآخرة :

(١) الدر المنثور ٤/ ١٩٤ .

(٢) سورة الفاتحة ٦ .

(٣) الدر المنثور ٥/ ٣ .

حسبي الله لديني ، حسبي الله لما أهمني ، حسبي الله لمن بغى عليّ ،
حسبي الله لمن حسدني ، حسبي الله لمن كادني بسوء ، حسبي الله عند
الموت .

حسبي الله عند المسألة في القبر ، حسبي الله عند الميزان .
حسبي الله عند الصراط ، حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وإليه
أنيب^(١) .

قال تعالى ﴿وَوَضِعَ الْكِتَابَ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا
وَيْلَتَنَا مَا لَ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ
أَحَدًا﴾^(٢) ومن الإعجاز في الآية أعلاه ذكر المجرمين على نحو الخصوص في
حزنهم وشدة خوفهم وخزيهم عند نشر الكتب ، لذا يحتاج كل إنسان آية
البحث وما فيها من سؤال الستر ، والعفو ، والنجاة من الخزي يوم القيامة .
وتقدير آية البحث : ربنا ولا تخزنا عند الحشر يوم القيامة .
ويوم القيامة ينسى الناس الدنيا وطول مدة البرزخ من هول وشدائد
يوم القيامة ، ومنها ذات الحشر واجتماع الأولين والآخرين في صعيد واحد
، وخشية وخوف كل فرد من ذنوبه ، ومن الفضيحة والخزي .
وهل يشمل الدعاء في آية البحث سؤال النجاة والسلامة من الخزي عند
الحشر ، الجواب نعم .

(١) الدر المنثور ٢/ ٥٠٠ .

(٢) سورة الكهف ٤٩ .

آيات الدنيا وآيات الآخرة

مثلما تقسم سور القرآن إلى مكية وهي التي نزلت على النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم قبل هجرته إلى المدينة ، ومدنية وهي التي نزلت عليه بعد الهجرة النبوية فيمكن تقسيم آيات القرآن إلى أقسام :
الأول : آيات الدنيا ، وهي التي تخص حال المسلمين والناس في الحياة الدنيا.

وهي على شعبتين :

الأولى : الآيات التي وردت فيها كلمة الدنيا مثل ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَرْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾^(١) و﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنَّنُوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ﴾^(٢).

الثانية : الآيات التي تذكر الحياة الدنيا بالمعنى والمفهوم ، مثل ﴿وَأَمِنْ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يُلْعَبُونَ﴾^(٣) وفي قوم لوط ونجاة آل لوط من العذاب الذي نزل بالقوم يتجلى العطف واتحاد الموضوع بين عدد من الآيات من غير أن تبدأ أكثرها بحرف العطف ، إذ قال تعالى ﴿كَذَبَتْ قَوْمٌ لُوطًا بِالنَّذْرِ * إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ * نِعْمَةٌ مِنْ عِنْدِنَا كَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ * وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِالنَّذْرِ﴾^(٤).

(١) سورة التوبة ٥٥.

(٢) سورة يونس ٧.

(٣) سورة الأعراف ٩٨.

(٤) سورة القمر ٣٣-٣٦.

وفي قصة يوسف عليه السلام وردت عدة آيات متصلة الموضوع من غير حرف عطف كالواو ﴿قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ﴾ * أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ * قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنَّ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ * قَالُوا لَنْ نَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذَا لَخَاسِرُونَ^(١).

ولم يرد لفظ ﴿يَرْتَعْ﴾ و﴿يَلْعَبْ﴾ في القرآن إلا في الآية أعلاه .

الثاني : آيات الآخرة : أي الآيات التي تذكر عالم الآخرة وما فيه من الحساب والجزاء .

وهي على شعب :

الأولى : الآيات التي يرد فيها ذكر الآخرة بالألفاظ التي تدل عليها مثل :

الأول : يوم القيامة كما في آية البحث .

الثاني : اليوم الآخر .

الثالث : يوم الدين .

الرابع : الواقعة .

الخامس : القارعة ، قال تعالى ﴿كَذَبَتْ ثَمُودُ وَعَادُ بِالْقَارِعَةِ﴾^(٢).

السادس : يوم البعث .

السابع : يوم الحشر :

الثامن : يوم التناد .

التاسع : يوم التغابن .

العاشر : الغاشية بقوله تعالى ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ﴾^(٣).

(١) سورة يوسف ١١-١٤.

(٢) سورة الحاقة ٤.

(٣) سورة الغاشية ١.

الحادي عشر : يوم الطامة : أي يوم الداهية والبلوى العامة والشدة التي تهون معها شدائد الدنيا ، قال تعالى ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَةُ الْكُبْرَى﴾^(١).

الثاني عشر : الصاخة ، أي الصيحة التي تصم الأذان ، ومنه صوت النفخة في الصور .

ومن خصائص تعدد أسماء يوم القيامة ودلالات معانيها تحذير وإنذار العباد من أهواله .

الثالث عشر : يوم الوعيد ، قال تعالى ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ﴾^(٢) أي بدايات يوم القيامة والحساب ، ولم يرد لفظ (الوعيد) في القرآن إلا في الآية أعلاه .

الرابع عشر : اليوم الموعود و(عن أبي مالك الأشعري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : اليوم الموعود يوم القيامة، وإن الشاهد يوم الجمعة، وإن المشهود يوم عرفة، ويوم الجمعة ذخره الله لنا)^(٣). ومن الإعجاز في القرآن ذكر يوم القيامة ونسبته إلى الله خالق الأكوان ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(٤).

الخامس عشر : يوم الحساب ، قال تعالى ﴿هَذَا مَا تَعْدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ﴾^(٥).

ومن الآيات ما تجمع بين الثواب والعقاب ، الثواب للمؤمنين ، والعقاب والعذاب للكافرين .

(١) سورة النازعات ٣٤.

(٢) سورة ق ٢٠.

(٣) تفسير ابن كثير ٢٦٤/٨ .

(٤) سورة الحديد ٢.

(٥) سورة ص ٥٣.

وفيه تخفيف عن الناس بالدراسة المقارنة ، وميل العقول لاختيار السبيل الذي فيه الأمن والنجاة ، والنفرة من الأفعال التي تجلب الضرر ، قال تعالى ﴿وَنَادَىٰ أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنِ افْضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ﴾^(١).

الشعبة الثانية : الآيات التي تذكر اليوم الآخر من غير ورود اسم من أسمائه في الآية ، قال تعالى ﴿لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾^(٢).

الشعبة الثالثة : الآيات التي تجمع بين الدنيا والآخرة ، فتتضمن الآية عالم الأفعال ثم عالم الجزاء لبعث المسلمين على إدراك قانون ترتب الجزاء الأخروي على الأفعال في الدنيا ، وقد يجتمع الثواب والعقاب في آية واحدة ، كما في قوله تعالى ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^(٣)، وقال تعالى ﴿لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾^(٤).

ومن خصائص آية البحث ذكرها ليوم القيامة بالاسم للبيان ودلالة تفقه المسلمين في الدين وسؤالهم النجاة من الخزي يوم القيامة .

(١) سورة الأعراف ٥٠ .

(٢) سورة إبراهيم ٥١ .

(٣) سورة القصص ٨٤ .

(٤) سورة الأحزاب ٢٤ .

النسبة بين الميعاد والوعيد

هل ذكر يوم الوعيد من مصاديق الميعاد في آية البحث ، الجواب نعم ، ولا يختص موضوع آيات الآخرة بأسمائها في القرآن ، إنما تشمل أهوالها وإن لم يذكر اسم من أسمائها ، قال تعالى ﴿إِنَّ كُلَّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا * لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا﴾^(١).

ولم يرد لفظ ﴿أَحْصَاهُمْ﴾ و﴿عَدَّهُمْ﴾ في القرآن إلا في الآية أعلاه ، وقال تعالى ﴿لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنْ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾^(٢) ولو اجتهد المؤمن بالدعاء أن يرزقه الله عز وجل الشفاعة لغيره يوم القيامة ، سواء كان الغير متحداً أو متعدداً ، براً أو فاجراً .

فهل يكون هذا الدعاء نوع عهد من الله عز وجل ، لقوله تعالى ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾^(٣) الجواب لا ، لأن الإستجابة أعم من العهد .

وقد بينت الآية التالية ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتِلُوا وَقُتِلُوا لَئِنْ كَفَرْتُمْ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَآدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ﴾^(٤) مضمون استجابة الله عز وجل للمسلمين أولي الألباب بخصوص أدعيتهم في هذه الآيات بأن الله عز وجل لا يضيع عمل الذي عمل الصالحات ذكراً أو أنثى ، لبيان قانون اقتران العمل الصالح بالدعاء .

(١) سورة مريم ٩٣-٩٤.

(٢) سورة مريم ٨٧.

(٣) سورة غافر ٦٠.

(٤) سورة آل عمران ١٩٥.

وهذا الجمع بين آية البحث والآية التالية من مصاديق البيان في القرآن ، وقوله تعالى ﴿ هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ ﴾^(١).

والنسبة بين الميعاد المذكور في خاتمة آية البحث والوعيد عموم وخصوص مطلق ، فالميعاد أعم ، ويشمل البشارة والإنذار ، لذا ورد في آية البحث للدلالة على تفقه المسلمين في الدين ، وسعيهم إلى النعيم في الآخرة ، والنجاة من أهوالها ، وهذا السعي بلطف وهداية من الله عز وجل ، ومنه آية البحث لبيان وجوه :

الأول : قانون الآية القرآنية مدد ليوم القيامة .

الثاني : قانون الآية القرآنية مدرسة في الفقه ، لذا أوجب الله عز وجل على كل مسلم تلاوة القرآن خمس مرات في اليوم .

الثالث : قانون الآية القرآنية تذكير بعالم الآخرة .

الرابع : قانون الآية القرآنية إصلاح للمسلمين ليوم القيامة .

قانون الصوم ذكر الله

لقد فرض الله عز وجل على كل مسلم ومسلمة من المكلفين صيام رمضان ، قال تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾^(٢) واستثنى الله عز وجل بالرخصة المريض والمسافر الذي يجب عليه القضاء .

وهل صيام رمضان من ذكر الله ، أم أن القدر المتيقن منه الذكر باللسان.

الجواب هو الأول ، لنية الصوم ، ولأن الإمساك عن الأكل والشرب يوم الصوم أمر وجودي ، وطاعة لله عز وجل ، وعن (عبد الله بن مسعود

(١) سورة آل عمران ١٣٨.

(٢) سورة البقرة ١٨٣ .

قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "إن الله عز وجل، جعل حسنة ابن آدم بعشر أمثالها، إلى سبعمائة ضعف، إلا الصوم .

والصوم لي وأنا أجزي به، وللصائم فرحتان: فرحة عند إفطاره وفرحة يوم القيامة، واخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك" (١).

وذكر النبي صلى الله عليه وآله وسلم في الحديث أعلاه فرحة الصائم يوم القيامة ، وهو من مصاديق ما ورد في آية البحث من جهات :

الأولى : الصوم عبادة خالصة لله عز وجل ، وابتدأت آية البحث بقول المسلمين والمسلمات ، وفيه عهد من المسلمين باتيان الفرائض العبادية ، واجتناب مانهى الله عز وجل .

الثانية : بشارة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بفرحة الصائم يوم القيامة من مصاديق قوله تعالى ﴿ مَا وَعَدْنَاهُ عَلَىٰ رُسُلِكَ ﴾ (٢) ، لعمومات قوله تعالى ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾ (٣) .

الثالثة : النسبة بين الفرحة والخزي يوم القيامة التضاد والتنافي ، فلا يجتمعان على إنسان ولما ثبتت الفرحة للصائمين ، ابتعد عنهم الخزي يوم القيامة ، كبعدهم عن النار يومئذ .

ومن البشارات في المقام ما ورد عن (أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : لو أذن الله للسموات والأرض أن يتكلما بشرا بمن صام رمضان : الجنة) (٤).

ومما يدل على أن الصوم ذكر لله ما ورد (عن عبد الله بن أبي أوفى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : نوم الصائم عبادة وصمته تسبيح ودعاؤه مستجاب وعمله مضاعف) (٥).

(١) تفسير ابن كثير ٦٩١/١ .

(٢) سورة آل عمران ١٩٤ .

(٣) سورة النجم ٣-٤ .

(٤) الثعلبي / الكشف والبيان ٣٣٧/١ .

ليان قانون الصيام حصن وواقية من الحزني يوم القيامة الذي تذكره آية البحث .

بين الحاسد والعاین

قال تعالى ﴿وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾^(٢)

إستعاذة ولجوء إلى الله عز وجل من الحاسد الذي يتمنى زوال نعمة المحسود ، وقد يسعى في زوالها ، وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث ، ولا تجسسوا ولا تحسسوا ، ولا تنافسوا ، ولا تحاسدوا ، ولا تباغضوا ، ولا تدابروا ، وكونوا عباد الله إخوانا)^(٣).

(وأخرج الطبراني عن أبي مالك الأشعري ، أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : لا أخاف على أمتي إلا ثلاث خلال : أن يكثر لهم المال فيتحاسدوا فيقتتلوا ، وأن يفتح لهم الكتاب فيأخذوه المؤمن يتغني تأويله ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾^(٤) ، وأن يزداد علمهم فيضيعوه ولا يبالوا به)^(٥).

و(عن عبادة بن الصامت عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن جبريل أتاه وهو يوعك فقال : بسم الله أرقيك من كل شيء يؤذيك ، من حسد حاسد ، وكل عين ، اسم الله يشفيك)^(٦).

(١) الثعلبي / الكشف والبيان ٣٣٧/١.

(٢) سورة الفلق ٥.

(٣) تفسير ابن كثير / السيرة النبوية ٣٧٧/٧ .

(٤) سورة آل عمران ٧.

(٥) الدر المنثور ٢/٢٨٠ .

(٦) الدر المنثور ١٠/٤٠٠ .

وحذر رسول الله من صيرورة الإنسان حاسداً ، إذ ورد عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (ان الحسد ليأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب) ^(١).

ومن وجوه تأديب النبي صلى الله عليه وآله وسلم للمسلمين إنذاره من الحسد ، وبيانه للشفاء والتنزه عنه ، إذ ورد (عن حارثة بن النعمان قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : ثلاث لازمات لأمتي : الطيرة والحسد وسوء الظن ، فقال رجل ما يذهبهن يا رسول الله ممن هن فيه ، قال : إذا حسدت فاستغفر الله ، وإذا ظننت فلا تحقق ، وإذا تطيرت فامض) ^(٢).
والتعريف الشائع للحسد هو تمنّي زوال نعمة المحسود ، ويقال حسده يحسده حسوداً ، وتحاسد القوم وهم قوم حسده ، وهل تجب الإستعاذة من الحسد ، الجواب نعم ، لصيغة الأمر في قوله تعالى ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ * مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ * وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ * وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ * وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ * ^(٣).

والمختار أن الحسد أعم ويشمل إستغراب وجود نعمة عند جماعة أو شخص وإكبارها عليه أو إستصغارها في نيلها وبلوغها.
وتدل الآية أعلاه على وجوب الإستعاذة بالله من الحسد والحاسد ، قريباً كان أو بعيداً خاصة مع وسائل الإتصال الإجتماعي ، وقد يحسدك حاسد من غير أن يراك .

والحسد قبيح ومذموم عقلاً وشرعاً ، ولكن قد يرد الحسد بمعنى الغبطة والتنافس والإقتداء بالأحسن كما ورد (عن ابن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : لا حسد إلا في اثنتين : رجل آتاه الله مالاً

(١) الثعلبي / الكشف والبيان ٤٤٦/٣ .

(٢) الدر المنثور ٢٥٧/٩ .

(٣) سورة الفلق ١-٥ .

فسلطه على هلكته في الحق ، ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها.

وأخرج البيهقي في الشعب عن يزيد بن الأخنس : أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : لا تنافس إلا في اثنتين : رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل والنهار ويتبع ما فيه ، فيقول رجل : لو أن الله أعطاني ما أعطى فلاناً فأقوم به كما يقوم به ، ورجل أعطاه الله مالاً فهو ينفق منه ويتصدق به ، فيقول رجل : لو أن الله أعطاني كما أعطى فلاناً فأتصدق به . قال رجل : أرايتك النجدة تكون في الرجل؟

قال : ليست لهما بعدل ، إن الكلب يهم من وراء أهله^(١).

أما العائن فهو الذي يصيب بعينه غيره.

قال الأزهري (يقال عان الرجل فلاناً يعينه عينا إذا ما أصابه بالعين، فهو عائن، والمصاب بالعين معين. ومن العرب من يقول: معيون. وأنشدني غير واحد:

قد كان قومك يحسبونك سيدا ... وإخال أنك سيد معيون^(٢) .

والنسبة بين الحاسد والعائن هو العموم والخصوص المطلق ، فكل عائن هو حاسد وليس العكس ، وكذا فكل معيون هو محسود وليس العكس ، والأكثر الأغلب هو الحاسد أما العاين فهو فرد قليل.

ويدفع شر الحسد والعين مجتمعين ومتفرقين بالذكر والدعاء والصدقة والإستعاذة وقراءة القرآن ، ومنه قوله تعالى ﴿وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾^(٣).

ولم يرد لفظ (حاسد) و(حسد) في القرآن إلا في الآية أعلاه ، نعم وردت آيات أخرى في ذم الحسد ، وتحذير المسلمين من الحاسدين ، منه قوله

(١) الدر المنثور ٢/٢٠٨ .

(٢) تهذيب اللغة ١/٣٧٩ .

(٣) سورة الفلق ٥ .

تعالى ﴿أَمْ يُخْسِدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا﴾^(١).

و(عن جابر أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : العين تدخل الرجل القبر ، والجمل القدر)^(٢).

ولا تختص العين بالبائس والمسكين فقد تأتي من ذي النعمة والجاء ، وقد يحسد من هو أعلى شخصاً أدنى منه على خصلة يفتقر إليها أو يتعجب من تحلي صاحبها بها.

وكان النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم يعيد الحسن والحسين : أعيدكما بكلمات الله التامات من كل شيطان وهامة ، ومن كل عين لامة)^(٣).

وأعوذ بكلمات الله التامة من غضبه وعقابه ، وشر عباده ، ومن همزات الشياطين وأن يحضرون).

ولا يجوز التعري أمام الغير ، كما يكره لبس الملابس الضيقة التي تظهر معالم البدن أما بالنسبة لما يتعلق بمفاتن جسم المرأة فهذا اللباس محرم ، ويصرف الحجاب والوقار العين لما فيه من تعظيم لشعائر الله ومعاني السر . وكان العرب يسودون النونة عند الصبي المليح أي النقرة التي في ذقنه لترد العين .

وكذلك فعلت معي أُمِّي رحمها الله بتغطية النونة بالوشم ، وأنا صبي في المهد .

(١) سورة النساء ٥٤.

(٢) الدر المنثور ١٠/٨٧.

(٣) البحار ٤٣/٢٨٢.

المفاوضات المباشرة وفق الكتاب والسنة

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾^(١).

تدعو الآية أعلاه المسلمين للإقتداء برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في هديه وسمته ، خاصة وأن السنة النبوية ترجمة عملية للقرآن. ولقد دخل النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في مفاوضات مباشرة مع مشركي قريش في صلح الحديبية مع أنهم حاربوه وسعوا إلى إغتياله قبل الهجرة وبعدها ، وقتلوا عمه حمزة بن عبد المطلب ، ونفراً من أصحابه المهاجرين والأنصار فقد غزوا المدينة في معركة أحد في شوال من السنة الثالثة للهجرة ، وفي الأحزاب في شوال من السنة الخامسة للهجرة . وتكرار القتال في شوال لعدم صبرهم عن الإنتقام والبطش بالنبي وأصحابه ورجاء قتله لأنه تأتي بعد شوال ثلاثة أشهر حرم ، هي ذو القعدة ، وذو الحجة ، وشهر محرم .

وفي السنة السادسة للهجرة رأى النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم رؤيا بأنه وأصحابه يدخلون المسجد الحرام ، ففرحوا وحسبوا أنهم يدخلون المسجد لأداء العمرة في عامهم هذا .

وخرج النبي ومعه ألف وأربعمائة من أصحابه في شهر ذي القعدة وهو من الأشهر الحرم ، وليس معهم إلا سلاح الراكب أي سيوف صغيرة في أغمارها كالخنجر في هذه الأيام .

وأرسل إلى القبائل التي حول المدينة مثل مزينة وأسلم وأشجع فامتنع أكثرهم خشية إجهاز قريش عليهم ، وقبل أن يصل النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم الحديبية تعرضت لهم خيل المشركين برئاسة خالد بن الوليد ، فمال النبي عن الجادة العامة .

(١) سورة الأحزاب ٢١.

ولما وصل الحديبية والتي تبعد نحو (٢٠) كم عن مكة وهي بئر في أطراف الحل نزل وأصحابه .

وعن (ابن عباس: إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خرج يريد مكة، فلما بلغ الحديبية وقفت ناقته وزجرها فلم تنزج ، وبركت الناقة . فقال أصحابه : خلأت الناقة ، فقال صلى الله عليه وآله : ما هذا لها عادة ، ولكن حبسها حابس الفيل .

ودعا عمر بن الخطاب ليرسله إلى أهل مكة ليأذنوا له بأن يدخل مكة ويحل من عمرته وينحر هديه ، فقال: يا رسول الله ما لي بها حميم ، وإنني أخاف قريشا لشدة عداوتي إياها ، ولكن أدلك على رجل هو أعز بها مني : عثمان بن عفان .

فقال : صدقت ، فدعا رسول الله صلى الله عليه وآله عثمان فأرسله إلى أبي سفيان وأشرف قريش يخبرهم أنه لم يأت لحرب ، وإنما جاء زائرا لهذا البيت ، معظما لحرمة ، فاحتبسته فخرج عثمان إلى مكة فلقبه أبان بن سعيد بن العاص حين دخل مكة أو قبل ان يدخلها فحمله بين يديه ثم أجاره حتى بلغ رسالة رسول الله صلى الله عليه وآله قريش عندها .

فبلغ رسول الله صلى الله عليه وآله والمسلمين أن عثمان قد قتل ، فقال صلى الله عليه وآله : لا نبرح حتى نناجز القوم .

فدعا الناس إلى البيعة ، فقام رسول الله صلى الله عليه وآله إلى الشجرة فاستند إليها وباع الناس على أن يقاتلوا المشركين ولا يفروا ، قال عبد الله بن مغفل: كنت قائما على رأس رسول الله صلى الله عليه وآله ذلك اليوم وييدي غصن من السمرة أذب عنه وهو يبايع الناس ، فلم يبايعهم على الموت ، وإنما يبايعهم على أن لا يفروا^(١) .

وأرسل النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى قريش يخبرهم بأنه لم يأت لحرب وقتال إنما جاء لزيارة البيت الحرام ، فتناجى رجال قريش بصد النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومنعه من زيارة البيت الحرام .

قانون السعي للصلح

قال تعالى ﴿الصُّلْحُ خَيْرٌ﴾^(١).

الحمد لله الذي جعل القرآن بياناً و﴿تُبَيِّنَا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾^(٢) ومنه الآية أعلاه التي تتضمن الإطلاق في طرفيها :
الأول : الصلح .

الثاني : خير ، وهو اسم تفضيل ، ويقال العلم خير من المال ، كما يستعمل بمعنى (أختر) لإرادة أمرين اشتركا في صفة فزاد أحدهما على الآخر في ذات الصفة .

وصحيح أن الآية أعلاه وردت بخصوص الصلح بين الزوجين ، وأنه خير من الفراق بينهما ، ولكن موضوعها أعم ، ويدل عليه قوله تعالى ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾^(٣) . والنسبة بين الإصلاح بين الناس وبين قوله تعالى ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾^(٤) ، عموم وخصوص مطلق ، لأن لفظ الناس عام شامل للمسلمين وأهل الكتاب والكفار .

ومن تقدير الآية أعلاه وجوه :

الأول : الإصلاح بين طرفين مسلمين .

الثاني : الإصلاح بين طرف مسلم وآخر كتابي .

(١) سورة النساء ١٢٨ .

(٢) سورة النحل ٨٩ .

(٣) سورة النساء ١١٤ .

(٤) سورة الأنفال ١ .

الثالث : الإصلاح بين كتابي وكافر .

الرابع : الإصلاح بين طرفين كافرين ، لما في هذا الإصلاح من منع لشيوع وإزدياد الفساد في الأرض ، قال تعالى ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾^(١).

الخامس : الإصلاح بين الدول مطلقاً ، فأى دولتين يقع بينهما خلاف أو قتال يلزم السعي للإصلاح بينهما .
والنسبة بين الصلح والإصلاح عموم وخصوص مطلق ، فكل صلح هو إصلاح وليس العكس .

السادس : الإصلاح بين دولتين بغض النظر عن الملة والمذهب لأصالة الصلح في الآية بلفظ الناس ﴿أَوْ إِصْلَاحُ بَيْنِ النَّاسِ﴾^(٢).
لقد كانت السنة النبوية ترجماناً وتفسيراً للقرآن .

فكان صلح الحديبية مصداقاً لهذه الآية ورضي النبي صلى الله عليه وآله وسلم بشروط قریش في الصلح .

لقد عقد النبي صلى الله عليه وآله وسلم محادثات مباشرة بينه وبين الكفار المشركين الذين قاتلوه وغزو المدينة في معركة بدر ، وأحد ، والخندق ، ولم يجعل وسيطاً وطرفاً ثالثاً بينه وبينهم .

وصبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم على أذى وفد قریش ، فحينما قال للإمام علي عليه السلام يوم الحديبية اكتب بسم الله الرحمن الرحيم ، أصر وفد قریش على كتابة (بسمك اللهم) .

ثم قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم اكتب هذا ما اصطلاح عليه رسول الله ، اعترض سهيل بن عمرو رئيس وفد كفار قریش ، قائلاً : لو أعلم أنك رسول الله ما قاتلتك واتبعتك ، افترغب عن اسمك واسم ابيك محمد بن عبد الله اكتب اسمك واسم أبيك .

(١) سورة الأعراف ٥٦ .

(٢) سورة النساء ١١٤ .

واحتج المسلمون ، وتصاعدت أصواتهم ، ولكن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أشار عليهم بالهدوء ، وقال لعلي عليه السلام : احذف كلمة رسول الله .

كما أنهم اشترطوا من جاء منهم إلى المسلمين يرد إليهم ، دون من ذهب من المسلمين إليهم فرضي النبي صلى الله عليه وآله وسلم لإرادة المصلحة والنفع العام في الصلح ، قال تعالى ﴿وَالصَّلَاحُ خَيْرٌ وَأُخْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ﴾^(١).

ليبان جواز المفاوضات المباشرة بين الدول والمتخاطبين مطلقاً ، قال تعالى ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾^(٢).

خاصة وأن الملاك والضابطة بين الدول في هذا الزمان ليس الإيمان والكفر ، إنما هي الدساتير والأنظمة الدولية وقواعد المواطنة العامة ، وفي كل دولة تجمد المسلمين والمسلمات ، ويرفع الأذان خمس مرات في دول المشرق والمغرب ، وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ﴾^(٣).

ومن وجوه تقدير : الصلح خير :

الأول : قانون الصلح خير من القتال .

الثاني : قانون الصلح خير من الخصومة .

الثالث : قانون الصلح خير من سفك الدماء بالإقتال.

الرابع : قانون الصلح خير لأطراف الصلح وغيرهم .

الخامس : قانون الصلح خير للناس في عباداتهم ومعاشاتهم .

السادس : لما احتجت الملائكة على جعل الإنسان ﴿فِي الْأَرْضِ

خَلِيفَةً﴾^(٤)، إذ قالوا ﴿أَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾^(١)، أجابهم الله عز

(١) سورة النساء ١٢٨.

(٢) سورة الأحزاب ٢١.

(٣) سورة ٢٨ سبأ.

(٤) سورة البقرة ٣٠.

وجل ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾^(١). ومن علم الله عز وجل ميل الناس للصلح ، والغبطة العامة بتحقيقه ،
السابع : فض النزاعات والإتفاق على مسار معين خير عن العداوة.
الثامن : الصلح خير في توفير نفقات السلاح وعسكرة البلدان .
التاسع : الصلح خير للمجتمعات والعوائل ، وفيه منع من اليتيم وكثرة الأرامل .

معنى قوله تعالى ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ﴾^(٢)

فسر العلماء قوله تعالى ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ﴾ أي لا تدوسوا من السنابل في كل سنة إلا ما تحتاجون إلى أكله .
وفي تفسير بحر العلوم للسمرقندي (يعني : تدوسون^(٤) بقدر ما تحتاجون إليه ، فتأكلون)^(٥).

وأكثر علماء التفسير لا يقفون كثيراً عند هذه الآية .
ونبين معنى مستحدثاً للآية وهو إلا قليلاً مما تأكلون في يومكم من البقوليات والفواكه والخضروات ، أي لا تجعلوا الخبز مادة رئيسية في غذائكم .

وهذا من الإعجاز في الآية ، ومضامين التدبير فيها .
والمختار حينما تولى يوسف عليه السلام الوزارة أوجد قوانين لضبط وجمع الحاصلات بسنابلها كيلا يأكلها السوس وشرائها من المزارعين ، والظاهر أنه حضهم على أكل غير الخبز والحبوب .

(١) سورة البقرة ٣٠.

(٢) سورة البقرة ٣٠.

(٣) سورة يوسف ٤٧.

(٤) في الأصل تدرسون .

(٥) السمرقندي / بحر العلوم ٣٨٢/٢ .

ويدل عليه قوله تعالى ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُثْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصِلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ أَهْبَطُوا مَصْرًا فَإِنْ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّنَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾^(١).

فكان ينزل عليهم المن والسلوى وهو طائر صغير ، فأرادوا العمل والفلاحة ، وزمان يوسف متقدم على زمان موسى عليهما السلام .
وكان بني إسرائيل اعتادوا على هذه الأنواع من المأكولات من أيام قلة الحبوب وما بعدها.

وكذا يكون تقدير الآية على وجوه :

الأول : قليلاً مما تأكلون من أنواع الطعام .

الثاني : اجعلوا الخبز أقل من البقل والبصل والفاكهة والخيار والبقلاء الذي تأكلون.

الثالث : لا تجعلوا الخبز هو المادة الرئيسية في طعامكم .

الرابع : أشربوا الحليب والبيض واللحوم واجعلوا بديلاً للخبز .

الخامس : كلوا البطيخ والثمار بدل الخبز .

هذا في تأويل رؤيا الملك ، أما حينما تولى يوسف الوزارة ، فانه قام باصدار قوانين وقواعد لشراء الحاصلات بحيث لا يجد الناس من الخبز إلا القليل ويعتادون على أكل أنواع أخرى من الطعام ، سبع سنين يكون الخبز والحبوب هو القليل على المائدة أي أنه حقق تأويله للرؤيا من مقام الرياسة والوزارة .

حتى إذا جاءت سنوات الجذب يكون الناس قد اعتادوا على أكل القليل من الخبز ، فلا يحصل هياج عام على تقنين توزيع الحبوب .

لذا فحينما عرض يوسف عليه السلام على الملك توليه الوزارة ﴿اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ﴾^(١)، أراد حفظ النظام العام والضرورات الخمس .

فعلم الملك أن من أسرار رؤياه وتأويل يوسف لها ، الحفاظ على ملكه ومنع ثورة الجياع ، فنصب يوسف عليه السلام وزيراً يتولى تدبير شؤون المملكة في خطة طويلة الأمد من خمس عشرة سنة فيها تباين وتضاد ، بين السنين السبعة الأولى والسنين السبعة التالية لها ، كما ورد في التنزيل ﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرَوْهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ * ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَحْصِنُونَ * ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْرِضُونَ﴾^(٢).

وعلى فرض تقدير الآية (إلا قليلاً مما تأكلون من الخبز) فان المعنى لا يستقيم حتى على معنى تحصيل ما هو حاصل .

هلال شهر صفر

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ النَّاسِ وَالْحَجِّ﴾^(٣).

الحمد لله على آية ونعمة الهلال واتساع نوره وصيرورته قمراً ثم أخذه بالنقصان إلى ليالي المحاق ، ومعرفة وضبط الشهور وأوان الفرائض العبادية كالصوم في شهر رمضان ، وحج بيت الله في شهر ذي الحجة ، ومعرفة أوان قضاء الدين ، والمواعيد بين الناس ، وعدة المطلقة ونحوها ، ونحن في مساء

(١) سورة يوسف ٥٥.

(٢) سورة يوسف ٤٧-٤٩.

(٣) سورة البقرة ١٨٩.

هذا اليوم وهو الإثنين الخامس من شهر آب من السنة الرابعة والعشرين بعد الألفين للميلاد .

وقد ثبت عندي بالبينّة الشرعية هذه الليلة رؤية هلال شهر صفر الخير ، وتفيد الدراسات الفلكية الدقيقة بقاءه بعد غروب الشمس هذه الليلة نحو خمسين دقيقة في أفق العراق ، ويكون يوم غد الثلاثاء السادس من شهر آب أول الشهر.

ولم يرد في القرآن اسم شهر إلا شهر رمضان مع أنه ليس من الأشهر الحرم ، قال تعالى ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرٍ يُدْعَى اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُدْعَى بِكُمُ الْعُسْرَ وَتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾^(١).

لضبط أشهر السنة كلها ، وبيان موضوعية الصيام في حياة المسلمين ، والأجر والثواب العظيم له.

وسبب تسمية شهر صفر لغزو قبائل الجزيرة العربية بعضها لبعض في هذا الشهر بعد ثلاثة أشهر حرم هي ذو القعدة ، وذو الحجة ، ومحرم ، ويتركون المغزي صفراً من المتاع إذ يسلبونه كل متاعه وأنعامه .

ليبان نعمة إنقطاع الغزو بين القبائل ببركة رسالة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وصورته أهل الجزيرة إخوة بالإيمان ، وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾^(٢).

أسأل الله عز وجل أن يجعل شهر صفر شهر أمان وسلام ، ووقف للحروب والنزاعات ﴿إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾^(٣).

(١) سورة البقرة ١٨٥.

(٢) سورة الأنبياء ١٠٧.

(٣) سورة هود ٦١.

الدنيا دار الإنتظار

لقد جعل الله عز وجل الحياة الدنيا دار الإنتظار بذاتها وما بعدها فهي مزرعة للأخرة ، وطريق مرور إليها لا يصاحب الإنسان منها إلا عمله مع بيان الآية للتضاد في عالم الأعمال بقوله تعالى ﴿قُلْ أَنْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ﴾^(١). ومن معاني عدم نسخ الآية أعلاه بآية السيف أنها ليست من مختصات النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، فتلحق به الأمة وأجيالها المتعاقبة ، لذا وردت الآية بصيغة الجمع ﴿إِنَّا مُنْتَظِرُونَ﴾ ويتجلى التضاد من جهات : الأولى : قانون التضاد بين الإيمان والكفر ، وتقدير الآية : قل يا أيها الذين كفروا انتظروا أنا معاشر المؤمنين منتظرون .

الثانية : انتظروا نقص عددكم وأنا منتظرون كثرة العدد بدخول الناس أفواجا في الإسلام ، قال تعالى ﴿وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا﴾^(٢).

ليكون من معاني قوله تعالى ﴿وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ﴾ في قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِدَرِّ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾^(٣) ، بشارة زيادة عدد المسلمين وأسلحتهم وأموالهم ، ومنعتهم بعد معركة بدر ، وعلى نحو التدرج مثلما تنزل آيات القرآن على النجوم والتدرج ، وفيه دعوة للرحمة بالناس من منازل العز والقوة التي تأتي المسلمين .

الثالثة : انتظروا الخزي المصاحب للكفر ، إنا منتظرون توالي نزول القرآن .

الرابعة : انتظروا خسارتكم في حربكم على النبوة والتنزيل ، إنا منتظرون النصر والغلبة بفضل من الله عز وجل .

(١) سورة الأنعام ١٥٨.

(٢) سورة النصر ٢.

(٣) سورة آل عمران ١٢٣.

الخامسة : انتظروا حلول الأجل ومغادرة الدنيا لعالم الحساب (إنا منتظرون) أيضاً.

وقد نزلت الآية أعلاه في مكة قبل هجرة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم إلى المدينة ليكون من معاني الآية :
 إنظروا معركة بدر إنا منتظرون لها ولنتائجها .

وعندما وقعت المعركة سقط سبعون من رجالات قريش ، وأسر مثلهم ،
 ونزل قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾^(١).

ليكون من تقدير الآية أعلاه بلحاظ آية البحث وجوه :

الأول : انتظروا نصر الله لنا (إنا منتظرون له) .

الثاني : انتظروا هزيمتكم مع كثرة عددكم (إنا منتظرون) .

الثالث : انتظروا دروس التقوى التي نتحلى بها (إنا منتظرون) بالتقوى.

الرابع : انتظروا وأنتم في حال الجحود إنا منتظرون بالشكر لله عز وجل.

الخامس : انتظروا نزول آية السيف (إنا منتظرون) .

فمع تعدد وسعة وجوه الإنتظار يأتي موضوع آية السيف كفرد منها ولكنه ليس نسخاً لهذه الوجوه ، خاصة وأن أحكام آية السيف خاصة بمكة وما حولها لمدة أربعة أشهر مخصوصة ، إذ قال تعالى ﴿فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحَرَامُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَأَحْصُرُوهُمْ وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِنْ تَأَبَّوْا وَآقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^(٢).

(١) سورة آل عمران ١٢٣.

(٢) سورة التوبة ٥.

يوميات علمية للمرجعية الإسلامية المرجع الصالح الطائي

الحمد لله مُذهب البأس الشافي المعافي ، ومن مصاديق قوله ﴿يُحْوَ اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ﴾ إزالة آثار المرض بالكاف والنون.

وقد أنعم الله علينا باتمام الجزء (٢٦١) من معالم الإيمان في تفسير القرآن في آية علمية لم يشهد لها التاريخ مثيلاً .

ونطبع أجزاءه المتعاقبة على نفقتنا الخاصة وهو من أفضل موارد الخمس والحقوق الشرعية ، والمساهمة في تنزيده وطبعه من مصاديق قوله تعالى ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعِظْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾.

العدد : ٢٤/١٧١ في ٢٠٢٤/٦/١٩

تقريظ العلامة الشيخ علي الجليحاي / إمام مسجد الإمام علي / الديوانية / على الجزء (٢٦١) من معالم الإيمان

الأستاذ الأجل ، العالم الفذ ، المرجع الكبير الشيخ صالح الطائي

السلام عليكم ورحمة الله

نتوجه إليكم بأسمى عبارات التهاني والتبريك بعيد الاضحى وعلى هذا الإنجاز العلمي المتميز ، والمتمثل في إصدار الجزء ٢٦١ من تفسيركم الشامل للقرآن الكريم ، فهذا الجهد الموسوعي الرفيع يؤكد مكانتكم الرائدة في مجال علوم القرآن والتفسير.

إن تخصيص جزء كامل بهذا الحجم من التفسير يعد علامة فارقة في مسيرتكم العلمية الحافلة ، فأنتم بحق قامة بارزة من قامات المفسرين المعاصرين ، بل سيدهم واستاذهم والذين أثروا المكتبة الإسلامية بتراث تفسيري غني وأصيل.

هذا الإنجاز العلمي الكبير يؤكد تبحركم في علوم القرآن الكريم وإتقانكم لآلياته التفسيرية ، فقد أضفتم بهذا العمل المبارك إضافة نوعية إلى ما قدمتموه من جهود مباركة في خدمة كتاب الله وتوضيح دلالاته للباحثين والمتخصصين.

ندعو الله تعالى أن يمد في أعماركم ، ويوفقكم لإتمام هذا المشروع العلمي الجليل ، فلكم منا جزيل الشكر والتقدير على ما تقدمون من إسهامات علمية رائدة.

العدد : ٢٤/١٧٢ في ٢٠/٦/٢٠٢٤

قال تعالى ﴿قُلْنَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ لبيان أن إسداء المعروف لأهل البيت والإحسان إليهم فيه أجر عظيم لفعل المعروف بذاته ولقصد التقرب إلى رسول الله والعمل بمضامين الآية أعلاه، والنسبة بين اصطناع المعروف والمودة عموم وخصوص مطلق ، فكل معروف هو مودة وليس العكس.

وروي أن سليمان بن عبد الملك بن مروان رأى النبي صلى الله عليه وآله في المنام كأنه يبره ويلطفه، فدعا الحسن البصري فسأله عن ذلك، فقال: لعلك اصطنعت إلى أهله معروفاً .

فقال سليمان: إنني وجدت رأس الحسين عليه السلام في خزانة يزيد بن معاوية فكسوته خمسة من الديباج وصليت عليه في جماعة من أصحابي وقبرته فقال الحسن: إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم رضي منك بسبب ذلك، وأحسن إلى الحسن، وأمر له بالجوائز .

والمختار إرجاع رأس الحسين ورؤس أصحابه إلى كربلاء فدفت مع الأجساد

العدد : ٢٤/١٧٣ في ٢١/٦/٢٠٢٤

قالت أم الفضل بنت الحارث زوجة العباس بن عبد المطلب للنبي صلى الله عليه وآله وسلم رأيت رؤيا اعظمها ان اذكرها لك.

ولكنه لم يمحض معها في إنكارها والإقلال من أهمية الرؤيا كطريق لاستبعاد رموزها عن الاقتراب من واقع الحدوث وجريان الامور. فقال: اذكريها. وقوله هذا عبرة للمسلمين فرب اخفاء لرؤيا يحول دون الدعاء والعمل ويمنع من فتح باب الاحتياط وما فيه من المندوحة والسعة والرحمة وطرق النجاة.

فقالت رأيت كأن بضعة منك قطعت فوضعت في حجري. فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : ان فاطمة حبلى تلد غلاماً أسميه حسيناً وتضعيه في حجرى.

وكم كان الفرق كبيراً بين ظن أم الفضل في الرؤيا وتأويل النبي صلى الله عليه وآله وسلم لها بأشراقه نور على الارض في اليوم الثالث من شعبان في السنة الرابعة للهجرة ، كتب الله لضياؤه وبريق صبره وجهاده أن يرى في المشرق والمغرب وفي كل زمان . قالت: فولدت فاطمة حسيناً فكان في حجري أريبه.

ليساهم تأويل الرؤيا في ترسيخ الإيمان ، وتوكيد صدق نبوة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بجمعه وحياته للعلوم والمعارف والكمالات بقسميها بالكسب ، وبالهبّة بالوحي فضلاً من الله ورحمة وحجة ودعوة للإيمان.

العدد : ٢٤/١٧٤ في ٢٢/٦/٢٠٢٤

قانون الرحمة والإحسان من خصال خليفة الأرض
لقد كانت وستبقى نبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم رحمة ورأفة للناس جميعاً ، قال تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾.

ومن الرحمة دخول الإسلام وإقامة حدود الله ، والتحلي بالأخلاق الحميدة ، والعمل بمنهاج السنن الرشيدة في حال الضعف والقوة ، وفي الفقر والغنى ، والحكم والسلطان ، ولا عبرة بقول بعض الفلاسفة في القرن التاسع عشر الميلادي من أن الأخلاق من

صنع الضعفاء ، وأن الرحمة والصبر والإحسان حيلة ابتكرها الضعفاء لينالوا بها منافع من الأقوياء لعجزهم عن انتزاعها بالقوة.

ولا أصل لهذا القول ، إذ قال تعالى ﴿وَأَنَّكَ لَکَلِّ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ لبيان حسن خلق النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم قبل النبوة وبعدها ، وفي مكة وبعد الهجرة إلى المدينة ، وسيادة أحكام وسنن الإسلام ، وانقياد قبائل العرب له ، ولأحكام التنزيل قال تعالى ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾.

العدد : ٢٤/١٧٥ في ٢٣/٦/٢٠٢٤

تقسم سور القرآن تقسيماً استقرائياً إلى قسمين:

الأول : السور المكية التي نزلت قبل هجرة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وإن نزلت خارج مكة .

الثاني : السور المدنية وهي السور التي نزلت بعد هجرة النبي إلى المدينة وإن نزلت خارج المدينة مثل آية إكمال الدين ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ إذ نزلت عند عودة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم من حجة الوداع في غدير خم وبيعة الإمام علي عليه السلام بالولاية ، ويعد غدير خم عن مكة (١٥٧) كم ، أي أنه أقرب إليها من المدينة ، ومع هذا تسمى آية مدنية وهي من آيات سورة المائدة التي هي من آخر سور القرآن نزولاً.

العدد : ٢٤/١٧٦ في ٢٤/٦/٢٠٢٤

من مقدمات بيعة الغدير نزول قوله تعالى ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ إذ جمع النبي صلى الله عليه وآله وسلم أربعين شخصاً من بني عبد المطلب وأنذرهم وأخبرهم عن نبوته ولزوم طاعته وقال

(وَمَنْ يَؤَاخِني وَيؤَازِرنِي وَيَكُونُ وَلِيًّا وَوَصِيًّا بَعْدِي ، وَخَلِيفَتِي فِي أَهْلِي وَيَقْضِي دِينِي ، فَسَكَتَ الْقَوْمُ ، وَأَعَادَ ذَلِكَ ثَلَاثًا كُلَّ ذَلِكَ يَسْكُتُ الْقَوْمُ ، وَيَقُولُ عَلِي : أَنَا فَقَالَ : أَنْتَ ، فَقَامَ الْقَوْمُ وَهُمْ يَقُولُونَ لِأَبِي طَالِب : أَطْعِ ابْنَكَ فَقَدْ أَمَرَ عَلَيْكَ).

ومنها قوله تعالى ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴾ ومنها أحاديث نبوية متعددة مثل قول النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم لعلي (أنت مني كمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي).

العدد : ٢٤/١٧٧ في ٢٥/٦/٢٠٢٤

مرفق نص فتوى (جواز تولي المرأة القضاء وفق قوانين ومواد منصوبة) الصادرة في سنة ٢٠١٢م.

العدد : ٢٤/١٧٨ في ٢٦/٦/٢٠٢٤

لقد بعث الله عز وجل الأنبياء والرسل وعددهم مائة ألف وأربعة وعشرون ألف نبي ، ولم يُقْضَ على عبادة الأصنام ، ونصبت ثلاثمائة وستون صنماً في المسجد الحرام ، فبعث الله عز وجل آخر الأنبياء خاتم النبيين النبي محمداً صلى الله عليه وآله وسلم فأرادت قريش قتله ، وأحكموا خطة الهجوم عليه في فراشه ، وفي ذات الليلة التي أحاط عشرة من فتيان قريش بيته نزل جبرئيل وأمره بالهجرة إلى المدينة في معجزة له ، وبات الإمام علي عليه السلام في فراشه للتورية والتمويه على المشركين .

العدد : ٢٤/١٨٠ في ٢٨/٦/٢٠٢٤

بفيض ومدد من عند الله عز وجل صدر الجزء الستون بعد المائتين من تفسيرنا (معالم الإيمان).

ويختص بقانون (آيات السلم محكمة غير منسوخة) وهو من مصاديق ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ .

فالنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم حامل لواء السلم والتعايش المجتمعي وهو الرحمة المهداة للناس جميعاً ، من حين البعثة وإلى يوم القيامة.

وأجزاء التفسير وكتبنا الفقهية والأصولية معروضة على موقعنا

www.marjaiaa.com

العدد : ٢٤/١٨١ في ٢٩/٦/٢٠٢٤

سلام عليكم شيخنا الفاضل أسعد الله أوقاتك وحفظكم لنا وأعطاك الصحة والسلامة ، ممكن جواب لمسألة في مجال الارث.

امراه تزوجت برجل وانجبت منه طفلا ثم تطلقت وتزوجت آخر وانجبت من الثاني تسعة وزوجها الثاني غني ثم توفت وتوفى زوجها فهل يرث الطفل من الزوج الاول من حصتها التي تسمى بالسدس جزاك الله خيرا

عليكم السلام فضيلة السيد

إذا كانت الزوجة ماتت قبل زوجها الثاني كما هو ظاهر السؤال فلا إرث لها منه .

أما إذا توفيت بعده فلها الثمن من تركته ان كانت زوجته الوحيدة عند وفاته ويقسم على أولادها الأحياء ساعة وفاتها ﴿لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ﴾ ومنهم ابنها من زوجها الاول لأنها أصبحت مالكة للثمن ، ولابويها السدسان إن كانا على قيد الحياة بعد وصية توصي بها أو دين ، والعلم عند الله .

العدد : ٢٤/١٨٢ في ٣٠/٦/٢٠٢٤

ذكر أنه لما وقعت الحرب بين مصر والحبشة أيام الخديوي إسماعيل (١٨٣٠-١٨٩٥) وتوالت الخسائر في جيش مصر .

سأل الخديوي إسماعيل شريف باشا ماذا نصنع ، قال نلجأ إلى صحيح البخاري يقرأه علماء أطهار الأنفاس فجمعوا صلحاء العلماء في الأزهر ، وأخذوا يتلون صحيح البخاري أمام القبلة القديمة في الأزهر ومع هذا توالى الخسائر في جيش مصر .

فركب الخديوي إسماعيل إلى الأزهر وخاطب العلماء بمنح إمام أن هذا الذي تقرأونه ليس صحيح البخاري أو إنكم لستم العلماء .

العدد : ٢٤/١٨٣ في ٢٠٢٤/٧/١

حفر زمزم برؤيا عبد المطلب

بئر زمزم بئر ماء في البيت الحرام يبعد عن الكعبة الشريفة (٢١) م من جهة الشرق بصحن الطواف ، وهو أشهر بئر على الأرض ، ويتصف بالبركة ، وهي بئر قديمة يرجع تاريخها إلى نحو ٢٠٠٠ سنة قبل الميلاد ، عندما ترك إبراهيم عليه السلام زوجه هاجر وابنه إسماعيل ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ﴾ .

لتسوارث ذرية إسماعيل عبادة الله وحده بدعاء إبراهيم ، وبعثة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ﴿وَاجْتَنِبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ .

العدد : ٢٤/١٨٤ في ٢٠٢٤/٧/٢

تنزيه يوسف (ع)

من إعجاز القرآن تنزيه ساحة الأنبياء ، وبيان عصمتهم والدفاع عنهم ، فالمتبادر أن دخول السجن عقوبة عن معصية ومخالفة للأصول والقواعد العامة ، فنزل القرآن ببيان حقيقة وهي أنه قد يدخل السجن ظمأ البرئ وسجين الرأي ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

وأن يوسف أظهر آيات العصمة والتقوى طاعة لله عز وجل ،
ودعوة إليه ، فقال تعالى ﴿ثُمَّ بَدَأْ لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا آيَاتِ لَيْسَ جُنَّتْهُ
حَتَّى حِينٍ﴾ .

وفي سورة يوسف دعوة للحكام والملوك للنظر المتجدد في أحوال
السجناء ، وسماع شكواهم بعين الرأفة والتخفيف .

العدد : ٢٤/١٨٥ في ٢٠٢٤/٧/٣

تدل آيات القرآن والسنة النبوية القولية والفعلية والوقائع على أن
الإسلام دين السلام والأمن المجتمعي ، إذ نزهت البعثة النبوية
الجزيرة من سفك الدماء والغزو والإقتال بين القبائل ، وصاروا
إخوة في الإيمان بعد أن تكرر هجوم وغزو المشركين للمدينة المنورة
في معركة بدر ، وأحد ، والخنندق ، وغيرها .

ولقد صدر الجزء الواحد والستون بعد المائتين من تفسيرنا
(معالم الإيمان) .

لييان صفحات مشرقة من التنزيل والسنة النبوية ذات صبغة ،
السلم قال تعالى ﴿وَإِنْ جَنَّحُوا لِلْإِسْلَامِ فَاجْتَنَحْ لَهَا﴾ . .

العدد : ٢٤/١٨٦ في ٢٠٢٤/٧/٤

معجزة توالي هدم الأصنام

بيان معجزة للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم عند فتح مكة
من جهات :

الأولى : توجيه السرايا نحو هدم الأصنام بعد أن كانت هذه
السرايا تدافع عن النبوة والتنزيل .

الثانية : وجوب هدم الأصنام وإن تحمل النبي صلى الله عليه وآله وسلم
وآله وسلم والصحابة الأذى الشديد .

الثالثة : هدم الأصنام إزاحة لمانع دون عبادة الناس لله عز وجل ، كما في حادثة سادن الصنم سواع ، فانه كان يظن عجز الناس عن هدمه ، وحينما رأى بعينه سرعة هدمه ، وعدم ترتب ضرر على هدمه بادر لدخول الإسلام .

الرابعة : تنزيه الأرض من مفاهيم الشرك .

الخامسة : بيان تفضيل النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بانقطاع عبادة الأوثان برسالته.

العدد : ٢٤/١٨٧ في ٢٠٢٤/٧/٥

عن جابر بن عبد الله : دخلنا مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم مكة وفي البيت وحوله ثلثمائة وستون صنما فأمر بها رسول الله فألقيت كلها لوجوهها ، وكان على البيت صنم طويل يقال له هبل فنظر النبي إلى علي وقال له : يا علي تركب علي أو أركب عليك لالقي هبل عن ظهر الكعبة.

قال الإمام علي (ع) قلت : يا رسول الله بل تركبني فلما جلس على ظهري لم أستطع حمله لثقل الرسالة قلت يا رسول الله بل أركبك ، فضحك ونزل وطأطأ لي ظهره واستويت عليه فوالذي فلق الحبة وبرأ النسمة لو أردت أن أمسك السماء لامسكتها بيدي فألقيت هبل عن ظهر الكعبة ، فأنزل الله تعالى ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾.

العدد : ٢٤/١٨٨ في ٢٠٢٤/٧/٦

كان عبد الله بن سعد بن أبي سرح قد أسلم وهاجر إلى المدينة ، وكان خطه حسناً ، فصار يكتب الوحي للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم فإذا قال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم أكتب عليمًا حكيمًا ، كتب غفوراً رحيمًا ، وإذا قال له أكتب غفوراً رحيمًا ، كتب عليمًا حكيمًا.

وهو لا يعلم في المقام أموراً :

الأول : قانون حفظ النبي صلى الله عليه وآله وسلم لآيات القرآن التي تنزل عليه وتلاوتها في الصلاة اليومية.

الثاني : كان جبرئيل يعارض ويتدارس القرآن مع النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم مرة كل سنة في شهر رمضان ، فاذا كتب عبد الله بن أبي سرح الكلمة بخلاف ما أنزلت فانها تنكشف بهذا التدارس وبالتلاوة .

الثالث : تدارس وقراءة جبرئيل القرآن مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم مرتين في السنة التي فارق فيها الحياة الدنيا ، إذ ورد عن عائشة عن فاطمة عليها السلام (أسر إلي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : أن جبريل كان يعارضني بالقرآن كل سنة وأنه عارضني العام مرتين ولا أراه إلا حضر أجلي).

الرابع : أمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم بتدوين آيات القرآن حال نزولها .

وارتد عبد الله بن سعد بن أبي سرح ولحق بمكة وهدر النبي صلى الله عليه وآله وسلم دمه يوم فتح مكة فشفع له عثمان بن عفان أخوه من الرضاعة فقبل النبي صلى الله عليه وآله وسلم شفاعته ، وولاه عثمان مصر أيام خلافته.

العدد : ٢٤/١٨٩ في ٢٠٢٤/٧/٧

لقد تعددت معجزات النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في طريق الهجرة إلى المدينة ، وتوالت المعجزات عند وصوله إلى المدينة لتشن قريش الغارات ، وتزحف بالجيوش العظيمة على المدينة لإرادة قتل النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

ليبان معجزة نجاته من القتل والإغتيال في كل مرة ، وقد سبق وأن قتل عدد من الأنبياء لهم من غير قتال ومبارزة جيوش للكفار مع مصاحبة المعجزة للأنبياء ، التي هي زاجر عن التعدي عليهم.

فاراد الله عز وجل الثأر لهؤلاء الأنبياء بسلامة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم من أشد أسباب القتال ، وتعدد جهة صدورها ونوعها والأموال الطائلة التي بذلها الكفار لقتل النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه.

العدد : ٢٤/١٩٠ في ٢٠٢٤/٧/٨

هل من صلة بين الرؤيا الصادقة رؤيا البشارة والإنذار التي يراها البر والفاجر وبين آية ﴿وَفُتِحَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ﴾.

وهل هي شعبة من خلافة الإنسان في الأرض ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾.

المختار نعم ، ويعضده قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم (الرؤيا جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة) البحار ١٧٥/٥٨. وهو الذي بيناه في دراسات قرآنية وعقائدية وأخلاقية مستحدثة في كتابنا (فلسفة الرؤيا في الإسلام) والذي صدر هذا اليوم بمجزيين في (٦١٥) صفحة والحمد لله .

العدد : ٢٤/١٩١ في ٢٠٢٤/٧/٩

إن تسمية صلح الحديبية فتح مبين مدرسة عقائدية وعسكرية وإجتماعية مستحدثة في تاريخ الإنسانية ، وفيها ترغيب بالصلح مطلقاً سواء مع شروط الفريق الآخر أو بدونها ، ومع فقدان أرض أو مال أو حرث أو سلامتها ، قال تعالى ﴿وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾.

ليكون رضا النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بشروط قريش في صلح الحديبية ترجمة لآيات القرآن ، ونشراً لشايب الرحمة ، ومقدمة لفتح مكة والجزيرة .

فحتى لو لم يتم فتح مكة في السنة الثامنة فان الإسلام فشا وانتشر بين أهلها ، والبلدان والقرى في الجزيرة العربية ، وكان عدد الذين دخلوا الإسلام بين صلح الحديبية وفتح مكة أكثر من عدد

الذين دخلوه من بداية البعثة النبوية ولحين صلح الحديبية ، مما يدل على تحقق فتح مكة أيضاً سلماً بتأكل صفحة الشرك ، وتناقص عدد الكفار فيها .

العدد : ٢٤/١٩٢ في ٢٠٢٤/٧/١٠

عن الحسين بن ثوير في حديث أنه قال للإمام الصادق عليه السلام : جعلت فداك إني كثيراً ما أذكر الحسين عليه السلام فأني شئ أقول؟

فقال : قل : صلى الله عليك يا أبا عبد الله ، تعيد ذلك ثلاثاً فإن السلام يصل إليه من قريب ومن بعيد، ثم قال: إن أبا عبد الله الحسين عليه السلام لما قضى بكت عليه السماوات السبع والارضون السبع وما فيهن وما بينهن.

العدد : ٢٤/١٩٣ في ٢٠٢٤/٧/١١

في اليوم الثالث من شعبان من السنة الرابعة للهجرة أشرق على الأرض نور إمامة عامة في أمور الدين والدنيا كتب الله لضيائه ان يرى بين المشرق والمغرب وان تنفذ أشعة وبريق طريق صبره وجهاده إلى شغاف القلوب بولادة سيد شباب الجنة الحسين بن علي عليه السلام .

(قالت أم الفضل بنت الحارث زوجة العباس بن عبد المطلب للنبي صلى الله عليه وآله وسلم رأيت رؤيا اعظمها ان اذكرها لك. ولكن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يمس معها في انكارها والاقلال من شأن الرؤيا كطريق لاستبعاد رموزها عن الاقتراب من واقع الحدوث وجريان الأمور.

فقال: اذكرها. وقوله هذا عبرة للمسلمين فرب اخفاء لرؤيا يحول دون الدعاء والعمل ويمنع من فتح باب الاحتياط وما فيه من المندوحة والسعة والرحمة وطرق النجاة.

فقالت رأيت كأن بضعة منك قطعت فوضعت في حجري.
فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : إن فاطمة حبلى تلد
غلاماً أسميه حسيناً وتضعيه في حرك.
وكم كان الفرق كبيراً بين ظنها في الرؤيا ، وتأويل النبي صلى
الله عليه وآله وسلم لها. قالت: فولدت فاطمة حسيناً فكان في
حجري أربيّه.

وهكذا ساهم تأويل الرؤيا في ترسيخ الإيمان وتوكيد صدق النبي
صلى الله عليه وآله وسلم بجمعه وحيازته للعلوم والمعارف
والكمالات بقسميها الكسبي والهبة فضلاً من الله ورحمة وحجة
ودعوة للإيمان.

قالت أم الفضل (فدخل علي يوماً وحسين معي فأخذه يلاعبه
ساعة ثم ذرفت عيناه فقلت ما يبكيك قال هذا جبريل يخبرني أن
أمتي تقتل ابني هذا) تأريخ دمشق ١٤/١٩٦.

العدد : ٢٤/١٩٤ في ٢٠٢٤/٧/١٢

كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يمر على بيت فاطمة بعد
ولادة الحسين (ع) كل صباح ، وفي اليوم السابع من ولادة الحسين
جاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وعق عنه كبشاً وأمر
برأسه فحلق وتصدق النبي صلى الله عليه وآله وسلم بوزن شعره
من الفضة.

عن سلمان قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سمى
هارون أبنيه شبراً وشبيراً وإنني سميت ابني الحسن والحسين بما سمى
هارون ابنيه شبراً وشبيراً.

العدد : ٢٤/١٩٥ في ٢٠٢٤/٧/١٣

كان الحسن والحسين يسميان ابني الفواطم لأن أمهما فاطمة
وجدتهما فاطمة بنت أسد أم الإمام علي بن أبي طالب (ع) وأم

خديجة جدتهما فاطمة بنت زائدة ابن الأصم. وجدة جدهما النبي صلى الله عليه وآله وسلم اسمها فاطمة بنت عبد الله بن عمرو من بني مخزوم كما كانا يسميان الحسينين .

وبقى اسم الحسين يضاف نوراً على من ينطق به أو يتسمى به تبركاً واقتداءً ، وكان الناس يهتدون إلى الحسين إذا جلس في المكان المظلم ببياض جبينه ونحره فإن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان كثيراً ما يقبل جبينه ونحره.

وكما كانت ولادة الإمام علي عليه السلام في الكعبة وسمى وليد الكعبة كذلك ولد الحسين عليه السلام في بيوت المسجد النبوي الشريف بالدار المجاورة لبيت عائشة .

وبالإسناد (عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ قَالَتْ : خَرَجَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فَوَجَّهَ هَذَا الْمَسْجِدَ فَقَالَ : أَلَا لَا يَحِلُّ هَذَا الْمَسْجِدُ لَجَنِّبٍ وَلَا حَائِضٍ إِلَّا لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَعَلَى وَفَاطِمَةَ وَالْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ أَلَا قَدْ بَيَّنْتُ لَكُمْ الْأَسْمَاءَ أَنْ لَا تَضِلُّوا) البيهقي / السنن الكبرى ٦٥/٧.

العدد : ٢٤/١٩٦ في ٢٠٢٤/٧/١٤

الحمد لله الذي جعل أرواح العباد منقطعة إليه حتى في حال النوم ، وفي قوله تعالى ﴿لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ ورد عن الإمام الباقر عليه السلام أنه (قال: قال رجل لرسول الله صلى الله عليه وآله في قول الله عز وجل ﴿لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ قال : هي الرؤيا الحسنة يرى المؤمن فيبشر بها في دنياه).

وروي قريب منه عن عبادة بن الصامت يرفعه.

والرؤيا الصادقة على قسمين :

الأول : رؤيا بشارة .

الثاني : رؤيا إنذار .

وبفيض من الله عز وجل صدر لنا كتاب (فلسفة الرؤيا في الإسلام) بجزئين وكله قوانين ودراسات مستحدثة عن الرؤيا منها الإجتهد في الدعاء لتقريب تنجز رؤيا البشارة ، وصرف رؤيا الإنذار .

العدد : ٢٤/١٩٧ في ٢٠٢٤/٧/١٥

ألقاب الحسين عليه السلام

للإمام الحسين عدد من الألقاب تدل على عظيم منزلته في الإسلام ، ونالها بنعمة وفضل من الله ، وفيها دعوة للأجيال لإكرامه ، وزجر عن التعدي عليه ، ومنها :

الأول : سيد شباب أهل الجنة ، ففي خبر حذيفة أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال أن ملكاً (استأذن الله تعالى أن يسلم علي ويشرنني أن الحسن والحسين سيديا شباب أهل الجنة وأن فاطمة سيدة نساء أهل الجنة) البحار ٢٩٢/٤٣ .

الثاني : ريحانة رسول الله : لقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم لعلي عليه السلام (أوصيك بريحانتي خيراً قبل أن ينهد ركنك).

الثالث : السبط : لقول النبي (حسين سبط من الأسباط) أي أمة من الأمم الخير .

الرابع : الإمام : لقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم (الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا).

الخامس : خامس أهل الكساء .

السادس : الطاهر : لآية التطهير ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ وحديثها المتواتر.

السابع : الشهيد : رأي بالإسناد عن أم سلمة قالت : دخل الحسين بن علي على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ففزع

رسول الله فقالت أم سلمة : ما لك يا رسول الله ، قال : إن جبرئيل أخبرني إن ابني هذا يقتل وإنه اشتد غضب الله على من يقتله .
وللإمام الحسين عليه السلام ألقاب أخرى تناسب رفعة مقامه وعلو شأنه منها الرشيد والمبارك والوفي والبر والتقوي ، والطيب .
العدد : ٢٤/١٩٨ في ٢٠٢٤/٧/١٦

عندما ثار عبد الله بن الزبير امتنع عبد الله بن عباس عن بيعته ، فأرسل يزيد بن معاوية له كتاباً يثني عليه ويطلب منه حث الناس عليه وخذلهم لابن الزبير .

فكتب له عبد الله بن عباس جواباً ، ومنه (أنت قتلت الحسين بن علي ، بفيك الكثكث ولك الأثلب ، إنك إن تمنك نفسك ذلك لعازب الرأي ، وإنك لأنت المفند المهور . لا تحسبني ، لا أبا لك ، نسيت قتلك حسينا وفتيان بني عبد المطلب ، مصاييح الدجى ، ونجوم الأعلام ، غادرهم جنودك مصرعين في صعيد ، مرملين بالتراب ، مسلوبين بالعراء ، لا مكفينين ، تسفي عليهم الرياح ، وتعاورهم الذئاب ، وتنشئ بهم عرج الضباع ، حتى أتاح الله لهم أقواماً لم يشتركوا في دمائهم ، فأجنوهم في أكفانهم ، وبني والله وبهم عززت وجلست مجلسك الذي جلست ، يا يزيد وما أنس من الأشياء ، فلست بناس تسليطك عليهم الدعي العاهر ، ابن العاهر ، البعيد رحماً ، اللثيم أبا وأما الذي في ادعاء أيك إياه ما اكتسب أبوك به إلا العار والخزي والمذلة في الآخرة والأولى ، وفي الممات والمخيا ، إن نبي الله قال : الولد للفراش ، وللعاهر الحجر) .

العدد : ٢٤/١٩٩ في ٢٠٢٤/٧/١٧

كان الحسين عليه السلام منذ ولادته يهتدي بنور ورحمة من الله عز وجل ، رضع من منبع المكارم والتقوى ، ونهل من العلم والاستقامة ما يؤهله لأبرز الأنوار التاريخية في أيام بناء الإسلام

وترسيخ قواعد إنطلاق أفق إصلاحه للمجتمعات شرق وغرب الجزيرة العربية ، فكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يأتي بيت أمير المؤمنين كل يوم ويتفقد الحسين . أتى فاطمة عليها السلام يوماً فقال : أين ابنائي ؟ فقالت : ذهب بهما علي ، فتوجه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فوجدهما في مشربة وبين أيديهما فضل من تمر ، فقال : يا علي ألا تقلب إبنني قبل الحر .

وكان الحسنان يخاطبان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ويقولان يا أبتاه ، ويقول الحسن لأمر المؤمنين : يا أبا الحسن ويقول الحسين له : يا أبا الحسن ، الى أن توفى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فخاطبا الإمام علي يا أبتاه .

كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم والمسلمون معه حريصين على الإنتفاع من ساعات وأيام عمر النبي لينهلوا من العلوم ولإكمال نصوص الشريعة ومثلما كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم أحيانا يبدأ ببيان معالم الدين وأوجه مصالح الأمة والأفراد كذلك يكون أثر كل فعل مبارك يقوم به ومنه الاشراف المباشر على إعداد وتنشئة الحسينين بلحاظ موقعهما كقطب للإسلام ، وأحد أركان صرح التقوى ، وتجليات سمات الوجدانية والعدل والحق الذي تنبعث من كل أرجائه نشوة العز والكرامة لتساهم في بعث روح التقوى وزيادة في الإيمان بما يجلب النفع وخير الدارين للأجيال المتعاقبة وما يستبشر به المسلمون من فضل الله وتغبطهم عليه الأمم إلى جانب ما فيه من مهابة وعلو وشأن ورفعة .

وقد أكدت دراسات علماء النفس في هذا الزمان موضوعية التربية والبيئة في تكوين شخصية الفرد وتأثيرهما في سلوكه وتصرفاته في الكبر .

وقد انفرد الحسنان بأنهما تربيا في حجر النبي صلى الله عليه وآله وسلم الذي غذاهما بالعلوم بعناية يومية وملاحظة أبوية دقيقة

بشعبة من الوحي ، وإن كانت أصابع وبصمات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في تربية وإعداد كل مسلم ظاهرة وثابتة.

عن يزيد بن أبي زياد قال : خرج النبي صلى الله عليه وآله وسلم من بيت عائشة فمر على بيت فاطمة فسمع حسينا يبكي فقال لفاطمة : أي بنية ألم تعلمي أن بكاءه يؤذيني.

العدد : ٢٤/٢٠٠ في ٢٠٢٤/٧/١٨

لقد كان العرب يولون عناية فائقة لحال أهليهم عندما يهيمون بالغزو أو السفر والضرب في الأرض خشية قيام الأعداء بالإغارة على بيوتهم وسبي نسائهم وأولادهم غيلة أو طمعاً أو ثأراً ، فكيف مع كثرة أعداء النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم والتنزيل من الأعراب والقبائل ، وحتى الذي لم يكن عدواً فإنه يطمع بالغنائم.

لقد قام النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالخروج إلى القبائل والأعراب حول المدينة والقريين منها في كتائب يقودها بنفسه مثل كتيبة خيبر ، وكتيبة وادي القرى ، وسرايا الصحابة المتعددة لتفريق جموعهم ، وليكون من معجزات النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم قانون تأمين المدينة حتى في حال غيابه وأكثر أصحابه.

ليان قانون السرايا قبل وبعد صلح الحديبية من الوحي ، وهل كان رجالات قريش يظنون إشغال النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه عن عمرة القضاء بالشروط التي فرضوها في صلح الحديبية ، وبعزمهم على تحريض القبائل ، المختار نعم ، وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾.

العدد : ٢٤/٢٠١ في ٢٠٢٤/٧/١٩

اعتمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم أربع مرات منها عمرة القضاء وهي قيام النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه من المهاجرين والأنصار بأداء مناسك العمرة في

شهر ذي القعدة من السنة السابعة للهجرة لما تعاقد عليه مع كفار قريش في صلح الحديبية (عن ابن عباس، قال اعتمر رسول الله أربع عمر: عمرة الحديبية وعمرة القضاء والثالثة من الجعرانة والرابعة التي مع حجته) والمراد العمرة بعد الهجرة .

وعمرة الحديبية كاملة ، وذكر (إِنَّهُمْ حِينَ حَلَقُوا رُءُوسَهُمْ بِالْحِلِّ احْتَمَلَتْهَا الرِّيحُ فَأَلْقَتْهَا فِي الْحَرَمِ).

والمراد من عمرة الجعرانة مرجع النبي صلى الله عليه وآله وسلم من الطائف حين قسم غنائم حنين .

وبعد صلح الحديبية خرج النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى خيبر ووادي القرى ثم أقام في المدينة الأشهر التالية :

الأول : شهر ربيع أول .

الثاني : شهر ربيع الثاني .

الثالث : شهر جمادى الأولى .

الرابع : شهر جمادى الآخرة .

الخامس : شهر رجب .

لسادس : شهر شعبان .

السابع : شهر رمضان .

الثامن : شهر شوال .

وكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يبعث سرايا خلال هذه الأشهر للتبليغ وبما يأمن معه محيط المدينة ، ليكون خروجه إلى عمرة القضاء في ذات الوقت الذي حدده كفار قريش معجزة له بتأمين المدينة حال غيابه نحو عشرين يوماً.

العدد : ٢٤/٢٠٢ في ٢٠٢٤/٧/٢٠

أقسام الظن

الظن هو ترجيح الصواب والظاهر مع احتمال الطرف الآخر ، أما إذا رجح غير الصواب فهو الوهم ، وقد يطلق الظن على الشك .

وجاء القرآن بتقسيم استقرائي عقائدي للظن نبينه هنا والحمد لله وهو أن الظن على قسمين بينهما تضاد :

الأول : ظن المؤمنين وهو ممدوح ، وهو ترجيح مضمون الخبر وهذا الظن أحد طرفي اليقين ، ولكنه الأدنة منهما إذ لا يصل إلى مرتبة اليقين ، وتدل عليه آيات متعددة منها قوله تعالى ﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ * الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ﴾ .

الثاني : ظن الكفار وهو مذموم ومنه ﴿وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾ . ولا أصل لإلتخاذ بعض الأصوليين قديماً وحديثاً آيات الظن المذموم دليلاً لترك خبر الواحد ، فهو أجنبى عنها مثل قوله تعالى ﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ فمورد هذه الآية ذم الذين كفروا .

بالإضافة إلى عدم ثبوت الملازمة بين خبر الواحد والظن وعلى فرضها فيعتمد الظن المحمود في القرآن وهو الموافق لتعريف المناطقة وأنه الطرف الأدنى في التصديق ، قال تعالى في الشاء على المؤمنين ﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ .

العدد : ٢٤/٢٠٣ في ٢٠٢٤/٧/٢١

من الإعجاز في مضامين سورة يوسف أن السجين الغريب المظلوم يأمر دولة عظيمة تشمل مصر والسودان بأمر فيه بقاء الملك في كرسيه ، واستدامة حياة الناس بطرد شبح المجاعة والهلاك عنهم ، وما يصاحبها من الفساد والسرقة والإقتال ، وهو من مصاديق قوله

تعالى رداً على الملائكة ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ في الرد على الملائكة حينما احتجوا على جعل الإنسان ﴿فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾.

فمن علم الله عز وجل انقاذ الناس واستدامة عمارتهم للأرض ، ومن وسائل هذا الإنقاذ رؤيا ملك مصر وتأويل النبي يوسف عليه السلام لها.

ومجئ هذا التأويل بصيغة الأمر ، ثم عمل وتقييد أهل مصر ومن حولها به لخمس عشرة سنة ، لتكشف الغمة بسنة خصب بوعد ولطف من الله بقوله ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾.

العدد : ٢٤/٢٠٤ في ٢٢/٧/٢٠٢٤

موضوع التقليد

هو الأحكام الفرعية العملية مما له اثر شرعي، فلا يجري التقليد في اصول الدين ومسائل اصول الفقه ولا في علوم العربية من النحو والصرف والبلاغة ونحوها، والأمور العرفية، والموضوعات الصرفة، فلو تردد المقلد في طهارة شيء كالثوب او ان نجاسة اصابته فليس عليه تقليد مرجعه فيه، نعم يقبل قول المرجع على انه مخبر ثقة عادل.

العدد : ٢٤/٢٠٥ في ٢٣/٧/٢٠٢٤

الشبهة الحكمية والموضوعية

الشبهة الحكمية متعلقها الشك في الحكم الشرعي الكلي مع عدم النص او اجماله او انه معارض بنص آخر، أما الشبهة الموضوعية فتتعلق بالموضوع الخارجي، ورفع الشبهة ممكن بالفحص عنها من غير مدخلة للشرع، فاذا شك في مائع:

الأول : هل هو خمر أم خل.

الثاني : شك هل الخمر نجس أو لا.

فالشك الأول شبهة موضوعية فيجوز للمكلف ان يحكم بالبراءة، أما الثاني فهو شبهة حكمية تقتضى الأصل قاعدة الطهارة ولكنه أمر فتوائي يستلزم الدليل فيرجع الى المجتهد الذي يقلده فلعله يقول بالنجاسة ، وهو المختار والمشهور.

العدد : ٢٤/٢٠٦ في ٢٤/٧/٢٠٢٤

التقليد

هو رجوع المكلف في عمله إلى فتوى المجتهد وما يستنبطه من الأحكام الشرعية عن طريق الاستدلال والعلم، ولا يكفي المكلف مجرد تعلمها ونية التقليد وإقتناء رسالته العملية بل لابد من العمل بها.

الإحتياط

هو إتيان الفعل المكلف به على نحو يحرز فيه إدراك الواقع، وهو جائز وان استلزم التكرار وتعدد الوجوه المحتملة للتكليف سعياً لافراغ الذمة بشرط ان لا يكون ناتجاً عن الوسواس، ولا موجباً للحرج، أو إختلال النظام، لذا قد تكون معرفة موارد الإحتياط متعسرة في الغالب على عامة الناس.

العدد : ٢٤/٢٠٧ في ٢٥/٧/٢٠٢٤

ينقسم علم البلاغة تقسيماً استقرايياً إلى :

الأول : علم البيان : وهو الإتيان بالكلام واضحاً يتضمن ظهور المراد والمعنى مع اجتناب التعقيد .

الثاني : علم المعاني : وهو الإحتراز من الخطأ في صياغة الكلام المراد إيصاله إلى ذهن السامع لإفادة المعنى .

الثالث : علم البديع : وهو تحسين الكلام مع وضوحه لفظاً ومعنى ، وبما يزيده طراوة وحلاوة مع جزالة اللفظ.

وسمي البديع لاجتهاد الأدباء والشعراء بابتداع الصور
والمحسنات اللفظية ، وينقسم علم البديع إلى قسمين:
الأول : المحسنات اللفظية .

الثاني : المحسنات المعنوية ، التي يرجع التحسين فيها إلى المعنى
والدلالة ، قال تعالى ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُثَابَها مُثَانِيَّ
تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ
اللَّهِ﴾ .

ومن إعجاز الآية القرآنية جمعها لعلوم البلاغة الثلاثة أعلاه بما
يفوق تركيب البشر للجمل .

العدد : ٢٤/٢٠٨ في ٢٤/٧/٢٦

الفقاع : بضم الفاء وتشديد القاف

شراب يتخذ من الشعير سمي به لما يعلوه من الزبد وهو حرام لأن ما
يسكر كثيره فقليله حرام، ويلحق بالخمير من جهة النجاسة وهو المشهور اما
اذا كان متخذاً من غير الشعير فليس بمحرم ولا نجس الا ان يكون مسكراً
للقياس الإقتراني وهو ان كل مسكر خمير وكل خمير نجس وحرام .
وهناك نصوص مستفيضة تدل على حرمة الفقاع: ففي مكاتبه الوشاء
عن الرضا عليه السلام: حرام وهو خمير، وفي خبر هشام بن الحكم عن
الصادق عليه السلام عن الفقاع: لا تشربه فانه خمير مجهول .

العدد : ٢٤/٢٠٩ في ٢٤/٧/٢٧

عصير العنب

الأول : عصير العنب حلال وهو من الطيبات التي أحلها الله ما لم يتم
غليانه ويشتد أي يغلظ ويصير أعلاه أسفله .

الثاني : يحرم عصير العنب إذا غلى بنفسه (النشيش) أو بالنار أو
بالشمس لأنه يكون مسكراً أو مظنة للإسكار ، وهو طاهر ليس بنجس .

ولم يذكره القدماء في باب النجاسات ، ولم يثبت القول بذهاب المشهور إلى نجاسته وإلحاقه بالخمير ، وإحققه الشهيد الأول في الذكرى بالفقاع من حيث النجاسة .

الثالث : تزول حرمة عصير العنب بذهاب ثلثيه .

الرابع : لو غلى التمر وعصيره لا يحرم .

الخامس : (يجوز أكل الزبيب والكشمش إذا غلى في المرق والأرز ونحوهما .

العدد : ٢٤/٢١٠ في ٢٨/٧/٢٠٢٤

الفجر الكاذب والفجر الصادق

الفجر الأول : ويسمى الفجر الكاذب وهو الضوء المستطيل الذي يظهر في الأفق آخر الليل ، ويصعد طولاً كذنب السرحان ، ولا حكم له في الشرع ، أي لا موضوعية أو أثر له في إمساك الصائم أو أداء صلاة الصبح .

الفجر الثاني : ويسمى الفجر الصادق ، وهو الضياء المنتشر في افق السماء والذي يأخذ بالإتساع والوضوح التدريجي ، والذي يحرم عنده الأكل على من نوى الصيام ، ويدخل معه وقت صلاة الصبح وهو ابتداء اليوم وفق الشرع ، قال تعالى ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَسَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ﴾ .

العدد : ٢٤/٢١١ في ٢٩/٧/٢٠٢٤

ترى ما هي الصلة بين قوله تعالى ﴿رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا﴾ وبين الدعاء المتعدد للدنيا والآخرة .

الجواب من وجوه :

الأول : قانون الدعاء شعبة من الإيمان .

الثاني : مناداة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم المتجددة في كل زمان بالإيمان بالله واليوم الآخر ، وفي التنزيل ﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ .

الثالث : بيان قانون بعثة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم رحمة عامة للمسلمين وغيرهم ، وهداية لسلاح الدعاء الذي هو ذخيرة في الدنيا والآخرة ، قال تعالى ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ .
العدد : ٢٤/٢١٢ في ٢٠٢٤/٧/٣٠

قراءة في الصحيفة السجادية

سيبقى البحث في أغوار الصحيفة السجادية مفتاحاً لآفاق من العلم وأبواب المعرفة وركناً مهماً في الدراسات الهادفة في ميدان الدعاء والمناجاة وصيغ توجيه النفس في مسالك الإيمان وسبل الهداية وطرق الرشاد والفلاح.

ويساهم التأمل والتدبر في دراسة أدعية الصحيفة السجادية في إكتشاف ما تحويه مدرسة الدعاء من مفاهيم عقائدية وروحية تساعد في بناء الشخصية والمجتمع وفق أسس سليمة ، وتعين على إيجاد ودوام صلة متينة تتعلق من خلالها النفس الإنسانية بما عند الله عز وجل خوفاً وطمعاً ولتدرك ان الدعاء ملاذ المؤمن ومفزع المحتاج وملجأ المضطر هذا بالإضافة الى ما تجسده من مضامين العبودية الصادقة ، قال تعالى ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ .
وأدعية هذه الصحيفة من غرر علوم آل محمد لذا سميت زبور آل محمد وهي وثيقة فكرية في باب التوحيد والإخلاص والأخلاق والعرفان وصاحب كريم وإشراقة لمدرسة أهل البيت الفقهية التي اتسعت في أيام الإمام الباقر والإمام الصادق عليهما السلام لينهل منها جميع فقهاء الإسلام.

العدد : ٢٤/٢١٣ في ٢٠٢٤/٧/٣١

تنفي الصحيفة السجادية وتمسك المؤمنين بها مضامين الغلو عنهم ،
وتؤكد أهلية المسلمين لخلافة الأرض باللجوء الصادق إلى الله تعالى ، وهي
شاهد العبودية لله وحده ، ومدرسة للكمالات ومدخل لاكتساب الفضائل
، ومؤدب للعادات المحمودة ، وداعية لتلاوة القرآن والصدور عنه ، وباعث
على الأخلاق الحميدة ، وتحض على المحبة والشوق إلى الله عز وجل ،
والإستعداد ليوم الجزاء بالتقوى والعمل الصالح .

العدد : ٢٤/٢١٤ في ٢٠٢٤/٨/١

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم (نحن معاشر الأنبياء أولاد علات،
ديتنا واحد).

وأبناء العلات الأخوة من أب واحد وأمها شتى ، والأخوة من أب
وأم واحدة يسمون الأشقاء ، والأعيان ، أما الأخوة من أم واحدة وآباء
متعددين فيسمون الأخياف .

و(قال الشاعر :

أفي الشدائد أخياً لواحدة

وفي الولائم أولاداً لعلات).

والمراد من المثل والتقريب الذي ذكره النبي محمد صلى الله عليه وآله
وسلم أن دين الأنبياء واحد وهو التوحيد وعبادة الله وحده ، ولكن
الشرائع تعددت كما تعددت أمهات الأخوة ، إذ أن المدار في النسب على
الأب.

العدد : ٢٤/٢١٥ في ٢٠٢٤/٨/٢

القيامة مصدر من الفعل الثلاثي : قام يقوم ، وأدخلت عليه تاء التأنيث
للمبالغة .

وسمي به اليوم الآخر ، لقيام الناس ووقوفهم في مواطن الآخرة
للحساب ، وقيام دعاوى والمظالم بين الناس ، وفي الدنيا يتنعم الناس

ويلهون وينامون ويمرحون ، أما في الآخرة فهم قيام وجلون ، وورد لفظ (يوم القيامة) في القرآن سبعين مرة .

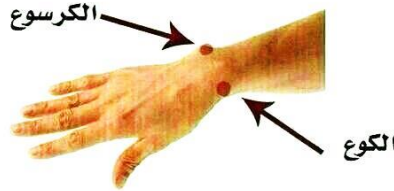
العدد : ٢٤/٢١٦ في ٢٠٢٤/٨/٣

بين الكوع والبوع

يقال (فلان لا يعرف كوعه من بوعه) تعريضاً به ونعته بالجهل .
والمختار أن هذا التعريض ، والإحراج في سؤاله مذموم ، وإن كان من باب المثال والمزاح ، قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرُوا قَوْمٍ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ﴾ فقد يكون الإنسان حاذقاً في عمله أو عالماً في اختصاصه ، أو أمور دينه ، ولكنه لم يلتفت إلى مسألة الكوع والبوع .
والكوع هو : عظم ناتئ من الزند (الرسغ) مما يلي إبهام اليد ، أما البوع فهو أطول عظمة من إبهام الرجل سواء اليمنى أو اليسرى ، كما مبين في الرسم التوضيحي أدناه .

والكرسوع هو طرف عظم الذراع مما يلي الكف من جهة الخنصر .

العدد : ٢٤/٢١٧ في ٢٠٢٤/٨/٤



ردود كريمة على بعض الأجزاء الأخيرة من هذا السفر المبارك

- ١- سماحة الإمام شيخ الأزهر.
- ٢- سماحة العلامة الشيخ أ.د. مفتي جمهورية مصر العربية.
- ٣- الأمين العام لمنظمة التعاون الإسلامي.
- ٤- سيادة رئيس مجلس القضاء الأعلى / العراق
- ٥- سيادة مستشار الأمن القومي السيد قاسم الأعرجي
- ٦- سيادة رئيس المحكمة الاتحادية العليا .
- ٧- الأمين العام لاتحاد المؤرخين العرب.
- ٨- المدير العام لمنظمة العالم الإسلامي للتربية والعلوم والثقافة / إيسيكو
- ٩- سعادة أ.د. رئيس جامعة دمشق .
- ١٠- سعادة أ.د. رئيس جامعة ديالى .
- ١١- سعادة أ.د. مدير جامعة الملك فيصل / المملكة العربية السعودية
- ١٢- سعادة أ.د. مدير جامعة كردفان / الجمهورية السودانية.
- ١٣- سعادة أ.د. مدير الجامعة الإسلامية / المدينة المنورة.
- ١٤- سعادة أ.د. رئيس الجامعة العراقية.
- ١٥- سعادة أ.د. مدير جامعة الأمير عبد القادر / الجمهورية الجزائرية
- ١٦- سعادة أ.د. رئيس جامعة البصرة / العراق.
- ١٧- سعادة أ.د. رئيس جامعة القادسية / العراق.
- ١٨- سعادة أ.د. رئيس جامعة الكوفة / العراق
- ١٩- سعادة أ.د. رئيس جامعة جدارا / المملكة الأردنية الهاشمية.
- ٢٠- كلية الإمام الاوزاعي للدراسات الإسلامية / بيروت.

بسم الله الرحمن الرحيم

٢٩ / ٢٠٠٨
٨ / ٤ / ٢٠٠٨

الأزهر
مكتبة الإمام الأكبر
شيخ الأزهر

السيد صاحب الفضيلة المرجع الديني الشيخ/صالح الطائي
أستاذ الفقه والأصول والتفسير والأخلاق
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد،.....

فلقد تلقيت بحمد الله رسالتكم الرقيقة وبها الجزء الحادي
والخمسون في تفسير آية واحدة من سورة آل عمران من القرآن الكريم.
نتضرع إلى الله العلي القدير أن يلهمكم العلم النافع وان يجعله
في ميزان حسناتكم.

وشكر الله لكم حسن عملكم

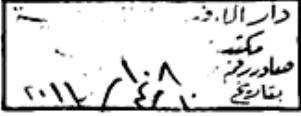
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

شيخ الأزهر
محمد توفيق
(الدكتور) محمد سيد طنطاوي

في: ١٣ من صفر ١٤٢٩ هـ
الموافق: ٢٠ من فبراير ٢٠٠٨ م
□ مصطفى عباس

٦/١٩

بسم الله الرحمن الرحيم



المرجع الديني الشيخ/صالح الطائي

صاحب أحسن تفسير للقرآن وأستاذ الفقه والأصول والتفسير والأخلاق

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته...وبعد،

فإنه ليسعدني أن أتقدم لسيادتكم بخالص الشكر والتقدير والإحترام على تفضلكم بإهدائنا نسخة من الجزء الثاني والثمانين.

وأتمنى من الله أن يديم عليكم نعمة الصحة والعافية وأن يسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنه وان يوفقنا لما يحبه ويرضاه.

شاكرين لكم، ولكم تحياتي

أ.د. علي جمعة
مفتي جمهورية مصر العربية

ORGANISATION OF ISLAMIC COOPERATION
GENERAL SECRETARIAT

ORGANISATION DE COOPERATION ISLAMIQUE
SECRÉTARIAT GÉNÉRAL



OIC/CAB-01/2012 001010

جدة في: 23 FEB 2012

سماحة المرجع الديني الشيخ صالح الطائي حفظه الله ورعاه
صاحب أحسن تفسير للقرآن الكريم
أستاذ الفقه والأصول والتفسير والأخلاق

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته...وبعد،

فقد تسلمنا بيد الشكر والتقدير نسخة من كتاب "معالم الإيمان في تفسير القرآن" الجزء التسعون- الآية ١٣٤ من سورة آل عمران، والذي تفضلتم بإهدائه إلى معالي البروفسور أكمل الدين إحسان أوغلي، الأمين العام لمنظمة التعاون الإسلامي، ويشرفنا أن نتقدم إليكم بجزيل شكرنا على جهودكم المتواصلة لتفسير أي الذكر الحكيم، فجزاكم الله عنا خير الجزاء وبارك فيكم وفيما تقومون به من جهد مبارك خدمة للإسلام والمسلمين. وتفضلوا بقبول وافر الشكر والتقدير.

أحمد العقروني
مستشار الأمين العام





جمهورية العراق
مجلس القضاء الأعلى

سماحة الشيخ صالح الطائي "المحترم"

تحية طيبة

إشارة إلى كتابكم المرقم (١٧/٧٢٨٥) المؤرخ في ١٧/١٢/٢٠١٧.
تلقينا ببالغ الإعتراز إهداءكم نسخة من كتابكم
الموسوم (معالم الإيمان في تفسير القرآن) الجزء التاسع
والخمسین بعد المائة، نقدم شكرنا وتقديرنا متمنين لكم
دوام الموفقية.

مع التقدير

القاضي

فائق زيدان

رئيس مجلس القضاء الأعلى

٢٠١٧/١٢/٢٨

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

Republic of Iraq
Prime Ministers
National Security Advisory



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
رَأْسُ السَّيْفِ الْوَلَدَانِ
مُسْتَشَارَتَا الْأَمْنِ الْقَوْمِيَّ

العدد: ٣٢٥١
التاريخ: ٢٠٢١ / ١١ / ٦

مكتب المرجع الديني
الشيخ صالح الطائي (دامت بركاته)

السلام عليك عليكم ورحمة الله وبركاته
ببالغ الإمتنان والغبطة تلقينا هديتكم الكريمة (الجزء
السادس عشر بعد المائتين) من التفسير المبارك شاكرين
حسن معالجتكم لهذا الموضوع المهم ونشد على عضدكم
لتقدموا للأمة كل ما ينفعهم وينير بصيرتهم ويجلي الرين
عن قلوبهم ليفهموا كتاب الله كما أراد سبحانه أن يفهموه
ويعملوا بأحكامه ليكون لهم في الدنيا، مرشدا وفي الآخرة
شفيعا. ونضع أنفسنا وامكانياتنا لخدمة هذا الجهد المبارك
سائلين المولى القدير أن يوفقكم لكل خير.

مع خالص الدعاء

اخوكم

قاسم الاعرجي

مستشار الامن القومي



مُسْتَشَارَتَا الْأَمْنِ الْقَوْمِيَّ

بسم الله الرحمن الرحيم

كويتي عراقي
د. كافي الدين بنينجاري
العدد ٨٠ / م / ٤ / ٨٦٥
الكتاب ٨٠ / ٥٨٠



جمهورية الكويت
المحكمة الاتحادية العليا
مكتب رئيس المحكمة

المرجع الديني الشيخ صالح الطائي المحترم

تحية طيبة

تلقينا ببالف الاعتزاز إهداءكم القيم (الجزء الرابع
والثلاثون بعد المائتين) من تفسيركم للقرآن،
وهو بقانون (التضاد بين القرآن والإرهاب) .
ونقدم شكرنا وتقديرنا .

القاضي
جاسم محمد عبود

رئيس المحكمة الاتحادية العليا

٢٠٢٢/٥/ ١٤



Council Of Arab Economic Unity
Subsidiary to Arab League
Union of The Arab Historians
General Secretary



مَجْلِسُ الْوَحْدَةِ الْاِقْتِصَادِيَّةِ الْعَرَبِيَّةِ
الَّتِي تَتَّحِدُ بِهَا دَوْلُ الْعَرَبِيَّةِ
اتِّحَادُ الْمَوْرِثِينَ الْعَرَبِ
الْأَمَانَةُ الْعَامَّةُ

العدد : ٨٩ / ث
التاريخ : ٤ رمضان ١٤٤٣
الموافق : ٢٠٢٢ / ٤ / ٥

إلى/ سماحة المرجع الديني للمسلمين الشيخ صالح الطائي المحترم
صاحب أحسن تفسير للقرآن
أستاذ الفقه والأصول والتفسير والأخلاق
م/شكر وتقدير

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته :
وأسال الله تعالى أن يوفقكم ويحفظكم ويرعاكم أنه سميع مجيب الدعاء
تسلمت مع بالغ الشكر والتقدير والإمتنان والإعتراز اهداءكم لنا الجزء الواحد
والثلاثين بعد المائتين من تفسيركم للقرآن وهو بعنوان (آيات السلم محكمة غير
منسوخة) ، وأن هذا الإنجاز يعبر عن مستوى ما متعكم به الله تعالى من امكانات
متميزة في الإبداع الفكري والعلمي في مجال تفسيركم للقرآن الكريم ، ولم أقرأ أو
اسمع أن هنالك منجزاً في تفسير القرآن العظيم بمثل ما قدمتموه ، وأني لاعجز
عن التعبير عن مدى اعجابي واحترامي وتقديري لما حباكم به الله تعالى من
امكانية علمية فريدة ومتميزة .

داعياً الله تعالى لكم بموفور الصحة والسعادة والأجر الفضيل من أجل تقديم
المزيد من العطاء لخدمة الإسلام والمسلمين في زمن شح به العطاء والإنتاج الفكري
الإسلامي ، دعائي من الله تعالى لكم بمزيد من الصحة والعافية ومزيد من الإنتاج
الرائع المتميز .

وسلامي للعائلة العزيزة جميعاً الذين وفروا لك أجواء هذا العمل العلمي
التميز وجزاهم الله خير الجزاء ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .



المخلص
الأستاذ الدكتور محمد جاسم المشهداني
الأمين العام لاتحاد المؤرخين العرب
العميد / رئيس الهيئة العلمية لمعهد التاريخ العربي
والفترات العلمي للدراسات العليا





إيسيسكو
ICESCO

المدير العام
Director General
Directeur général

الرباط، في : 15 نونبر 2024

الرقم : مدع/14/ 0723

فضيلة الشيخ صالح الطائي
المرجع الديني
وأستاذ الفقه والأصول والتفسير والأخلاق
المنامة – مملكة البحرين

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ،
فإنه ليسعدني أن أتقدم لفضيلتكم بخالص الشكر على
تفضلكم بإهدائنا الجزء الرابع والخمسين بعد المائتين
من تفسيركم " معالم الإيمان ".
وإذ نقدر جهودكم العلمية المتواصلة في خدمة كتاب الله
وتفسيره ، أرجو أن تتفضلوا بفضيلتكم بقبول فائق التقدير
وبالغ الاحترام .

المدير العام



د. سالم بن محمد المالك



الجمهورية العربية السورية

جامعة دمشق

رئيس جامعة دمشق

٢٠٥٧ / ٢٢

سماحة المرجع الديني الشيخ صالح الطائي المحترم
صاحب احسن تفسير للقرآن
أستاذ الفقه والأصول والتفسير والأخلاق

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ..

أتقدم اليكم بجزيل الشكر والتقدير لهديتكم القيمة الجزء
الحادي عشر بعد المائتين الخاص بقانون (آيات السلم
محكمة غير منسوخة).

وأتمنى من الله أن يديم عليكم نعمة الصحة والعافية
والمزيد من النجاح والتوفيق ، نبارك لكم جهودكم ونقدر
لكم هذا الإهداء...

رئيس جامعة دمشق

الأستاذ الدكتور محمد يسار عابدين

٢٥ نبذة ٢٠٢١ ١٢ رمضان ١٤٤٢

Republic of Iraq
Ministry of Higher Education &
Scientific of Research
University of Diyala



جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة ديالى
مكتب رئيس الجامعة

No.:
Date:

العدد ٨٠
التاريخ ٢٠٢٣ / ١ / ١١



سماحة المرجع الديني الشيخ صالح الطائي المحترم
صاحب أحسن تفسير للقرآن
أستاذ الفقه والأصول والتفسير والأخلاق

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ...

تلقينا بكل تقدير وامتنان اهدائكم نسخة من (معالم الإيمان في تفسير القرآن) الجزء الثالث والأربعون بعد المائتين ، وتقدم بخالص الشكر والعرفان على هذا الاهداء ، داعياً الله العليّ القدير ان يمدكم بعونه وتوفيقه ، وان يسدد خطاكم ويكمل اعمالكم بالنجاح انه سميع مجيب .

ومن الله التوفيق

أ.د. عبد المنعم عباس كريم

ع / رئيس جامعة ديالى

٢٠٢٣ / ١ / ١٠

KINGDOM OF SAUDI ARABIA
Ministry of Higher Education
KING FAISAL UNIVERSITY
(037)



الجامعة الإسلامية
وزارة التعليم
جامعة الملك فيصل
{ ٠٣٧ }

الموضوع:

فضيلة الشيخ / صالح الطائي
مكتب المرجع الديني وصاحب أحسن تفسير للقرآن
وأستاذ الفقه والأصول والتفسير والأخلاق
ص.ب. ٢١١٦٨ مملكة البحرين

السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته وبعد
تلقيت بكل الشناء والتقدير خطاب فضيلتكم رقم ١٦/١٨٦١
وتاريخ ٢٠١٦/٥/٢٠م المرفق طيه نسخة من كتاب بعنوان "معالم الإيمان
في تفسير القرآن" الجزء الثاني والثلاثين بعد المائة.
يطيب لي ويسعدني أشكر فضيلتكم جزيل الشكر على
إهتمامكم المتواصل بتزويد إدارة الجامعة بهذه النسخة ، وستحال إلى
مكتبة الجامعة للإطلاع عليها، سائلا المولى جلت قدرته للجميع
التوفيق والسداد.
وتقبلوا خالص تحياتي وتقديري،،،

مدير الجامعة

د. عبدالعزيز بن جمال الدين السعاتي



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

جامعة كردفان UNIVERSITY OF KORDOFAN

Our Ref:
Date:

مكتب المدير
Vice Chancellor Office

الرمز: ج ك/م ١٧/ح/٣
التاريخ: 2016/8/16

السادة/ مكتب المرجع الديني
الشيخ صالح الطائي
صاحب أحسن تفسير للقرآن
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

تهديكم جامعة كردفان أطيب التحايا ، وتغمرنا السعادة بالإصدارات التي تتوالى إلينا بانتظام من مكتب المرجع الديني في (معالم الإيمان في تفسير القرآن) والذي كان آخر هذه الإصدارات (الجزء السادس والثلاثين بعد المائة) والذي تشرفنا بإستلامه بموجب خطابكم رقم ١٦/١٥٣٥ الصادر في ٢٠١٦/٧/١٣م، وذلك إثراءً للمعرفة في مجال تفسير آيات القرآن، خدمة للباحثين والمهتمين بأمر التفسير القرآني، والتي أضحت متاحة في الأقسام المختصة بالمكتبات الأكاديمية في الجامعات ومراكز البحوث وجامعة كردفان تحظى بأعداد وافرة منها في مكتبها المركزية.

ختاماً لكم الشكر والعرفان على هذا الصنيع، نفعنا الله به، وأثابكم عليه خير الجزاء .

وتفضلوا بقبول فائق عبارات التقدير والإحترام

أ.د. أحمد عبدالله عجب الدور
مدير الجامعة



الرقم: ١١٤٦٠ / ١ / ١٥٢
 التاريخ: ١٠ / ٢ / ١٤٣٧ هـ
 الملاحظات:
 المودع:



الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
 وزارة التعليم العالي
 الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
 مكتب المهر
 (٠٣٢)

سلمه الله

معالي الشيخ/ صالح الطائي

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته،،، وبعد

فأسأل الله لمعاليتكم العون والتوفيق، ويسرني إفادتكم بأني تلقيت بكل تقدير وإمتنان إهداءكم للجامعة نسخة من الجزء التاسع بعد المائة من (معالم الإيمان في تفسير القرآن).

ولأني إذ أتقدم لمعاليتكم بخالص الشكر والعرفان على هذا الإهداء، لأدعو الله العلي القدير أن يمدكم بعونه وتوفيقه، وأن يسدد خطاكم ويكمل أعمالكم بالنجاح إنه سميع مجيب يحفظكم الله ويرعاكم.

ولكم تحياتي وتقديري

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

مدير الجامعة الإسلامية

أ. د / عبدالرحمن بن عبدالعزيز السعيد

MINISTRY OF HIGHER EDUCATION
& SCIENTIFIC RESEARCH
THE IRAQIA UNIVERSITY
THE PRESIDENT OFFICE OF UNIVERSITY



وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
الجامعة العراقية
مكتب رئيس الجامعة

NO.:

DATE: / / 201

العدد : ٢٩٢ / ١
التاريخ : ٢٠١٦ / ٤ / ١٠ م
١٤٣٨ / ١ / ١٠ هـ

المرجع الديني الشيخ صالح الطائي المحترم
صاحب أحسن تفسير للقرآن
تحية طيبة...

نشكر مبادرتكم الطيبة بإهداءكم لنا نسخة من كتابكم الموسوم الجزء
الثلاثون بعد المائة من (معالم الإيمان في تفسير القرآن) سائلين الباري عز
وجل أن يوفقكم في مسيرتكم العلمية والعملية خدمة لبلدنا العزيز.
ومن الله التوفيق...

أ.د. علي صالح حسين

رئيس الجامعة العراقية

٢٠١٦ / ٤ / ١٠ م

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي



رئاسة الجامعة

قمتلينة نفي: 2015/03/25

جامعة الأمير عبد القادر

للعلوم الإسلامية

قمتلينة

رقم 498... / رج / 2014

إلى السيد المحترم / الشيخ صالح الطائي
صاحب أحسن تفسير للقرآن
مكتب المرجع الديني

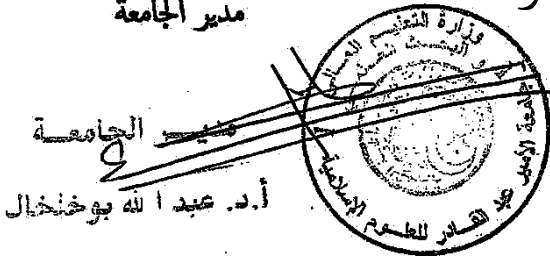
تحية طيبة وبعد :

تلقينا نحن أ.د / عبدالله بوخلخال مدير جامعة الأمير عبد القادر للعلوم
الإسلامية قسنطينة، هديتكم القيمة المتمثلة في كتاب (معالم الإيمان في تفسير
القرآن) الجزء الثالث عشر بعد المائة.

وإذ نعبّر لكم عن شكرنا على هذه الإلتقاة الكريمة، نهديكم نحن بدورنا
نسخة من مجلة الجامعة العدد ٣٣ ونسخة من نشرة أخبار الجامعة.

تقبلوا فائق الاحترام والتقدير.

مدير الجامعة



طبيب الجامعة

أ.د. عبدالله بوخلخال

Ministry of Higher Education &
Scientific Research
Basra University
Depr. Of Public Relations & Media



وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
رئاسة جامعة البصرة
قسم العلاقات العامة والإعلام

العدد: ٢٤١٧/٧
التاريخ: ٢٠٢٣/٤/٢٩

إلى // الشيخ عبد الله الشيخ صالح الطائي المحترم
مدير مكتب المرجع الديني الشيخ صالح الطائي

م // شكر على إهداء

تحية طيبة ...

إشارة إلى كتابكم ذي العدد (٢٣ / ٤ / ١٩) في ٢٩ / ٣ / ٢٠٢٣

ببالغ الإعتراز والتقدير تسلمنا إهداءكم القيم لنا نسخة من
الجزء السادس والأربعين بعد المائتين من (معالم
الإيمان) ... نستثمر هذه الفرصة لنعبر عن شكرنا
وتقديرنا لهذا الإهداء مؤكدين سعادتنا الدائمة بالجهود
المتميزة ، متمنين دوام التواصل والعطاء خدمة لعراقنا
العزیز.

مع التقدير ...

الأستاذ الدكتور

سعد شاهين حمادي

رئيس الجامعة

Republic of Iraq
Ministry Of Higher Education
and Scientific Research
University of Al-Qadisiya
Chief of University Office



جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة القادسية
مكتب رئيس الجامعة

Ret:

العدد: ٢٤ / ١٤٤٢

Date:

التاريخ: ١٩ / ٢ / ١٤٥١

إلى / مكتب المرجع الديني آية الله العظمى الشيخ صالح الطائي المحترم
صاحب أحسن تفسير للقرآن

تحية طيبة ...
تسلمنا ببالغ الشكر والتقدير الجزء السابع بعد المائة من
التفسير وهو القسم الأول من تفسير (أن يمسسكم قرح فقد
مس القوم قرح مثله وتلك الأيام نداولها بين الناس)
شاكرين لكم اهداءكم متمنين لكم مزيداً من الإرتقاء
والأزدهار والتطور.

... مع التقدير

١

أ.د. أحسان كاظم شريف القرشي

رئيس الجامعة

٢٠١٥/٢/

Ministry of Higher Education
and Scientific Research
**UNIVERSITY OF
K U F A**
President's Office



وزارة التعليم العالي
والبحث العلمي
جامعة الكوفة
مكتب رئيس الجامعة

Ref. :

Date: / /

((بجيشنا والحشد الشعبي وقوات البيشمركة العراق أقوى))

إلى/سماحة المرجع الديني آية الله العظمى الشيخ صالح الطائي (دام ظله) المحترم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته...

ببالغ الإمتنان والتقدير تسلمنا نسخة من مؤلفكم القيم الموسوم (معالم الإيمان في
تفسير القرآن) بحزته العشرين بعد المائة وإننا وإذ تقدم لكم بالشكر والإمتنان على
مبادرتكم الطيبة، فأنا نبتهل للباري جل في علاه أن يوفق سماحتكم لما يحبه
ويرضاه، ومنه العون والسداد.

مع أسمى آيات تقديري واحترامي...

أ. د. عقيـل عبد ياسيـن
رئيس جامعة الكوفة
٢٠١٥ / ٨ / ١١

بسم الله الرحمن الرحيم

Jadara University

Office of the President



جامعة جدارا

مكتب الرئيس

Ref. _____

Date _____

الرقم ٨١٦٠:٨١٦٩ / ٧٦٩

التاريخ ٢٠١٢/٥/٢٦ م

الموافق ١٤٣٤/٤/٢٦ هـ

سبادة الأُمّ الشيخ صالح الطائي المحترم

صاحب أحسن تفسير للقرآن الكريم

وأستاذ الفقه والأصول والأخلاق

بكل فخر واعتزاز تلقيت رسالتكم الموقرة التي تحمل العدد (٥٣٢)
تأريخ ٢٠١٢/٥/٢٦ م، ومرفقها الجزء التسعون من التفسير في
الآية (١٣٣) من سورة آل عمران.

وانني إذ أشكركم جزيل الشكر وعظيم الإمتنان على اهدائكم
هذا، سائلاً المولى عز وجل أن يديم عليكم نعمة الصحة والعافية، وأن
يجعلكم سنداً وذخراً للأمة الإسلامية متمنياً لكم كل التقدم
والإزدهار.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

رئيس الجامعة

أ. د محمد الطعامة

بسم الرحمن الرحيم

كلية الإمام الأوزاعي للدراسات الإسلامية

بيروت في ٩/ ربيع الأول/ ١٤٤٠هـ

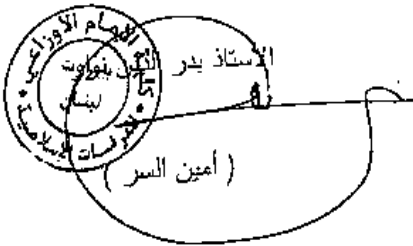
الموافق ٢٤/ ١١/ ٢٠١٨م

سماحة المرجع الديني الشيخ صالح الطائي المحترم
صاحب أحسن تفسير للقرآن
مكتب المرجع الديني الشيخ صالح الطائي

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

تتقدم كلية الإمام الأوزاعي للدراسات الإسلامية بأطيب تمنياتها،
وتشكركم على الجزء (١٧١) الذي وصلنا من جانبكم من كتاب: "معالم
الإيمان في تفسير القرآن" والذي يتضمن قراءة في آيتين من القرآن بما يدل
على أن النبي (ص) كان لا يسعى إلى الغزو ولم يقصده ولم يدع إليه.
آملين الإستمرار في إرسال الأجزاء التي ستصدر منها مستقبلاً،
شاكرين لكم حسن تعاونكم الدائم معنا وداعين الله تعالى أن يوفقنا وإياكم
لما فيه خير الإسلام والمسلمين.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.



الفهرس

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
٣	المقدمة	٣٠	قانون الدعاء جنة وجنة
٧	الآية ١٩٤ سورة آل عمران	٣٢	النسبة المنطقية بين العذاب والخزي
٧	الإعراب واللغة	٣٦	الوجه الثالث : صلة آية البحث بقوله تعالى ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ
٩	في سياق الآيات	٥١	من وجوه التفكير في السموات والأرض
٩	الوجه الأول: صلة آية البحث بالآية السابقة ﴿رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ	٥٢	تقدير الجمع بين آية السياق والبحث
١٨	الصلة بين أول الآية السابقة والدعاء في آية البحث	٥٣	قانون الترغيب بمجالس الذكر
٢٠	من مصاديق النداء للإيمان	٥٥	تكرار ضمير الجمع (نا) في آية البحث والسياق
٢١	الوجه الثاني: صلة آية البحث بالآية قبل السابقة ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تَدْخُلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ	٥٥	كثرة آيات خلق السموات والأرض
٢٦	قانون الإستجابة لطف وفضل حاضر	٥٨	إعجاز آيات الدعاء
٢٧	قانون الوثاقة في الحديث بين الصحابة	٥٩	قانون ملازمة قول ﴿سُبْحَانَكَ﴾ الناس في الدنيا والآخرة

الفهرس

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
٦١	قانون سعة عالم الأفلاك دعوة للإيمان	٩٧	صلة خاتمة الآية بالآيات السابقة
٦٢	إعجاز الآيات المتجاورة	٩٨	من غايات الآية
٦٤	تقدير ﴿وَلَا تُخْزِنَا﴾ مع الآيات الثلاثة السابقة	١٠٠	التفسير قوله تعالى ﴿رَبَّنَا﴾
٦٦	ذخائر العطف بين الآيات	١٠٣	تجليات التوحيد في ﴿رَبَّنَا﴾
٦٨	إعجاز الآية الذاتي	١٠٤	خصائص نداء ﴿رَبَّنَا﴾
٧٢	إعجاز الآية الغيري	١٠٦	صيغة الجمع في ﴿رَبَّنَا﴾
٧٥	مراتب تحدي الإعجاز الثلاث	١٠٧	نداء (ربنا)
٧٨	من بدائع إعجاز آية البحث	١٠٨	ابتداء هذه الآيات بنداء الإستجارة
٨٠	قانون آية ﴿رَبَّنَا وَآتِنَا﴾ فقاهاة	١١٠	الإيمان لغة واصطلاحاً
٨٢	الآية سلاح	١١٢	أفراد الدعاء في هذه الآيات
٨٥	من معاني ﴿مَا وَعَدْتَنَا﴾	١١٤	قانون إنعدام الناصر للظالمين
٨٦	مفهوم الآية	١١٥	قوله تعالى ﴿وَأَتَيْنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ﴾
٨٨	إفاضات الآية	١١٨	إحصاء ذكر الأنبياء في القرآن
٩١	الآية لطف	١٢١	ذكر النبي محمد (ص) أكثر من ألف مرة في القرآن
٩٣	الآية بشارة	١٢٣	دلالة صيغة الجمع في آية البحث
٩٥	الآية إنذار	١٢٥	المراد من الرسل في آية البحث
٩٦	الصلة بين أول وآخر الآية	١٢٥	الأول : آدم عليه السلام

الفهرس

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
١٢٧	الثاني : الرسول إدريس	١٦٢	دعوة الملك للسجين يوسف (ع)
١٢٨	الثالث : الرسول نوح	١٦٤	الإستجابة لطلب يوسف (ع)
١٢٨	الرابع : الرسول هود	١٦٥	قانون القصور في الشكر لله
١٢٩	الخامس : الرسول صالح	١٦٦	معجزة السنابل
١٣٤	السادس : الرسول إبراهيم	١٦٨	الثاني عشر : أيوب
١٣٥	السابع : النبي لوط	١٧١	الثالث عشر : ذو الكفل
١٣٧	الثامن : الرسول إسماعيل	١٧٢	الرابع عشر : شعيب
١٣٩	تقسيم العرب من جهة القدم والنسب	١٧٤	الخامس عشر : موسى
١٤٢	لماذا اختص إبراهيم (ع) بلفظ ﴿فَرَاغَ﴾	١٧٧	السادس عشر : هارون
١٤٤	التاسع : النبي إسحاق	١٧٩	السابع عشر : إلياس
١٤٦	ولادة إسحاق معجزة	١٨١	الثامن عشر : اليسع
١٤٤	العاشر : يعقوب	١٨٢	التاسع عشر : داود
١٥٠	الحادي عشر : يوسف	١٨٥	معجزات داود
١٥٠	اسم يوسف	١٨٧	العشرون : سليمان
١٥٢	تنزيه يوسف (ع)	١٨٨	الحادي والعشرون : يونس
١٥٥	يوسف بين القرآن والتوراة	١٩٢	الثاني والعشرون : زكريا
١٥٨	عداوة الشيطان للإنسان	١٩٣	الثالث والعشرون : يحيى
١٦٠	قانون الاجتباء	١٩٥	معاني (حضوراً)

الفهرس

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
١٩٧	استقراء المسائل من قصة يحيى	٢١٣	قوانين قرآنية في الأخلاق الحسنة
١٩٨	الرابع والعشرون : عيسى	٢١٥	قوله تعالى ﴿وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾
١٩٩	أسماء عيسى في القرآن	٢١٨	علم المناسبة (لا تخزنا)
٢٠٠	بشارة الإنجيل بالنبي محمد (ص)	٢٢٠	قوله تعالى ﴿إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾
٢٠٢	خطاب الأنبياء إلى قومهم	٢٢١	عصمة آيات القرآن من التفسير الخاطئ
٢٠٣	طلب الحاكم لعيسى (ع) لصلبه	٢٢٢	آية البحث مناجاة
٢٠٣	عيسى (ع) في السنة النبوية	٢٢٤	قانون خاتمة الآية أعم من أولها
٢٠٤	الخامس والعشرون : الرسول محمد	٢٢٦	النسبة بين الميعاد والوعد
٢٠٧	قانون شهادة آية ﴿رَبَّنَا وَآتِنَا﴾ على الإيمان	٢٢٧	قانون حشر الناس يوم القيامة حق
٢٠٧	قانون القرآن نور في الدنيا والآخرة	٢٣٢	علم المناسبة
٢٠٩	قانون بعث الرسل رحمة	٢٣٤	عطف الخاص على العام - بحث بلاغي عقائدي

الفهرس

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
٢٣٥	الواو حرف عطف واستئناف في آن واحد	٢٥٨	قانون الصوم ذكر لله
٢٣٧	قانون بشارات الرسل	٢٦٠	بين الحاسد والعاين
٢٣٩	خاتم سليمان	٢٦٤	المفاوضات المباشرة وفق الكتاب والسنة
٢٤١	بحث بلاغي	٢٦٦	قانون السعي للصالح
٢٤٢	قانون تلاوة آية البحث فقاهاة	٢٦٩	معنى قوله تعالى ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ﴾
٢٤٤	قانون تجلي إعجاز القرآن في تلاوته	٢٧١	هلال شهر صفر
٢٤٦	من قوانين يوم القيامة	٢٧٣	الدنيا دار الإنتظار
٢٥٣	آيات الدنيا وآيات الآخرة	٢٧٥	يوميات علمية
٢٥٧	النسبة بين الميعاد والوعيد	٣٠٢	ردود كريمة
		٣٢٣	الفهرس

رقم الايداع في دار الكتب والوثائق ببغداد

٦٩٣ لسنة ٢٠٢٤

طُبِعَ هَذَا الْجُزْءُ عَلَى نَفَقَةِ
الْأَمِيرِ الشَّيْخِ غَانِمِ الشَّيْخِ دَرَعِ الْفَيَاضِ